جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى / كُلِّية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللُّغة العربية

رسائل أبي العلاء المعري(ت ٤٤٩هـ) دراسة في ضوء مسالك الخطاب وغاياته لمحمد محمد يونس

رسالة تَقَّدم بها الطالب

وسام عبد الساده حرجان الجبوري

إلى مجلس كلّية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى وهي جزءٌ من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / لغة

بإشراف

الأستاذ الدكتور

كاظم داخل جُبير الجبوري

١٤٤٣هـ ٢٠٢١م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

{يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨}

صدق الله العلي العظيم

الزلزلة : (٦ - ٧ - ٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

توصية المشرف

أشهد أنَّ إعداد رسالة الطالب (**وسام عبد الساده حرجان الجبوري**) الموسومة بـ (**رسائل أبي العلاء المعري(ت٤٤٩هـ) دراسة في ضوء مسالك الخطاب وغاياته لمحمد محمد يونس**) قد جرى تحت إشرافي ، في قسم اللغة العربية / كلِّية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى ، وهي جزء من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة .

الإمضاء :

أ. د. كاظم داخل جُبير الجبوري

التأريخ : / / ٢٠٢١م

بناء على التوصيات المتوفرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة :

الإمضاء :

رئيس قسم اللغة العربية

أ. د . أحمد حسين عبد السادة

التأريخ : / /٢٠٢١م

الإهداء

إلى كل نفس ذهبت إلى بارئِها قتلاً في سبيل ما دعا الله تعالى إلى التضحية من أجله ... الشهداء الَّذين منهم :،

- أستاذي الدكتور محمود بشير الجياشي ...
- أخي ...

إلى : أبي ، وأمي ، وعمي – رحمه الله – وإخوتي ...

إلى : كل من له عليّ فضل ، جزاهم الله عني خيرا .

وسام

شكر وعرفان

الحمد لله حمدا لا ينقطع أبدا ولا تحصي له الخلائق عددا ؛ لجلال وجهه ، وسوابغ نعمائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وعلى آله ، وبعد ...

فإني أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان لكل من :

- شيخي الأستاذ الدكتور كاظم داخل ؛ لعظيم فضله عليّ في هذا العمل ،من توجيه ، وتصويب ، وتذكير عمَّا غفلت ، وإعارته إيايَّ كثيرا من مراجعه التي تصب في صالح الدراسة طيلة مدة الكتابة ، فجزاه الله عني خيرا ، وبارك في علمه، وعمره .

- رئاسة جامعة المثنى متمثلة بـ أ.د. عامر علي العطوي ، وعمادة كلّية التربية بـ أ.م.د. باسم خيري خضير ، ورئاسة قسم اللغة العربية بـ أ.د. أحمد حسين عبد السادة ، رفع الله درجتهم وأعلى مقامهم .

- أساتيذي الأفاضل في قسم اللغة العربية في كليتي التربية العامة والأساسية ،ولا أستثني منهم أحدا ، فالله تعالى أسأل أن يزيدهم علما ، وتوفيقا .

- أستاذيَّ الدكتور رياض حمزة عبود ، والأستاذ رائد عباس السويدي ، وزملائي من طلبة الدراسات العليا ،ومكتبتي اللغة العربية في جامعتي القادسية والمثنى ، أمانة وأعضاء ؛ لمدِّهم يد العون لي بالمصادر، والمراجع ، وفقهم الله لكل خير وصلاح .

- أمي ، وأبي وكل من ساعدني في هذا العمل، أو دعا لي بأمر لله فيه رضا، ولي فيه صلاح .

وسام عبد الساده

المُحتَوَيَات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ- ب-ت-ث
التمهيد : أبو العلاء المعري ومفهوم الخطاب ومسالكه في المنظومة المعرفية	١-١٩
أولا: أبو العلاء المعري	١
ثانيا : رسائل المعري	١
ثالثا : الخطاب لغة واصطلاحا	٢
رابعا : الخطاب في الدرس اللساني الحديث	٣
خامسا : الخطاب والنص	٤
سادسا : مناهج تحليل الخطاب	٧
سابعا : مسالك الخطاب	٩
ثامنا : من استراتيجيات الخطاب إلى مسالكه	١٣
تاسعا : المسالك والعلاقات النصية	١٥
عاشرا : المسالك والغايات والمقاصد	١٧
الفصل الأول : المسالك البيانية والموقفية	٢٠-١٠٥
توطئة	٢١
المبحث الأول : المسالك البيانية	٢٣
أولا :مسلك التصريح (الحقيقة)	٢٣
أ- الحقيقة اللفظية	٢٦
ب- الحقيقة المعنوية (العقلية)	٣١
ثانيا :مسلك التلميح	٣٤
١- المجاز	٣٤
٢- المشترك اللفظي	٤٩
٣- الحذف	٥٤
٤ التقديم والتأخير	٦٢
٥- الإيجاز والإطناب	٦٩
ثالثا: مسلك الإبهام	٧٨-٨٧
المبحث الثاني :المسالك الموقفية	٨٨
١- مقام الكلام بحسب مقاصد المتكلم وأغراضه	٩٢
٢- مقامات الكلام بحسب المخاطب (الإفادة)	٩٤
٣- مقامات الكلام بحسب السياق	٩٨
٤- مقامات الكلام بحسب الموقف	١٠٢
الفصل الثاني : المسالك البنائية	١٠٧-١٩٢
المبحث الأول :المسالك النظمية	١٠٨

أولا :الأفعال الكلامية	١١٠
أ- الإخباريات	١١٤
ب-التوجيهات	١١٧
ت- الإلزاميات	١١٨
ث- التعبيرات	١٢١
ج- الإعلانيات	١٢٤
ثانيا : الدلالة الكلامية والسكوتية	١٢٦
١- الموافقة	١٢٧
٢- المخالفة	١٣٠
المبحث الثاني : المسالك التأليفية	١٣٤
أولا: شروط توفر سمة النصية	١٣٤
١- التنظيم	١٣٤
٢- الاتساق والتماسك	١٣٥
أ- التماسك النحوي	١٣٦
ب- التماسك المعجمي	١٤٩
ثانيا : أنواع المسالك التأليفية	١٥٤
١- المسلك السردي	١٥٤
٢- مسلك الوصف	١٦٥
٣- مسلك الاستدلال	١٧٠
٤-مسلك الشرح	١٨٢
الفصل الثالث : مسالك السَّوق	١٩٣
توطئة	١٩٤
المبحث الأول : التضمن	١٩٧
المبحث الثاني :الافتراض	٢٠٤
أ- الافتراض الوجودي	٢٠٥
ب- افتراض الحقائق	٢٠٨
ت-الافتراض المعجمي	٢١١
ث- الافتراض التركيبي	٢١٤
ج- الافتراضات التوهمية	٢١٧
د- افتراض النقيض	٢٢١
النتائج	٢٢٧
المصادر والمراجع	٢٣١
الأطاريح والرسائل	٢٤٤
البحوث المنشورة	٢٤٥
الملخص بالانجليزية	A-B-c

المُقَدّمة

الحمد لله الذي جعل من آياته اختلاف الألسن ،والألوان ، والصلاة على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أوتي معجزة القرآن ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : "فالإنسان بتطبعه كائن اجتماعي "، قال تعالى : ((**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**))[1]، إذا فالإنسان كائن تواصلي، ولما كان كذلك فلا بدَّ من وسيلة ذات سمات مميزة تمكنه من التواصل مع أفراد مجتمعه ، وكانت من بين هذه الوسائل اللغة ،التي هي أشرف ،وأسمى، وسائل التواصل ؛ ولذلك أصبحت ظاهرةً اجتماعية لها وظائف كثيرة، لعل من أبرزها وأهمها:

الوظيفة التواصلية ، وذلك بنقل المتكلم إلى متلقيه ما يريد من أخبار . والوظيفة التعبيرية التي يعبر بها المتكلم عن رغباته ومواقفه. ودراسة الخطاب أو تحليله إنما هو دراسة للغة في سياقاتها.

تتأسس عملية التخاطب بوجود متكلم يرغب بنقل رسالة ما إلى متلقيه ؛لتحقيق ما تحمله هذه العملية التخاطبية من مقاصد وغايات، ولما كان شرط التواصل تمام الفهم كان لزاما على المتكلم اللجوء إلى مسالك صحيحة ودقيقة ،يحاول بها تحقيق مقاصده وغاياته مع متلقيه الذي يفترض أن يكون هو الآخر يمتلك كفاية تخاطبية تمكنه من تحليل تلك المسالك الخطابية، ومن ثَم الوصول إلى ما سيقت له من مقاصد، وأغراض، وغايات .

ومن هنا تتأتى أهمية هذا الدراسة التي بين أيدينا ، إذْ أصبح (تحليل الخطاب) مجالا معرفيا حاضرا في كل زمان ،ومكان، يمارسه الناس في معظم فعاليات حياتهم بوعي حاضر أو كامن .

[1] الحجرات : ١٣ .

ولما كان أبو العلاء المعري من أحسن من نقل سمات العربية إلينا بمسالك خطابية دقيقة ،خاطب بها غير واحد من أبناء عصره، ولتوافر أركان الخطاب (المرسل ، الرسالة ، المتلقي) في الرسائل العلائية، صار المشهور من رسائله ميدانا للدراسة وتحليل الخطاب في محاولة منا محاورة الموروث الأدبي بما وصل إليه الباحثون المحدثون من نظريات ذات مرجعيات عربية في أغلبها ، ولعل نظرية (المسالك والغايات) للدكتور محمد محمد يونس ، خير مثال على ذلك ، وما اعتمادنا عليها إلا ؛لكونها منهجا شاملا ،موسوعيا ، انفتح على آفاق عدة، منها : علم البلاغة ، وعلم السرد ، وعلم النص ،وعلم النحو ، وعلم اللغة ، قامت هذه النظرية على أسس علمية عربية قديمة ،أصولية ،وبلاغية ، ولم تغفل عمّا وصل إليه المحدثون في مجال تحليل الخطاب ، فكانت بذلك نظرية متكاملة ، متماسكة الشكل ، متسقة الدلالة .

وكان عملنا قائما على انتخاب مصاديق للمسالك الخطابية من الرسائل العلائية ، ومن ثم تحليلها في محاولة منا الوقوف على ما سيقت لأجله من مقاصد ، وأغراض ، وغايات خطابية.

وقد زاوجت الدراسة بين الدراسات العربية القديمة وما توصل إليه البحث اللساني الحديث ، الغربي منه والعربي ؛ وذلك لإيماننا بأن معظم ما توصل إليه المحدثون يمت بصلة إلى ما كتبه القدامى من قبل ، وهذا ما يزيد الدراسة قوة ورصانة .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على ثلاثة فصول، تسبقها مقدمة ، فتمهيد ،وتعقبها خاتمة، ضُمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها ، تناولنا في التمهيد ، حديثا مختصرا عن ذكر بعض أخبار أبي العلاء ورسائله ، ومن ثم بيّنا الخطاب لغة واصطلاحا ،والخطاب في الدرس اللساني الحديث ، والخطاب والنص ،ومناهج تحليل الخطاب ، ومسالك الخطاب ،والمسالك والعلاقات النصية ، ومن ثم ذكرنا الأسباب التي دعت إلى العدول عن استعمال مصطلح الاستراتيجيات إلى المسالك ،ثم بيّنا المفهوم اللساني لمصطلحات(المقصد والغرض والغاية).

أما الفصل الأول الذي وسِم بـ (المسالك البيانية والموقفية)، فقد تضمن مبحثين :

المبحث الأول : المسالك البيانية ، وتضمنت: أولا : مسلك التصريح، ويتضمن : الحقيقة اللغوية ،والحقيقة المعنوية ،ثانيا: مسلك التلميح ، ويتضمن : المجاز ،والمشترك اللفظي ، و الحذف ، والتقديم والتأخير ،والإيجاز والإطناب ، وثالثا :مسلك الإبهام ويتضمن : الإلغاز ،والتورية .

والمبحث الثاني :المسالك الموقفية، وتضمن : مقامات الكلام بحسب مقاصد المتكلم وأغراضه ، ومقامات الكلام بحسب المخاطب (الإفادة) ، ومقامات الكلام بحسب السِّياق ، ومقامات الكلام بحسب الموقف .

والفصل الثاني عنوانه (المسالك البنائية)، وقد تضمن مبحثين :

المبحث الأول : المسالك النظمية ، وتضمن : أولا : الأفعال الكلامية ،وثانيا: الدلالة الكلامية والسكوتية .

والمبحث الثاني:المسالك التأليفية ، وقد اشتمل على محورين :

أولا :شروط توفر سمة النصية ، وتضمن : ١- التنظيم ، ٢- الاتساق والتماسك وتضمنا ، الاتساق النحوي، كالإحالة ،والحذف ، ولاستبدال ،والاتساق المعجمي ،كالتكرار ،والتضام .

ثانيا : أنواع المسالك التأليفية واشتمل على : المسلك السردي ،والمسلك الوصفي ،والمسلك الاستدلالي ،والمسلك الشرحي .

أمَّا الفصل الثالث الذي جاء بعنوان (مسالك السَّوق) فقد درسنا فيه تعريف القرينة ، وذكر أنواعها ،ثم نصب المتكلم قرينة أو أكثر تدل على مراده من الخطاب ، وقد بينا ذلك بوساطة أمرين :

أولا : التضمن

ثانيا : الافتراض .

وقد يلحظ القارئ تفاوتا بين فصول الدراسة من حيث العدد ،فهذا ما اقتضته طبيعة المادة العلمية .

ثم أفردنا ثبتا للمصادر ، والمراجع ،رتبت فيه ترتيبا ألف بائيا ، وجاء بعده ملخص باللغة الانجليزية .

و سلكنا في دراستنا هذه منهجا وصفيا تحليليا ، أي إننا نصف معالم الظاهرة ثم نحللها في ضوء مسالك الخطاب . وجعلنا من متن الدراسة محلا للإحالة إلى الآيات الكريمة ؛لكي لا يثقل الهامش بالمصادر.

وفي الختام أراني شائقا إلى أن أتقدم بوافر الشكر وعظيمه إلى شيخي الأستاذ الدكتور **كاظم داخل جُبير** ، الذي شرَّف البحث بإشرافه ، وقوم ما اعوج منه ، وأرشدَ الباحث ونبَّهه إلى ما غفل عنه، من مراجع، وأفكار ، لقد كان لي خير معين بآرائه السديدة وملاحظه الدقيقة ،وكنت بحضرته كالماء من السماء وموضع السيل من مطلع سهيل ،وأتوسل إلى الله تعالى أن يمد في عمره ،وأنّ تكون تحيته يوم يلقاه سلاما، كما أودُّ أن أتقدم بالشكر والامتنان لأساتيذي الأفاضل في قسم اللغة العربية ،جامعة المثنى .الذين أضاءوا سبل الحياة بعلمهم الثَّر لكثير من الأجيال .

وأتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان للعلماء أعضاء لجنة المناقشة الّذين سيصوبون ما اعوج من الرسالة ، لتخرج بيضاء مما يشوبها للقارئين إن شاء الله ، فأسأله تعالى أن يزيد محافل العلم ضياء بحضورهم ، الّذين لو كنت بالغا في الأدب أطوريَّ لكنت في حضرتهم كالقطرة تحت الصبير والحصاة إلى جانب ثبير .

ونسأل الله تعالى أن يسدد خطانا ، فالكمال لله وحده ، والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّهِ محمد الأمين وعلى آله وصحبه وسلم .

الباحث

التمهيد

أبو العلاء المعري ومفهوم الخطاب ومسالكه في المنظومة المعرفية

أولاً: أبو العلاء المعري:

هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف، ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين مِنْ شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة في المعرّة، وعُمي مِنَ الجدري أول سنة سبع وستين، قرأ النحو ،واللغة على أبيه في المعرة، وكان غزير الفضل، شائع الذكر، عالماً بالنحو، جيد الشعر، وله مِنَ النظم (لزوم ما لا يلزم)، وله(سقط الزند) أيضاً.

رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ، فأقام فيها سنة وسبعة أشهر، ثمَّ رجع إلى المعرّة، وأقام فيها إلى وفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم، وكان يحرّم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة، سمى نفسه رهين المحبسين؛ للزومه منزله، ولذهاب عينيه[١].

ثانياً: رسائل المعري:

"قال الشيخ أبو العلاء – رضي الله عنه – : لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة،واجتهدت أنْ أتوفر على تسبيح الله وتحميده، إلى أنْ اضطر إلى غير ذلك، فأمليت أشياء نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن هاشم، حسّنَ الله معونته، فألزمني بذلك حقوقاً جمّة، وأيادي بيضاء؛ لأنَّه أفنى معي زمنه، ولم يأخذ عمّا صنع ثمنه، والله يحسن له الجزاء، ويكفيه حوادث الزمان والأرزاء"[٢]، وقد "تجاوزت آثار (المعري) المائة عدداً بين مجلد كبير ورسالة لطيفة، ولم يبقَ مِنْ بعضها سوى العنوان"[٣].

و"رسائل المعري ثلاثة أقسام:

---

[١] ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ١١٣/١، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،بن محمد العماد : ٢٠٩/٥، معجم الأدباء ،ياقوت الحموي : ٢٩٦/٢٩٥/١، أبو العلاء المعري، عمر فروخ:١٣ ، أبو العلاء المعري، أحمد تيمور: ٢٣.

[٢] أنباه الرواة، جمال الدين القفطي: ٩١/١.

[٣] أبو العلاء المعري، مصطفى غالب: ٦٩.

الأول: رسائل طوال، تجري مجرى الكتب المصنفة، مثل: (رسالة الملائكة)، و(الرسالة السندية)، و(رسالة الغفران)، و(رسالة العروض).

الثاني: دون هذه في الطول، مثل (رسالة المنيح)، و(رسالة الإغريض).

الثالث: رسائل على نحو ما تجري به العادة في المكاتبة"[١]، وله رسائل أخرى[٢] ، إليك المطبوع منها:

- رسالة الغفران
- رسالة الصاهل والشاحج
- رسائل أبي العلاء المعري
- رسالة في تعزية أبي الرجال
- رسالة الهناء
- رسالة الملائكة
- رسالة المنيح
- رسالة الإغريض

ثالثاً: الخطاب لغة واصطلاحاً:

١- لغة:

ورد في معجمات اللغة: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة خطاباً"[٣]

و"هو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرها"[٤].

ومن ثمّ ننتهي إلى:

---

[١] كشف الظنون، حاجي خليفة: ٩٠١/١.
[٢] أبو العلاء المعري نسبه وأخباره: ٦٠، أبو العلاء المعري، أحمد تيمور: ٦٥، أبو العلاء المعري (مبصر بين عميان): ٦٨ – ٨٠، الأدب العربي في العصر العباسي، ناظم رشيد: ٢٨٤، مع المعري اللغوي: ١٠٢.
[٣] لسان العرب، ابن منظور: ٣٦١/١.
[٤] المصباح المنير، الفيومي: ١٧٣/١.

أ- الخطب والمخاطبة والتخاطب هو المراجعة في الكلام ومنه الخطبة[١].

ب- يقوم الخطاب على أركان ثلاثة هي المتكلم، والملفوظ ،والسامع.

٢- اصطلاحاً:

يُعرّف صاحب الكلّيّات الخطاب بأنّه: "اللّفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام مَنْ هو متهيئ لفهمه، احترز (باللفظ) عن الحركات، والإشارات المفهمة بالمواضعة و (بالتواضع عليه) عن الألفاظ المهملة و(المقصود به الإفهام) عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع ، فإنّه لا يسمى خطاباً، وبقوله: (لمن هو متهيئ لفهمه)، عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم"[٢]

يمكن أنْ نصل إلى أمر مفاده:

١- نلحظ التساوق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي وهو قصد المتكلم إفهام السامع.

٢- قوام الخطاب اللفظ المتواضع عليه وهو الكلام.

رابعاً الخطاب في الدرس اللساني الحديث:

"يعد (بيسونس) (Buyssen سنة ١٩٤٣) أول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات الألسنية، والذي رأى أنَّ الخطاب يمكن أنْ يكون موضوع نظرية ألسنية، ومن هنا ضرورة تأسيس ألسنية خطابية، في حين لم يتحدث الألسنيون الأوائل أمثال: (دي سوسير) و(هلمسليف) (Helmslef) و(جاكبسون) عن الخطاب"[٣].

"ويعرّف (بنفنيست) (E.Benvenist) (الخطاب) بأنّه عبارة عن ملفوظ ينظر إليه منْ جهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وهو كل تلفظ يفترض مرسلاً ومستقبلاً للمرسلة اللغوية، ويفترض عند الباث قصد التأثير على المتلقي بكيفية ما"[٤].

---

[١] ينظر: المفردات: ٢٨٦.
[٢] الكليات، الكفوي: ٤١٩، وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ٧٤٩.
[٣] مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، الزواوي بغورة: ٩٠.
[٤] لسانيات النص النظرية والتطبيق، ليندة قيّاس: ٤٠.

و"(الخطاب) قريب من التلفظ عند أ. (بنفنيست): فهو اللسان باعتبار أنَّ الإنسان المتكلّم يضطلع به وفي ظروف ذاتيّة متبادلة هي التي تجعل التواصل اللساني ممكناً"[١].

وعرّفه (ميشيل فوكو) "بقوله: (... هو أحياناً يعني الميدان العام لمجموع المنطوقات (Enonces)، وأحياناً أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات، وأحياناً ثالثة ممارسة لها قواعد، تدل دلالة وصف على عدد معيّن من المنطوقات وتشير لها"[٢]

أمّا (بول ريكو) فقد "استخدم مفهوم الخطاب عوضاً عن الكلام واستبدل ثنائية (دي سوسور) اللسان/الكلام، بثنائية اللسان/الخطاب، وقد وضع بدلاً مِنَ الكلام، ليس ليؤكد خصوصية الخطاب فقط، بل ليفرق بين علم الدلالة والسيمياء؛ لأنّ السيمياء في نظره تدرس العلاقات بين علم الدلالة يدرس الخطاب أو الجملّة"[٣].

وممن عرض لمفهوم الخطاب مِنَ الباحثين العرب، د. أحمد المتوكل، فعرّفه بأنّه "كل إنتاج لغوي يُربط فيه ربط تبعيةٍ بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية (بالمعنى الواسع)"[٤].

ويقول د. عبد الواسع الحميري: "يمكن النظر إلى الخطاب بوصفه (استراتيجية التلفظ) أو بوصفه نظاماً مركباً مِنْ عدد مِنَ الأنظمة التوجيهية ،والتركيبية ،والدلالية ،والوظيفية (النفعية) التي تتوازى وتتقاطع جزئياً أو كلياً في ما بينها"[٥].

خامساً: الخطاب والنص:

النص لغة :

"النص: رفعُكَ الشيء"[٦]، وقيل: "النون والصاد ' أصل صحيح يدلّ على رفعٍ وارتفاع ،وانتهاء في الشيء. منه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه"[٧].

---

[١] معجم تحليل الخطاب، باتريك ودومينيك: ١٨١.
[٢] مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٤-٩٥.
[٣] الخطاب بين رولان بارت وهابرماس، حياة لصحف – جامعة تلمسان العدد السادس: ٢.
[٤] قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ١٦.
[٥] ما الخطاب وكيف نحلله:د . عبد الواسع الحميري : ٩.
[٦] تهذيب اللغة، الأزهري: ٨٢/١٢.
[٧] مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣٥٦/٥.

النص اصطلاحاً:

عرّفه الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) بأنّه "ما زاد وضوحاً على الظاهر لمعنى المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، وهو ما لا يحتمل إلّا معنىً واحداً، وقيل: ما لا يحتمل التأويل"[١]، وهو بهذا المعنى عند الاصوليين[٢].

وليس المعنى الاصطلاحي ببعيد عن المعنى اللغوي، ففي الدراسات اللسانية الحديثة "يكتسي لفظ النص قيماً متغيرة، على غرار لفظي خطاب وملفوظ، في غالب الأحيان، يستعمل كمرادف لملفوظ، أي كمتوالية لغوية مستقلّة، أكانت شفوية ،أو مكتوبة، أنتجها متلفظ واحد أو عدّة متلفظين في سياق تبليغي اتصالي معيين"[٣].

وعرّف هاليداي ورقية حسن (النص) بأنّه "مجموعة متتالية من الجمل، شريطة أنْ تكون بين هذه الجمل علاقات، أو بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة"[٤].

"وأوجد بعض الباحثين فروقاً بين النص والخطاب، ومن هؤلاء (جيوفرى ليتش ومايكل شورت)، إذ عدّا الخطاب بأنّه تواصل لغوي ينظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع، أو تفاعلا شخصيا يحدد شكله غرضه الاجتماعي. والنص تواصل لغوي (سواء شفاهي أو مكتوب) ينظر إليه باعتباره رسالة مشفرة في أداتها السمعيّة أو البصريّة"[٥].

البصريّة"[٥].

"ويعلق (هاو ثورن) على هذا التقابل بين النص والخطاب بقوله: "يتعامل (مايكل ستابز ١٩٨٣) مع النص والخطاب باعتبارهما مترادفين، ولكنّه ينوه إلى أنّ النص قد يكون مكتوباً في بعض الاستخدامات، في حين أنّ الخطاب شفاهي، وقد يكون النص غير تفاعلي

---

[١] التعريفات: ٢٤١، وينظر: الكليات: ٩٠٨.
[٢] ينظر: التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان: ٢٢٨.
[٣] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومينيك مانغونو: ١٢٧.
[٤] لسانيات النص، محمد خطابي: ١٣.
[٥] الخطاب، سارة ميلز: ١٥-١٦.

بينما الخطاب تفاعلي... قد يكون النص قصيراً أو طويلاً، أمّا الخطاب فيدل على طول مؤكد، ولا بدّ للنص أنْ يتسم بتماسك سطحي، في حين لا بدّ للخطاب أنْ يتميز بتماسك أعمق"[١].

أمّا (روبرت دي بوجراند) "فوصف العلاقة بين النص والخطاب بأنّها علاقة جزء مع كل، قال: (فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشتركة، أي إنّه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق... وتابعه في هذا المعنى الدكتورة خلود العموش قالت: (أنّ كل خطاب هو نص... وليس كل نص خطاباً؛ لأنّ النص يُنظر إليه باعتباره آليات بنيوية داخلية يبنى بواسطتها الخطاب، أمّا الخطاب فيربو على النص بامتيازه بمكونات أخرى كأطراف التواصل وظروف التداول اللغوي)"[٢].

"ويبدو أنّ (كريستال) لا يفرق بين النص (text) والخطاب، غير أنّ كوك يطلق النص على ما يفهم على نحو صوري بمعزل عن السياق. أمّا (براون Broun ويولVule) فيستعملان النص للإشارة إلى الخطاب الشفهي، خلافاً (لديفيد نونان) الذي يستعمل النص للخطاب المكتوب"[٣].

نخلص من النصوص السابقة الذكر إلى نتيجة مفادها:

١- أنّنا لا نعنى بظروف إنشاء النص ،ولحظة ولادته، وظروفه المقامية في تحديد معناه ،ومفهومه، بقدر ما نعنى بعلاقات مكوناته الأساسية ،ووحداته الصغرى التي يتكون منها، سواء أكانت هذه المكونات ألفاظاً أم جملاً.

٢- الخطاب يعنى بظروف إنشائه ومتعلقاته ، إما العلاقات والتداخل بين مكونات النص، فهي سمة مشتركة بين النص والخطاب، فظروف الخطاب ومتعلقاته من سياق ومقام، وعناصره (المرسل – الرسالة – المتلقي) والعلاقة بين هذه العناصر، كلها لامناص منها في تحديد مفهوم الخطاب وتحليله.

٣- كل خطاب نص، وليس كل نص خطاباً.

---

[١] الخطاب : ١٦.
[٢] تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص: بن يحيى ناعوس: ٢٨.
[٣] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : د. محمد محمد يونس : ١٨.

وإذا كان كذلك فلا بدّ من تحديد مفهوم الخطاب وحدّه في هذا العمل، ونذهب في هذا إلى ما ذهب إليه محمد يونس من أنّ الخطاب هو "كل بنية متماسكة مركبة من مضمون إبلاغي أو معرفي أو عقدي أو عاطفي وشكل ملفوظ أو مكتوب تصدر من متكلم عاقل وترتبط بغرض ما"[١].

سادساً: مناهج تحليل الخطاب :

يمكن التعرف على مفهوم (تحليل الخطاب) قبل البدء بتحديد مناهجه. فـ"لتحليل الخطاب تحديدات متنوعة ويوجد تحديد واسع جداً: (هو تحليل استعمال اللغة) (Brown etrule)، وهناك تعريف آخر وهو: (دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية"[٢].

وعُرّف (تحليل الخطاب) بأنّه "تفكيك الخطاب أو (النص) وحلّه إلى وحداته التي ساهمت في بنائه الشكلي ودلالته؛ للتعرف على وظيفة كل عنصر منها في الخطاب، وأثرها فيه؛ لاستنباط أسراره ومقاصده، و(التحليل) عند مفسري الخطاب والنصوص المكتوبة يعبر به عن توضيح مضامين النصوص، والكشف عن المراد منها"[٣]، "وهذا يقتضي القول: إنّ تحليل بنية التلفظ/الخطاب، في أي ملفوظ منجز يتضمن بالضرورة تحليل بنية الأنا المتلفظة في الملفوظ المنجز ذاته، بما هي علاقة مجسدة بين من يتلفظ في الملفوظ، وما يتلفظ فيه، وما يتلفظ به، وما يتلفظ له أو لأجله، وما (أو من) يتلفظ إليه"[٤]

إذاً بعدما بيّنا المراد من(تحليل الخطاب) في الدراسات اللسانية، والمفاهيم التي خرج إليها، علينا الآن أنْ نحدد المنهج الذي يُستعمل في ضوئه هذا المفهوم لتحليل الخطاب.

فمنهج تحليل الخطاب هو "المنهج الذي اتبعه التوزيعيون في تحليل الصيغ اللغوية التي دون الجملة. ويقوم هذا المنهج على القول بكفاية دراسة الجوارات التي تظهر فيها الوحدات اللغوية في نص معين بصرف النظر عن المعنى مع توسيع عملية التحليل إلى ما يتجاوز

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : ١٨.
[٢] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، : ٩.
[٣] تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، د. محمود عكاشة: ١١.
[٤] ما الخطاب وكيف نحلله: د. عبد الواسع الحميري : ١١.

الجملة، يفضي هذا المنهج إلى إقامة أقسام تكافؤ، (classes deguira Lerce) أي مجموعة من الوحدات المنتمية إلى قسم توزيعي واحد اعتماداً على وحدة الجوار الذي تظهر فيه أجزاء الجمل، وتفضي هذه العملية إلى إقامة جدول ثنائي المدخل يجمع أفقياً بين الوحدة وجوارها وعمودياً بين الوحدات التي تكوّن قسم تكافؤ واحد"[١]

وأمّا جوليان براون وجورج يول فمقاربتهما لتحليل الخطاب هي "مقاربة لسانية بالدرجة الأولى، فهما يعالجان فيه كيفية استعمال الناس اللغة أداة للتواصل، وكيف يؤلف المتكلم رسائل لغويّة يوجهها إلى المتلقي فيقوم هذا بمعالجتها لغوياً على نحو خاص لتفسيرها"[٢].

والهدف من الخطاب هو "إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدة اللغوية المدروسة، وهذا مِنْ خلال دراسة النص (text) والسياق (con text)، وتهدف دراسة النص إلى وصف بنية الخطاب في ضوء مستويات الخطاب اللغوية: الصوت ،والبنية ،والتركيب، والدلالة. وتهدف دراسة السياق إلى ربط تفسير البنية التركيبية بالنص الكلي، والمقام الخارجي ،وخصائصه الإدراكيّة، والاجتماعية، والثقافية... فتحليل الخطاب عبارة عن تحليل استعمالات اللغة، فالهدف من تحليل الخطاب ليس البنية اللغوية، بل المعنى المرتبط بظروف الإنتاج"[٣].

ومصطلح (تحليل الخطاب) يشمل الخطاب سواء أكان محكياً ،أم مكتوباً، وهذا ما صرح به (سيتوبس) في تعريفه لـــ(تحليل الخطاب) على أنّه التحليل اللغوي للخطاب سواء أكان محكياً، أم مكتوباً، ويهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل: الحوار أو النص مهما كان حجمه، ويهتم بدراسة اللغة في سياقها"[٤]، "والسياق اصطلاحاً يتمثل بعلاقة الألفاظ مع بعضها، فضلاً عن الجمل والتراكيب المختلفة، وعلاقة ذلك كله بالظروف الخارجية.

ويعد (فيرث) مؤسس نظرية السياق التي عنيت بدراسة السياق الخارجي... الذي يشمل فضلاً عن السياقات اللغوية، السياق الثقافي، وأقوال المتخاطبين، وغير المتخاطبين،

---

[١] أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش: ٣٩/١.
[٢] تحليل الخطاب والدرس العربي، نعيمة سعدية، جامعة محمد خيضر – بسكرة، العدد الرابع، ٢٠٠٩ .
[٣] تحليل الخطاب في ضوء نظرية اللغة: ١٣- ١٤.
[٤] تحليل الخطاب والدرس العربي: ١١.

وأفعالهم، وكل الأشياء المتعلقة تعلقاً بالقولة المستعملة، وتأثير الحدث اللغوي. وهو يرى أيضاً أنّ الإنسان في كل زمان ومكان يحمل معه ثقافته والكثير مِنْ واقعه الاجتماعي"[١].

"وحتى يتمكن القارئ من فك شفرات النصوص وقراءتها قراءة واعية، لا بدّ أنْ يمتلك معرفة تمكنه من البرهنة على مدى اتساق النص ،وانسجامه إنطلاقاً من السياق الذي أنتج فيه"[٢]؛ "لأنّ تفسير النصوص بصفة عامة لن يكتمل إلّا إذا تضمن تفسيراً للأدب وسياقاته، ولن يكتمل تفسير الأدب إلّا بتفسير استعماله لوسائل التواصل المتاحة بصفة عامة"[٣].

سابعاً: مسالك الخطاب:

المسلك في اللغة "الطريق، سلكته سلوكاً... والسلك إدخال الشيء في الشيء تسلكه فيه"[٤].

وجاء في المقاييس "السين واللام والكاف، أصلٌ يدلُ على نفوذ الشيء في الشيء، يقال سلكت أسلكه، وسلكت الشيء في الشيء أنفذته"[٥].

أمّا حدّ المسلك اصطلاحاً، فنجده عند الأصوليين يعرّف بـــ"مسالك العلة، جمع مسلك. هو الطريق الذي يسلكه المجتهد في إثبات العليّة"[٦].

فـــ"مسالك العلة (هي) الطرق الدالة على الشيء قال المحقق البناني[٧]: سميت مسالك؛ لأنّها توصل إلى المعنى المطلوب، استعار المسالك الحسية للمعنوية بجامع التوصل إلى المطلوب،

---

[١] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء: د. محمد عبد العزيز، د. عرفات فيصل: ٢٤٨.
[٢] لسانيات النص: ١٦٧-١٦٨.
[٣] التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء: إبراهيم محمد: ٢٠٧.
[٤] العين، الخليل بن أحمد : ٣٨/٥، وينظر: مجمل اللغة: ابن فارس: ٤٧٢/١.
[٥] مقاييس اللغة: ١٧/٣.
[٦] تيسير التحرير، البخاري: ٣٨/٤.
[٧] هو عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي: فقيه أصولي... له (حاشية على شرح المعلى) في أصول الفقه، الفقه، توفي(١١٩٨هـ)، ينظر: الأعلام ، الزركلي: ٣٠٢/٣.

ففيه استعارة تصريحية، وعرّف ناظم السعود المسالك بقوله: ومسلك العلّة ما دلّ على علّيّة الشيء"[١].

وعرّفها عبد الوهاب خلّاف بقوله: "المراد بمسالك العلّة: الطرق التي يتوصل بها إلى معرفتها"[٢].

نستنتج مما سبق أنّ المسلك هو طريقة الوصول إلى المطلوب، أمّا ما نصّ عليه الأصوليون بـــ(مسلك العلّة) فهو طريق الوصول إليها ،ومعرفتها ومن ثمّ تشتمل المسألة على عموم وخصوص أي إنّ المسلك مفهوم عام، ومسلك العلّة مفهوم خاص وعليه يمكن أنْ يجري مصطلح المسلك على كلّ ما يراد الوصول إليه، وهذا يشمل تحليل الخطاب الذي يراد منه الوصول إلى المعنى.

وعن الأصوليين أخذ النحويون هذا المعنى واستعملوه في الصناعة النحويّة، كما هو الحال في كثير مِنَ المصطلحات ،والأحكام التي استعير استعمالها من الفقه إلى النحو، أي أصبح مصطلح المسلك متداولاً عند النحويين وإنْ كان ثمة اختلاف في ماهية المسالك، وأنواعها.

والمسالك عند الأصوليين هي "إلغاء الفارق بين الفرع والأصل، وتنقيح المناط، والطرد، والإيماء"[٣]، "والإجماع، والنص، والمناسبة، والسبر والتقسيم، والشبه، والدوران"[٤].

والدوران"[٤].

وأمّا المسالك عند النحويين فهي "الإجماع، النص، الإيماء، السبر والتقسيم، المناسبة، الشبه، الطرد، إلغاء الفارق"[٥].

وفي الدراسات اللسانية الحديثة، لم يكن مصطلح (المسالك) واسع الاستعمال كما بيّنا سابقاً في التراث الفقهي، والنحوي، حيث استعمل الباحثون مصطلح (الاستراتيجيات)

---

[١] الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة، حسن بن عمر: ٢/٣.
[٢] علم أصول الفقه: ٧٢، وينظر: البحر المحيط، الزركشي: ٢٣٤.
[٣] التحبير شرح التحرير، علاء الدين الدمشقي: ٣٤٥٦/٧.
[٤] البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي: ٢٣٤/٧.
[٥] الاقتراح، السيوطي: ٢٧٧/١.

كمصطلحا بديلا عن (المسالك) إلّا أنّ الدكتور محمد محمد يونس قد آثر مصطلح (المسالك) على (الاستراتيجيات) لأسباب سنعرض لها بعد سطور.

عرّف يونس (المسلك) بأنّه "طريقة في التعبير ترتبط بخطة ذهنية بسيطة ،أو مركبة ترمي إلى استثمار بعض المعطيات الوضعيّة ،أو السياقيّة ،أو القدرات المنطقيّة ،أو الأصول التخاطبيّة ،أو الوسائل الخطابيّة المتاحة، أو أكثر مِنْ نوع منها لتحقيق غاية ،أو أكثر مِنْ غايات التخاطب"[١].

وأحسب أنّ حدّ يونس (للمسلك) بأنّه (طريقة في التعبير) يتوافق والشهري في حده (لاستراتيجيات الخطاب) "بأنّها: عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسِل للتلفظ بخطابه، مِنْ أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدّي لتحقيق أهدافه، باستعمال العلامات اللغويّة وغير اللغويّة، وفقاً لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوّعة"[٢]، وقال أيضاً: "الاستراتيجيّة خطّة في المقام الأول للوصول إلى الغرض المنشود"[٣].

وبهذا يكون الاختلاف بين الباحثين في المصطلح أكبر منه في المفهوم، فمفهوم (المسالك، والاستراتيجيات) عندهما واحد تقريباً، وهو إنهما الطريقة التي يتبعها المرسِل في خطابه لتحقيق أغراضه وغاياته الخطابيّه.

وإذا ما عدنا إلى حدّ (المسلك) عند يونس، نجده يتضمن مفاهيم متعددة يمكن أنْ نعرض لها بالآتي:

١- قوله: "طريقة في التعبير" هذا يتوافق وما بيّنّاه مِنْ مفهوم (المسالك) في اللغة والاصطلاح، عند الأصوليين والنحويين. كما تضمّن هذا القول تخصيص مفهوم (المسلك) في التعبير أو الخطاب، بعد أنْ كان عامّاً يشمل كل طريقة يراد التوصل بها إلى غاية أو غرض ما.

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ٧٧-٧٨.
[٢] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٦٢.
[٣] نفسه: ٦٢.

٢- قوله: "ترتبط بخطّة ذهنيّة": يتضمّن هذا القول شرطاً أساسيّاً وهو أنْ يكون المتكلم عاقلاً وقاصدا بخطابه غرضا معينا ، فلا يندرج كلام (الغافل، والساهي والنائم) ضمن المسالك الخطابيّة؛ لفقده سمة التخطيط الذهني.

٣- كذلك يتضمّن قوله: (خطّة ذهنيّة) أسبقيّة إيجاد المسلك وتحديده ذهنيّاً قبل مخاطبة المرسَل إليه.

٤- قوله: "بسيطة أو مركّبة" يدلّ على أنَّ المسالك الخطابيّة تختلف باختلاف ثقافات المتكلّمين وكفاءتهم التداوليّة واللغويّة.

٥- قوله : "استثمار بعض المعطيات الوضعيّة أو السياقيّة" في هذا دلالة على أنّ نجاح التخاطب يقاس بما يمتلكه طرفا الخطاب مِنْ مرجعيّات مشتركة، كالمرجعيّات الثقافيّة واللغويّة وغيرها، مِنْ أجل تحقيق الغايات ،والأغراض الخطابيّة، التي مِنْ أجلها رُجّح مسلك على آخر.

٦- قوله: "أو الوسائل الخطابية المتاحة أو أكثر من نوع منها لتحقيق غاية أو أكثر من غايات التخاطب"، يدل على أنّ المتكلّم قد يسلك أكثر من مسلك (تتداخل المسالك) لتحقيق غاية أو أكثر من غايات التخاطب، و يدل على أن المسلك الواحد قد يساق لأكثر من غاية ،وغرض خطابي، وهذا ما سيتّضح لنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

والمسالك الخطابيّة هي: "المسالك البيانيّة ،ويندرج تحتها المسالك التصريحيّة ،والتلميحيّة، ومنها: المسالك الموقفيّة أو التفاعليّة، ومنها: المسالك البنائيّة التي تعنى بالشكل الخطابي، ويندرج تحتها نوعان: نوع على المستوى الجملة ويسمى مسلك التأليف، وتندرج تحتها المسالك النمطيّة (كالسرد ،والوصف ،والشرح ،والحجاج)، وهناك أيضاً مسالك السوق التي تسخّر فيها القرائن المنصوبة لخدمة مراد المتكلّم"[١].

استعمل مصطلح (الاستراتيجيات) بالمعنى اللساني الحديث لها غير باحث، مِنْ هؤلاء عبد الهادي الشهري[٢]، الذي تحدث عن مفهومها في الخطاب وعرّفها بأنّها: المسلك الذي يسلكه المتكلم في خطابه لتحقيق غرضه المنشود. وهذه (الاستراتيجيات) عنده أربع:

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٠-١٠١.
[٢] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة.

(التضامنيّة، التوجيهيّة، التلميحيّة، الإقناع). كما استعمل هذا التقسيم الدكتور: يوسف تغزاوي[١]، والدكتور باسم خيري[٢]. وعملت دليلة قسمية رسالة ماجستير بعنوان (استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف) وغير هؤلاء ممن استعمله في المجالات العلميّة الأخرى.

إذاً مفهوم (الاستراتيجيّة) في الدرس اللساني الحديث عند من استعمل هذا المصطلح هو: الطريقة التي يسلكها المتكلّم على وفق ما يمتلكه من كفاية تداوليّة ،ولغويّة، وذلك عن طريق النظم ،والتأليف، بغية تحقيق أغراضه ،وغاياته التخاطبيّة.

ثامناً: من استراتيجيات الخطاب إلى مسالكه:

"جاء لفظ استراتيجيّة مِنْ فنّ قيادة عمليات جيش في ميدان القتال (وهو يقابل إذ ذاك tacttque خطة) إلى حد أنّها آلت إلى تعيين جزء من الفنون العسكريّة وأمكن لها أن تكون موضوع تعليم (دروس الاستراتيجية في المدرسة الحربيّة). وقد انتهى الأمر بهذا المفهوم إلى اكتساب معنى أعمّ يفيد كلّ عمل يتم القيام به بصفة منسّقة لبلوغ هدف ما"[٣].

"وبعد ما كان مصطلح (الاستراتيجيّة) مصدرا صناعيا من الفنون العسكريّة ،ويقصد بها التخطيط ،وتحديد الوسائل التي يجب الأخذ بها في القمّة والقاعدة لتحقيق الأهداف البعيدة... سرى المصطلح (بعد ذلك) على أيّة عمليّة تخطيط منفذة بدقّة، لها أهداف وغايات محددة"[٤]، كما هو الحال في علم النفس الاجتماعي حيث "اقترح (كارون) في علم النفس الاجتماعي ألّا نتحدث عن الاستراتيجيات إلّا إذا توافرت الشروط التالية: مقام عدم التيقن [...] هدف يرمي إليه الفاعل...، تعاقب منظم لاختيارات معبّرة عن خطّة عامّة"[٥].

---

[١] الوظائف التداوليّة.
[٢] استراتيجيّات الخطاب عند الإمام علي.
[٣] معجم تحليل الخطاب، باتريك شورودو: ٥٣٢، وينظر: استراتيجيات الخطاب،د. باسم خيري: ٢٥.
[٤] المرجع السابق : ٢٥.
[٥] معجم تحليل الخطاب، باتريك، ودومينيك: ٥٣٢.

أمّا "مفهوم الاستراتيجيّة في الخطاب، فهو استعمال الناس للغة بكيفيّات منظّمة ومتناسقة تتناسب مع مقتضيات السياق، أي استعمال العلامات المناسبة في السياق المناسب"[١].

وصرّح الشهري في حدّه لاستراتيجية الخطاب بمصطلح (المسلك)، قال: "يمكن تعريف استراتيجيّة الخطاب، بأنّها: عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسِل للتلفظ بخطابه، مِنْ أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي لتحقيق أهدافه، مِنْ خلال استعمال العلامات اللغويّة وغير اللغويّة، وفقاً لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسِل"[٢].

يبدو أن استعمال الباحث (مسالك الخطاب) من دون استعمال (الاستراتيجيات) له ما يسوّغه، ويمكن أنْ نجمله في الآتي:

١- ينطلق الشهري الذي جرّ مصطلح الاستراتيجيات إلى الخطاب مِنْ مرجعيته العسكريّة؛ إذ هو ضابط في الجيش.
٢- لمّا كانت الاستراتيجيّة مفهوماً عسكريّاً فمن غير الممكن أنْ تُستعمل في مجريات الخطاب، فشتان بين الميدان الحربي والميدان الخطابي؛ إذ الأول يرمي إلى إنهاء الآخر أو إقصائه بينما الثاني يرمي إلى التفاهم والتقارب والتواصل، وبيان الغرض الخطابي.
٣- لا مناص لمن تبنى الاستراتيجيّة أنْ يقرّ بأنّها المسلك ،وهذا ما اتضح في تعريفهم للاستراتيجيّة.
٤- المسلك أقرب إلى الخطاب من الاستراتيجيّة لا سيّما أنّه متأتٍ مِنْ مفهوم أصولي، وهذا الأخير ذو علقة واضحة بالخطاب بخلاف المفاهيم العسكريّة التي لا تمتّ للخطاب بصلة.
٥- "مصطلح (الاستراتيجيّة) يتضمن معنى التخطيط الدقيق بعيد المدى وما يتطلّبه ذلك مِنْ طول الزمن والتأنّي، وهو وإنْ وجد في بعض الخطابات، ولا سيّما

---

[١] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٥-٥٦.
[٢] نفسه : ٦٢.

النصوص المكتوبة فإنّه يكاد يغيب عن معظمها، ... وعادة ما تحتاج الاستراتيجيّات والتكتيكات إلى وسائل ماديّة؛ لتحقيق الغايات المنشودة والتمكن مِنْ إتمام المهمّة"[١]

٦- إنَّ معنى الاستراتيجيّة هو أقرب إلى معنى الثبوت، وهذا ما لا ينسجم والخطاب؛ لما تتطلّبه عمليّة التخاطب مِنْ تغيير مستمر وسريع، يتناسب والمقامات أو السياقات المختلفة والمتجددة تبعاً للظروف التخاطبيّة، والعلاقات بين المتخاطبين.

٧- إنَّ لقانون السهولة والتيسير الذي تسعى إليه اللغات أثراً كبيراً في اختيار واستعمال الأنسب من المصطلحين، وهذا ما يتناسب والمسلك دون الاستراتيجيّات.

٨- أرى أنَّ النصَّ بوصفه كائناً حيّاً هو أقرب إلى ماهيّة (المسلك) المرنة المتغيرة، وأبعد عن (الاستراتيجيّة) التي تتضمن معنى الثبوت.

٩- إنَّ مفهوم (المسلك) يضرب قصيّاً بجذور الفهم اللساني العربي فضلاً عن أنّه أقرب إلى دائرة التفكير الذهني التي هي أساس مهم مِنْ أسس الخطاب.

تاسعاً: المسالك والعلاقات النصيّة:

رُبَّ سائلٍ يسأل: هل ثمّة عُلقةً بين ما نحن في سبيله (المسالك الخطابيّة) والعلاقات النصيّة التي هي قوام الانسجام والركن الرئيس فيه؟. ونقصد بـــ (الانسجام) "الترابط والتعالق الدلالي بين عناصر النص"[٢]. "حيث يقوم النظام الكلي للنص على مبدأ مهم هو التماسك (الانسجام) على مستوياته النحويّة ،والمعجميّة، والدلاليّة، والتداوليّة"[٣].

الجواب عن السؤال السابق هو أنَّ العلاقات النصية تمثل الوحدات الصغرى لبعض المسالك، وهي تتآزر معاً مكونة مسالك معيّنة تسير نحو غاية محددة، وفضلاً عن هذا فثمّة مسالك قائمة على هذه العلاقات وهي (المسالك البنائيّة)، "التي تعنى بعمليتي بناء الجملة وبناء النص، وتشتمل على نوعين من المسالك: المسالك النظميّة التي تظهر على مستوى الجملة في

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ٧٢.
[٢] آيات القول دراسة نصية، د. كاظم داخل: ١٣٨.
[٣] التماسك النصي في شعر الخنساء: ١٥، وينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٦٨-٢٦٩.

شكل ما يسمى بأفعال الكلام كالإخبار، والأمر، والاستفهام، والمسالك التأليفيّة المتمثلة في أنماط الخطاب السردي، والوصفي، والاستدلالي، والشرحي"[١].

يمكن أنْ نشير إلى العلاقات النصية إجمالاً وهي[٢]:

١- "الإجمال والتفصيل.

٢- علاقة السبب بالنتيجة.

٣- علاقة السؤال بالجواب.

٤- علاقة الشرط بالجواب".

٥- "علاقة الوصل.

٦- إعادة الصياغة.

٧- علاقة التقابل أو التضاد.

٨- علاقة التمثيل.

٩- علاقة البديل.

١٠- علاقة الاستثناء"[٣].

ومِنْ بين هذه العلاقات ما أشار إليها يونس في كتابه (تحليل الخطاب وتجاوز المعنى)، وهي: "علاقات الإضافة، والنعت، والبدل، والعطف، والتوكيد"[٤]. وقد عدَّ هذه العلاقات في ضمن (المسالك البنائيّة)، وربّما نجد في المسالك الأخرى علاقات لم يشر إليها يونس، وهذا يتضح في قادم البحث.

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٦.
[٢] لسانيات النص، ليندة قيّاس: ١٣٩-١٥١.
[٣] التماسك النصي في شعر الخنساء: ١٦٨-٢٠٣.
[٤] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٧.

عاشراً: المسالك والغايات والمقاصد:

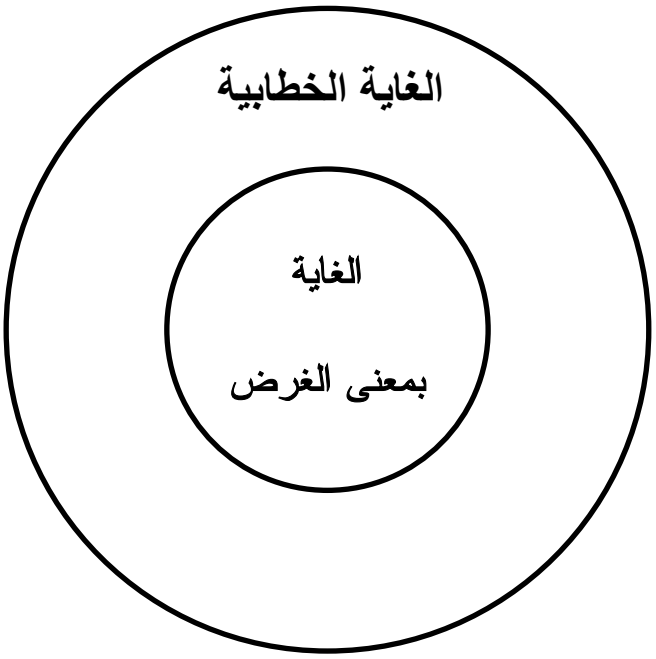
"المراد من الغاية كما ذكر اللغويون هو (المدى) بمعنى الأمد الأعم الزماني والمكاني أو قل الغاية هي المنتهى"[١].

"كما تطلق الغاية على نهاية الشيء وطرفه، وكذلك على الفائدة المقصودة منه، وقد استعملت في لسان الأصوليين بمعنى نهاية الشيء ومنتهاه"[٢]. قال الزركشي: "هي نهاية الشيء ومنقطعه"[٣].

وقال التهانوي مفرقاً بين (الغاية بمعنى الغرض) و(الغاية بمعنى المصلحة والحكمة التي تترتب على فعل الفاعل): "قالوا: كل مصلحة وحكمة تترتب على فعل الفاعل تسمّى غاية مِنْ حيث إنّها على طرف الفعل ونهايته، وتسمّى فائدة أيضاً مِنْ حيث ترتيبها عليه، فهما، أي الغاية والفائدة متحدتان ذاتاً ومختلفتان اعتباراً، وتعمّان الأفعال الاختياريّة وغيرها. والفرق بين الغاية بمعنى الغرض والغاية بهذا المعنى، أنّها بهذا المعنى أعم من الغاية بمعنى الغرض لوجودها في الأفعال الاختياريّة ووجود الغاية بهذا المعنى فقط في الأفعال غير الاختياريّة، ووجودها بمعنى الغرض فقط فيما إذا أخطأ في اعتقاده"[٤]. ويمكن أن نوضح هذا المعنى بالشكل الآتي:

---

[١] المعجم الأصولي، محمد صنقور: ٧٨٣.
[٢] المقاصد والغايات، د. حمدي صبح طه: ٨-٩.
[٣] البحر المحيط في أصول الفقه: ٤/٤٥٩.
[٤] كشاف اصطلاحات الفنون: ٢/١٢٤٦.



"وكل ما ذكر هنا من (معاني الغاية عند اللغويين ،والأصوليين) ينطبق إلى حدّ كبير على ما نقصده بالغايات الخطابيّة، ومِنْ أهمّ هذه الغايات: الإبلاغ، والطلب، والتعلم ،والتعليم، والإفصاح، والتفسير، والتأثير، والإقناع، والإمتاع، والتواصل"[١].

وأمّا المقاصد فتدل في اللغة على إتيان شيء، قال صاحب المقاييس: "القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدهما على إتيان شيء وأمّه"[٢].

وفي اصطلاح الأصوليين والفقهاء، يقول الدكتور حمدي صبح طه: "لو أردنا تعريفاً يجمع كل ما يندرج تحت مصطلح مقاصد الشريعة من أنواع لقلنا: مقاصد الشريعة هي: ما أراد الشارع حصوله بالأحكام أو بجملة منها"[٣].أمّا القصد في اللسانيات الحديثة فـــ "تتنوع الأفعال اللغوية عليه، وتنوعها ليس محكوماً بشكلها اللغوي، بل محكوم بقصد المرسِل، بالدرجة الأولى، من خلال المواءمة بين الشكل اللغوي المناسب وبين العناصر السياقيّة. ولا يمكن أنْ يكون المعنى الحرفي للغة هو معنى الخطاب الوحيد، ويتحدد القصد من خلال السياق

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ٨٢.
[٢] مقاييس اللغة: ٩٥/٥.
[٣] المقاصد والغايات: ٨.

بعناصره الكثيرة، فهو ركيزة في الخطاب لتجسيد معنى المرسِل، بدلاً من التقيد بالمعنى اللغوي البحت، رغم أنّه قد يتطابق معه في بعض السياقات"[١].

وقد بيّن الدكتور يونس هذا الأمر بقوله: "ولعلّ قصة إبراهيم – عليه السلام – مع قومه توضّح لنا بجلاء كيف يمكن استثمار السياق الاجتماعي ، والثقافي ، والمقامي لبناء مسلك حجاجي متعدد المقاصد ، والأغراض ، والغايات؛ إذ بالتأمل في قوله تعالى:{ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ }[الأنبياء: ٦٢-٦٣]، فسنجد أنّ سيدنا إبراهيم – عليه السلام – كشف في الآيتين السابقتين عن عدد مِنَ المقاصد الكلاميّة، مثل إنكار كسره للأصنام، وتنبيه قومه على عجز الأصنام، والتعريض بسفاهتهم، وتبكيتهم، ودعوتهم إلى عبادة العليّ القدير؛ لتحقيق أغراضه التخاطبيّة وهي الوعظ والتوجيه والإرشاد والنصيحة والتعليم والتبليغ والجدل، ليصل بذلك إلى تحقيق غايتين مِنْ غايات التخاطب هما الإقناع والتأثير، وقد تحقق له كلّ ذلك باستعمال جملة مِنْ المسالك كالتلميح، والتصريح ،والاستدلال"[٢].

حتى "تتحقق غايات التخاطب ،وأغراضه (وتتضح مقاصده) يلجأ المتكلم عادة إلى مسالك الخطاب التي تمكنه عند اقترانها بوسائل نظميّة، وخطابيّة جزئيّة مِنَ الكشف عن المقاصد الآنيّة المباشرة، للقولات اللغوية المجسدة لتلك الأغراض ،والغايات العامة"[٣]

---

[١] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية: ٧٨.
[٢] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ٨٦-٨٨.
[٣] نفسه: ٨٥-٨٦.

الفصل الأول

المسالك البيانية والموقفية

- ❖ توطئة.
- ❖ المبحث الأول: المسالك البيانية:
  - أولاً: مسلك التصريح :
  - ثانياً: مسلك التلميح.
  - ثالثاً: مسلك الإبهام.
- ❖ المبحث الثاني: المسالك الموقفية.

توطئة:

إذا كان لجوء المتكلم لمسلك التصريح "يقتضي أنْ نفترض حرص المتكلم على صوغ كلامه على نحوٍ يتوخى فيه الصدق ،والدقة ،ومناسبة المقام التّخاطبي"[١] ويقتضي استعمال المتكلم للغة حسب مواضعاتها للتعبير عن قصد المُرسِل في كافة المستويات، ومنها المستوى الدلالي، أيْ أنْ يعبِّر عن قصده وفق شكل اللغة الدلالي مباشرةً بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهرياً"[٢]، "وإذا كانت هذه الشروط ضرورية للإيفاء بمستلزمات المسلك التصريحي، فإنَّ التلميح قد يكون خياراً مستحسناً في كثير من المقامات التخاطبية"[٣].

ويتحقق مسلك التلميح عندما "يعبر المُرسِل عن قصده بما يغاير معنى الخطاب الحرفي؛ لينجزَ أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق"[٤].

يتحقق التلميح بالعدول عن بعض الأصول بأيِّ نوع من أنواع العدول سواء أ كان عدولاً كيفياً كانتهاك مبدأ الحقيقة، أو كمياً بأنْ حذف، أو أضمر، أو كرر، أو أوجز، أو أطنب، أو موقعياً بأنْ قدم وأخر ... وقد يكون التلميح باللجوء إلى الوسائل الدلالية، فيضمن كلامه بعض الافتراضات أو المفاهيم التخاطبية"[٥].

أمّا المسلك الثالث من المسالك البيانية فهو مسلك الإبهام "ويستعمل فيه وسائل مثل التورية ،والإلغاز، وقد أُدرِجتْ هذه الوسيلة ضمن المسالك البيانية _وإن كانت توحي بغير ذلك_؛ لأنها مكملة لها، وتدخل معها في علاقة توزيع تكاملي"[٦]، والتورية: "أنْ يريد المتكلم بكلامه خلاف الظاهر"[٧]

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٢.
[٢] الوظائف التداولية : ٢٠١ – ٢٠٢.
[٣] المرجع السابق : ١٠٢.
[٤] استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية: ٣٧٠.
[٥] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : ١٠٣ – ١٠٤.
[٦] نفسه: ١٠٤.
[٧] التعريفات: ٧١.

أو "أنْ تكون الكلمة بمعنيين، فتريد أحدهما فتوري عنه بالآخر"[١]. أمّا الإلغاز فهي: "أنْ يؤتى بلفظ ولكن يراد مرادفه ويجيء لفظ المعمى"[٢].

أمّا القسم الثاني من المسالك الخطابية في هذا الفصل فهو المسالك الموقفية، ويراد بـــ "سياق الموقف البيئة غير اللغوية أو الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروفٍ ،وملابساتٍ، ويبين معناه، وتشمل هذه البيئة ما يأتي[٣]:

١- زمن المحادثة ومكانها.

٢- العلاقة بين المحادثين.

٣- الكلام السابق للمحادثة".

"فعلى المتكلم أثناء تعبيره عن قصده مراعاة قرائن الأحوال ،ومقامات الكلام، وإصدار كلامه حسب المقتضى؛ كي يضمن لقصده الوصول وتحقيق الفائدة لدى السامع؛ لأنَّ السامع يستند للمقام وقرائن الأحوال في كشف المعنى المقصود من الكلام، وذلك في عملية عكسية يقوم بها يكون للسياق فيها دور فعال في توجيهه لمقاصد المتكلم من خطابه"[٤].

---

[١] مقاييس اللغة: ٣٦٠/٣.
[٢] كشاف اصطلاحات الفنون: ٤٠٩/١.
[٣] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء: ١٦٢.
[٤] اللغة العربية معناها ومبناها: ١٣٦.

المبحث الأول

المسالك البيانية

أولاً: مسلك التصريح (الحقيقة):

استعمل الأصوليون والبلاغيون مصطلح (الحقيقة) مصطلحاً موازياً لما هو معروف عند اللسانين حديثاً بـــ(التصريح)، ويكاد يكون المصطلحان متفقين في دلالتهما وإن اختلفت بعض ألفاظ حدودهما بين الباحثين[١].

عرّف ابن جني (ت٣٩٢هـــ) الحقيقة بأنّها: "ما أُقرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة"[٢]، والحقيقة عند السكاكي (ت٦٢٦هـــ) هي: "الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع ..."[٣]، وعلل استعماله للقيد من غير تأويل في الوضع بأنّه ذكره "ليحترز به عن الاستعارة، ففي الاستعارة تُعد الكلمة مشتملة فيما هي موضوعة له على أصح القولين، ولا نسميهما حقيقة بل نسميهما مجازاً لغوياً لبناء دعوى المستعار موضوعاً للمستعار له على ضرب من التأويل"[٤].

وإذا ما خُصصت الحقيقة بعلم من العلوم فلا بدَّ مِنْ ذكر اسم الواضع وتعيينه، كما في الحقيقة الشرعية عند الأصوليين، فهي: "اللفظ المستعمل فيما وضع له في عرف الشرع، أي وضعه الشارع لمعنى، بحيث يدل عليه بلا قرينة، سواء كان ذلك لمناسبة بينه وبين المعنى اللغوي؛ فيكون منقولاً، أو لا فيكون موضوعاً مبتدأ"[٥]، وكذلك الحال بالنسبة للحقيقة اللغوية وغيرها.

مما تقدم يظهر أنَّ الحقيقة هي: "الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير"[٦].

---

[١] ينظر: حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز: د. سمير أحمد: ٨٠ -٨١.
[٢] الخصائص: ٤٤٤/٢.
[٣] مفتاح العلوم: ٣٥٨.
[٤] نفسه: ٣٥٨.
[٥] كشاف اصطلاحات الفنون: ٦٨٤/١.
[٦] الصاحبي في فقه اللغة: ١٤٩.

ويعطي المفسرون حداً للحقيقة أحسبه جامعاً لأفراد مصطلح (الحقيقة) مانعاً دخول ما ليس منه فيه، فهي عندهم:" استعمال اللفظ فيما وضع له من المعنى في اصطلاح التخاطب"[١]، "ومعنى الوضع: أنْ يصطلح القوم على أنْ يضعوا لكل معنى كلمة تدل عليه وهذا الوضع هو الذي يسمى الحقيقة"[٢].

والحقيقة نوعان: "لفظية وهي التي تقوم على استعمال اللفظ المفرد فيما وضع له في الأصل كالقلم لأداة الكتابة، والحقيقة المعنوية: وتقوم على الإسناد، إسناد المعنى إلى صاحبه الحقيقي، كالنطق إلى الإنسان..."[٣]، وهذا القسم الثاني من الحقيقة هو ما يصطلح عليه البعض – منهم الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) – بـ (الحقيقة العقلية)، وهي عنده: "اسناد الفعل أو ما معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر"[٤]، وقسمت عند غير هؤلاء على"لغوية – وعقلية"[٥]، "وسميت عقلية؛ لأنَّ المعنى فهم من العقل لا من اللغة كما في الحقيقة اللغوية"[٦].

اللغوية"[٦].

أمّا في اللسانيات الحديثة فقد تعددت المصطلحات التي تشير إلى بيان قصد المتكلم أو المُخاطِب ومدى وضوح مقصده مِنْ الخطاب، فمما لا ريب فيه أنَّ لكل متكلمٍ قصداً وغرضاً يريد إفهامهما متلقيه؛ لغرض التواصل أو غيره من أغراض الخطاب، "وموضوع التواصل غدا حجر الزاوية في علم اللغة الحديث؛ لأنّه مرتبط باللغة التي يتداولها اثنان فأكثر لغرض نقل المعلومات والأفكار والكلام بينهما/ بينهم"[٧]، ومن المصطلحات اللسانية الحديثة التي تقترب من مفهوم (الحقيقة) المشار إليه سابقاً، مصلحات (المسالك المباشرة)، (مبدأ البيان)، (المسالك التصريحية)، (المسالك التوجيهية)[٨]، بالمفاهيم الخاصة لهذه المصطلحات عند أصحابها، ولعل من تتمة الكلام أنَّ أبين بعض المفاهيم للمصطلحات المشار إليها سابقاً،

---

[١] التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي: ٤٢/١.
[٢] المجاز بين التأصيل البلاغي والنظريات الأسلوبية، ربيع بن مخلوف:٧٥.
[٣] مدخل إلى البلاغة العربية، يوسف أبو العدوس: ١٧٠.
[٤] الإيضاح: ٨١/١.
[٥] علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي: ٢٤٧.
[٦] مدخل إلى البلاغة العربية: ١٧٠.
[٧] في اللسانيات المعاصرة: ١١ – ١٢.
[٨] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٢٧.

"فالمسالك المباشرة هي التي يتوخاها المتكلم ليدل على قصده أو ينجز بها فعله اللغوي بدلالتهما الحرفية"[١].

ويضع الدكتور محمد يونس أصولاً ومعايير ينبغي للمُرسِل اتباعها إذا ما أراد اتباع المسلك التصريحي وهذه الأصول هي[٢]:

١- استعمال الحقيقة وتجنب المجاز.

٢- استعمال الألفاظ المتباينة وتجنب المشترك اللفظي.

٣- الذكر وتجنب الحذف والإضمار.

٤- الالتزام بالترتيب وتجنب التقديم والتأخير.

٥- الالتزام بالمساواة بين اللفظ والمعنى، وتجنب الإيجاز والأطناب".

وقد استعمل العرب بعض القرائن وصرحوا بها بوصفها دليلا على قصد المتكلم ،من تلك القرائن، استعمالهم لضمير الفصل، لإزالة اللبس ولاسيما تحديد الخبر، ويسميه الكوفيون عماداً؛ لأنّه يعمد إليه في تعيين الخبر[٣].

وتعد (التصريحات) أحد الأصناف الخمسة للأفعال الكلامية عند (سيرل)، وهذه الأصناف هي: (الإثباتية، التوجيهية، الإلزامية، التعبيرية، التصريحات)[٤]، إذ يرى " أنَّ الأفعال المباشرة هي التي يكون معناها مطابقاً لما يريد المُرسِل أنْ ينجزه مطابقة تامة ودالة على قصده بنص الخطاب"[٥].

بعد أنْ بينّا مفهوم الحقيقة عند علماء البلاغة الأوائل وكذلك عند اللسانيين المحدثين، سنعمد إلى البحث عن مصاديق هذا المصطلح وأقسامه في النصوص محل الدراسة، محاولين الوقوف على المقاصد الخطابية وبيانها، مروراً بالأغراض الخطابية، ووصولاً إلى الغايات التي مِنْ أجلها سِيق الخطاب.

---

(١) الوظائف التداولية: ١٩١.
(٢) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٣.
(٣) ينظر: قضايا في اللسانيات، محمد محمد يونس: ٧٢.
(٤) ينظر: العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل: ٢١٩.
(٥) محاضرات في اللسانيات التداولية، خديجة أبو خشة: ٢٨.

أ- الحقيقة اللفظية:

لعل أبرز ما يمكن إدراجه في ضمن الحقيقة من رسائل أبي العلاء هي آراؤه الأدبية التي منها رأيه في حد الشعر والرجز، والفرق بينهما، قال المعري: "... الشعر نوع من جنس، وذلك الجنس هو الكلام. وإذا صحَّ ذلك قلنا: إنّ الشعر جنس والرجز نوع تحته ... وإنَّما ذكرتُ ذلك خشية أنْ تذهب إلى أنّ الرجز ليس بشعر، كما قال ذلك بعض الناس محتجاً لما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب [1]

ولما جاء في الرواية الأخرى، أنَّه قال:

هل أنت إلّا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت[2]

وفي أشباه لهذا. ويحتجون بقولهم للذي ينشئ الرجز: راجز، وللذي ينشئ غيره من القصيد شاعر. وإذا ركبنا القضية الثنوية الكلية، فجعلنا المحمول جنساً، والحامل نوعاً فالقضية كذب لامحالة. وإذا عكسنا ذلك فجعلنا المحمول نوعاً والحامل جنساً كانت القضية صدقاً، فنقول : كل رجزٍ شعرٌ، فيكون قولاً صادقاً. وإن قيل كلُّ شعرٍ رجزٌ فذلك باطلٌ مِن المقول. وما أدفع أنَّ الرجز أضعف من القصيد ولكنهما جنسٌ واحد"[3].

عند الوقوف على النص أعلاه وتحليله في ضوء مسالك الخطاب نجد المسلك البياني واضحاً متمثلاً بالتصريح في بيان حد الشعر، وتمييزه عن الرجز، ولعل التصريح من هذا الأمر يظهر جلياً، فطبيعة وضع حد ما يتطلب الإتيان به على وجه الدقة حتى يكون شافياً كافياً وجامعاً مانعاً، وهذه الأمور لا تنفك عن الحقيقة بحال.

---

[1] مسند أبي داوود: ١٤٠٠/٣، وينظر: صحيح مسلم: ١٤٠٠/٣.
[2] المصنف، عبد الرزاق الصنعاني: ٤٤٦/٢، وينظر: صحيح البخاري: ١٨/٤.
[3] رسالة الصاهل والشاحج: ١٨١ – ١٨٢.

وهذا المسلك التصريحي (الحقيقة) جعل رأي المعري في الرجز يظهر واضحاً لا لبس فيه، فهو في ضمن ملكة الشعر ولكن دون القصيد، ومن ثم لم يجانب الدقة عندما ذهب إلى أنَّ الرجز نوع من جنس وخلاف ذلك غير صحيح[١].

أراد المعري في المسلك التصريحي هذا مقاصد مهمة، يمكن بيانها بالآتي:

المقصد الأول: بيان رأيه في الرجز، بأنّه نوع تحت الشعر.

المقصد الثاني: إنكار ،وردّ حجج مَنْ قال إنَّ الرجز ليس بشعر.

المقصد الثالث: بيان أنَّ الشعر أعمّ مِنَ الرجز، فكل رجز شعر، وخلافه ليس صحيحاً.

المقصد الرابع: تفضيله الشعر على الرجز، وإنْ كانا من جنس واحد وهو (الكلام).

أمَّا الغرض الخطابي مِنْ تلك المقاصد فهو التعليم، تعليم المتلقي المسائل التي حملها الخطاب؛ بوصف المعري أحد أهم المصادر لعلوم العربية، وفنونها، فقد "كان حجةً في العلم لجودة علمه ،وقوة فهمه"[٢].

أمَّا غايته فهي الفخر بالمعرفة العلمية الدقيقة للمسائل الأدبية التي منها الشعر والرجز ببيان حدودهما والفرق بينهما، وغاية الفخر تتساوق مع المقام الذي هو فيه، بمعنى أنّه في عصر ظهر فيه الترف الأدبي والعلمي، إذ مِنْ حقِّ مَنْ تكون له ملكة كهذه أنْ يفخر ولا سيّما أنَّه عاصر كثيراً مِمَّنْ يدعي امتلاكها.

وقفة في هذا المقام مفادها أنَّ المسلك التصريحي مهم في بيان الحدود؛ لأنَّها بحد ذاتها حقائق علمية، ومن ثَمَّ ننتهي في سبيل الحقيقة، ويؤيد ما ذهبنا إليه مِنْ أنَّ التصريح (الحقيقة) هو المسلك البياني الذي يؤدي الحدود حقها، وهو أنَّ ما ذكره المعري بشأن الشعر لا يكاد يبعد عمَّا ورد في معجمات المصطلحات التي عرفت الشعر والرجز.

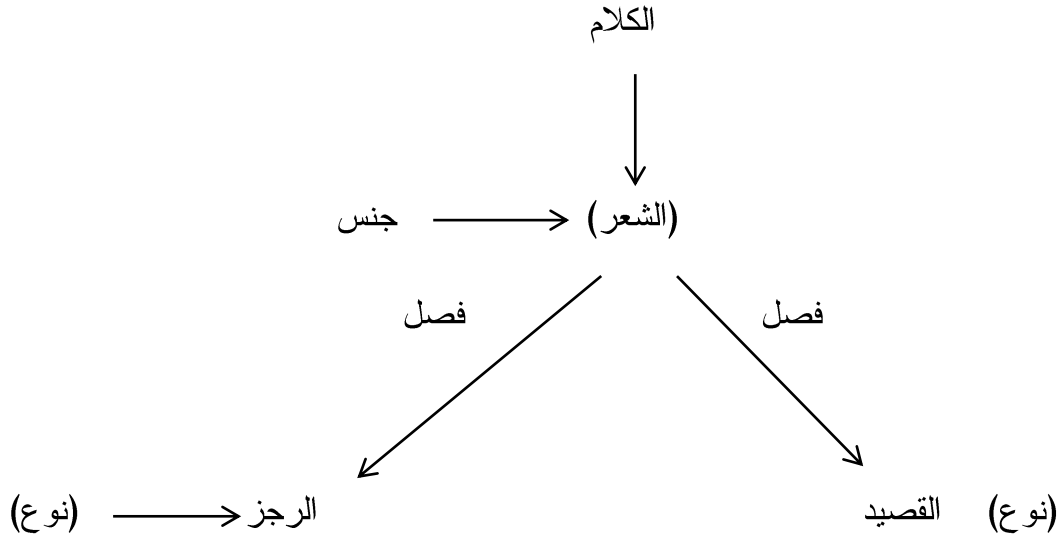
---

[١] ينظر: رسالة الصاهل والشاحج دراسة في ضوء علم الاجتماع: ١٤٩.
[٢] لغة المعري، باقر جواد، جعفر علي: ٣.

جاء في التعريفات: "الشعر في الاصطلاح: كلام مقفى موزون على سبيل القصد..."[١].

وأمَّا الرجز فـــ"هو نوع مِنَ الشعر القصير وبحر مِنْ بحوره"[٢].

ثمّ إنَّ المسلك البياني التصريحي عند المعري هنا اتخذ سبيلاً رفيعاً مفاد وروده على نمطٍ منطقي لا يقبل الخطأ ولا يجانب الدقة، وإليك توضيح ذلك بالمخطط:



ومما تقدم يمكن أنْ ننتهي إلى شكل توضيحي لما نحن في سبيله مفاده:

نوع المسلك	المقاصد	الغرض	الغاية
المسلك التصريحي (الحقيقة المنطقية)	١- الرجز نوع من الشعر. ٢- رد قول من قال الرجز ليس بشعر. ٣- تفضيل الشعر على الرجز.	التعليم	الفخر بالمعرفة العلمية الدقيقة بالعلوم والآداب

نلحظ مما سبق أنَّ بيان حدود المصطلحات وما بينها من فروق يتطلب ذلك من المتكلم أنْ يسلك مسلكاً بيانياً تصريحياً، وآخر بنائياً شرحياً لكي يحقق افهام السامع ومن ثمَّ تحقيق ما سيق لأجله الخطاب من مقصد ،أو غرض، أو غاية.

[١] التعريفات: ١٢٧، وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ١٠٣٠.
[٢] كشاف اصطلاحات الفنون: ٨٤٤.

للمقاصد والغايات المستخلصة من مسلكي التصريح والشرح اللذين جاءا تحت مسلك (السرد) لهما أثر كبير في ركوب المُرسِل هذه المسلك دون غيرها مِنَ المسالك الأخرى، ونلحظ تآزر، وتعاضد أكثر من مسلك في سبيل بيان المقاصد المذكورة سابقاً، فضلاً عن تناسب انسجام المسالك مع المقاصد المراد بيانها من الخطاب.

ومن مصاديق ما نحن في سبيله (الحقيقة)، توجيه المعري أسماء مدن الشام، وثمارها ،وأزهارها ،على الفأل للمسلمين، والطيرة للعدوِّ (الروم)، قال في ذلك: "وأريد أنْ أذكر أشياء على الفأل للمسلمين، والطيرة للعدوِّ إنْ شاء الله، فأقول: إنَّ هذا الطاغية إنْ أخذ طريق (مرعش)[١] فقسمناها شطرين وحملناها على قصة هُدَى وهُدهد، وعلى قول بعض الناس في عطر (منشم)[٢] أنَّه: مَنْ شَمَّ؛ فإنَّ شطرها الأول من قولك: مَرَّ فلان وذهب، أي مات وهلك. وعَش، مقاربة لفظ: عشَّ الشجرُ، إذا يَبِسَ ورقُه وقصرتْ أغصانه"[٣]، ومِنْ ذلك أيضاً قوله: " وأمّا (معرة النعمان) فمعرة للعدوِّ، من قوله تعالى:{ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ}[الفتح:٢٥]،أي شدَّة. وقال بعض أهل اللغة: المعرة نجوم في السماء من المجرَّة. فإنْ صحَّ ذلك فهي فأل، أي هي عزيزة كعزِّ النجوم"[٤].

يتضح من النص أعلاه أنَّ "مِن الأساليب التي يفيد منها المعري في مجال الحرب النفسية ضد الروم والدفع من معنويات المسلمين، هو التنبؤ بهزيمة العدو وانتصار المسلمين على طريق التفأل والتطيّر بأسماء مدن الشام ،وأثمارها، وأزهارها ،وأسماء قادة العدوِّ، وفي هذا المجال يفيد من كنز معلوماته اللغوية"[٥]، ثُمّ يبين أبو العلاء أهمية (الفأل والطيرة) عند العرب ومدى اهتمامهم بها، إذ بيَّن أنَّ استعمالهم لها كان على قسمين: فقسم يحملونه على التصريف والاشتقاق، وهذا ما اعتمده هو، والآخر يحملونه على التقريب، وهو ما رفضه المعري، وبعض العرب ترفض الفأل ،والطيرة؛ لأنَّها تقوم على الظن[٦]. والمعري ببيانه رأي

---

[١] مرعش: مدينة في الثغور، بين الشام وبلاد الروم، تاريخ الأنطاكي: ٩٧.
[٢] منشم: امرأة من حِمْيَر كانت تبيع الطيب، تهذيب اللغة: ٢٦١/١١.
[٣] رسالة الصاهل والشاحج: ٦٤٩ – ٦٥٠.
[٤] نفسه : ٦٥٥.
[٥] تحليل خطاب أبي العلاء المعري في رسالة الصاهل والشاحج ، هومن ناظيمان،مجلة فصلية إضاءات نقدية ،السنة ٦ ،العدد(٢١) ربيع ١٣٩٥ ش: ١٧٦.
[٦] ينظر: رسالة الصاهل والشاحج: ٥٠٨ -٦٤٩.

العرب في (الفأل والطيرة) يعطي مسوغاً لنفسه بسلوكه هذا المسلك، واعتماده عليه في رفع معنويات المسلمين؛ لقدرته في التأثير على المتلقي سلباً ،وإيجاباً.

يتضح من ذلك أنَّ أبا العلاء "شارك اللغويين في علمهم ،وتصرفهم ،وجاذبهم الرأي في موضوعات النحو، والتصريف، والاشتقاق، فما هو بمستمع للغة لتخلص له زبدتها، تمكيناً لقوله مع السلامة، وتوسلاً إلى عصمة لسانه مِنَ الخطأ، ولكنّه يتروى أصول الألفاظ وصورها وينفذ إلى مولج الاشتقاق ومخارجه، ويدلي دلوه فيما حول ذلك من ضروب التفصيل، وفنون التأويل وما يزال كذلك حتى يخرج إمّا بالترجيح بين الأداء والاختبار، وإمّا بالابتكار"[١]، "وعبقرية المعري استمدت جذوتها من رافدين اثنين: عماه، وما استتبعه من عُقد مِنْ جهة، وأحوال عصره الذي يضج اضطراباً وفساداً، وتنوع حضارة بلا حدود من جهة ثانية"[٢].

وهذا المسلك التصريحي الذي سلكه المعري منوط بالأدلة التي اعتمدها ،واستقاها مِنْ كنز معلوماته اللغوية ومن ثَمَّ استطاع أنْ يحقق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: التنبؤ ،والتفاؤل بانتصار المسلمين، والتطير بهزيمة العدوّ.

المقصد الثاني: رفضه ما كان منهما على الاشتقاق والتصريف؛ لأنَّ الأول إنّما هو ظن وتوهم، وليس ما كان على الاشتقاق كذلك.

المقصد الثالث: استعماله (الفأل والطيرة) كوسيلة للحرب النفسية، وللردِّ على المرجفين، الذين بالغوا في الحديث عن غزو الروم، وإثارة الرعب، وإلقائه في قلوب أهل حلب.

المقصد الرابع: إظهار أهمية الحرب النفسية في المتلقي سلباً وإيجاباً.

والغرض من ذلك هو التفاؤل والتطير .

---

[١] مجلة الهلال، أحمد حسين هيكل، الجزء الثامن، مجلد٤٦: ١٩٣٨.
[٢] في الأدب الفلسفي، محمد شفيق: ١٤٣.

والغاية مِنْ ذلك: التأثير على عزيز الدولة، وتشجيعه بالاعتماد على الطرق السلمية لرد غزو الروم عن حلب، لاسيما أنّه يعلم أنَّ بين عزيز الدولة وزعيم الروم مراسلات سرية توحي بصداقتهما[١]، وهذا ما يمكن أن يكون له أثر في إيقاف الحرب.

ب-الحقيقة المعنوية (العقلية):

قال الجرجاني (ت٤٧١هـ): "فكل جملة وضعتها على أنَّ الحكم بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه في الحقيقة، ولن تكون كذلك حتى تعرى من التأويل، ولا فصل بين أنْ تكون مصيباً فيما أفدتَ بها من الحكم أو مخطأً، وصادقاً أو غير صادقٍ"[٢]، ويذهب القزويني (ت٧٣٩هـ) إلى الرأي نفسه قال: "أمّا الحقيقة فهي إسناد الفعل أو ما معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر .... وقولنا في الظاهر ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع وما لا يطابقه، فهي أربعة أضرب: أحدهما ما يطابق الواقع واعتقاده، كقول المؤمن: أنبت الله البقل ...، والثاني: ما يطابق الواقع دون اعتقاده، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه: خالق الأفعال كلها هو الله تعالى، والثالث: ما يطابق اعتقاده دون الواقع، كقول الجاهل: شفى الطبيب المريض، معتقداً شفاء المريض من الطبيب، الرابع: ما لا يطابق شيئاً منها، كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالماً بحالها دون المخاطب"[٣]، "ويُظهر هذا الحد أنَّ الحقيقة في الجملة مردّها إلى دلالتها؛ وإلّا فإنَّها تعني تبدل الدلالة في الجملة إلى غير الحقيقة، فالعقل هو الحاكم"[٤]، ولذا سُمِّيَتْ (عقلية)؛ لأنَّ المعنى فُهم مِنَ العقل لا مِنَ اللغة، كما هو الحال في الحقيقة اللغوية"[٥].

يرى الدكتور إبراهيم أنيس أنّ مِنْ "أبرز نواحي الضعف في فهم القدماء للحقيقة والمجاز، أنَّهم وجهوا كلَّ عنايتهم إلى نقطة البدء في الدلالة، وركزوا نظرتهم نحو نشأتها، فتصوروا ما سموه بالوضع الأول، وتحدثوا عن الوضع الأصلي، كأنّما قد تمَّ هذا الوضع في زمنٍ متعينٍ، وفي عصرٍ خاصٍ مِنْ عصور التأريخ، ولم يدركوا أنَّ حديثهم عن نشأة الدلالات

---

[١] ينظر: رسالة الصاهل والشاحج: ٦٩١ – ٦٩٥.
[٢] أسرار البلاغة: ٣٨٤.
[٣] الإيضاح: ٨٢/١، وينظر: علوم البلاغة: ٢٤٨.
[٤] حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز: ٨٥.
[٥] مدخل إلى البلاغة العربية: ١٧٠.

ليس في الحقية إلّا خوضاً في النشأة اللغوية للإنسان"[١]، ولمّا نظروا إلى كلِّ عصور اللغة على أنَّها عصرٍ واحدٍ، ظهر لبعضهم أنَّ كلَّ اللغةٍ مجازٌ، وللبعض الآخر أنَّها كلها حقيقة[٢].

وعند أنيس أنَّ ما يحدد الحقيقة مِنَ المجاز هو تأثير اللفظ على الفرد، قال: "أثر اللفظ في الفرد حين يسمعه أو يقرئه، هو وحده الذي يستطيع الحكم على الحقيقة والمجاز"[٣].

وإذا ذهبنا إلى ما نحن في سبيله (رسائل المعري) لِلحاظِ مصاديق (الحقيقة المعنوية)، نجد أنَّ ما يمكن إدراجه تحت هذا المفهوم ما ذكره المعري من خبر آدم (عليه السلام)، الذي ذُكر في القرآن الكريم مِنْ قبل[٤]، قال أبو العلاء: "توفي آدم – صلى الله عليه – بعد ما رأى الجنة وسكنها، وسألته الملائكة عن أسرار الأسماء فأعلنها، وخرج إلى الدنيا فشقي، ولقي من عنائها ما لقي وفقد هابيل فهبل، وحسب أنَّه من الوجد خُبل فكان موته نذيراً لكل مولود..."[٥].

مولود..."[٥].

يشير هذا النص إلى ما جاء في القرآن الكريم من خبر آدم (عليه السلام)، كأمر الله تعالى له بأنْ يسكن الجنة هو وزوجه، ولا يقربا مِنْ تلك الشجرة، فيوسوس لهما الشيطان فيخرجهما مِنَ الجنة، فيهبطوا إلى الأرض؛ ليكون بعضهم عدواً لبعض؛ فتنقطع بخروجهم مِنَ الجنة تلك الراحات التي كانا يتمتعان بها[٦]، ثم يذكر بعد ذلك ما حصل لابني آدم من قتل أحدهما للآخر، وذلك بعدما قدما قرباناً فتُقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، فحسد قابيل هابيلا، وسخط عليه، وقتله[٧]؛ ليزداد آدم بعد ذلك عناءً وحزناً مما لاقى مِنْ مصائب الدنيا.

وهذه الحقائق المشار إليها سابقاً جاءت موافقة ومطابقة للواقع والاعتقاد، فأمّا مطابقتها للواقع؛ فلكونها أُقرّتْ في القرآن الكريم، ومَنْ أصدق مِنَ الله حديثاً؟، وأمَّا مطابقتها للاعتقاد؛ فلأنَّ الراوي مؤمن بالله وبما جاء في القرآن، فهو معتقد بما يقول ومصدق.

وللمعري في ذكر تلك الأخبار مقاصد، وأغراض، يمكن بيانها بالآتي:

---

[١] دلالة الألفاظ: ١٢٨.
[٢] ينظر: المرجع نفسه: ١٢٨.
[٣] نفسه: ١٢٨.
[٤] البقرة: ٣٣،٣٥،٣٦ المائدة: ٣٠.
[٥] رسالة في تعزية ابن أبي الرجال: ٦.
[٦] ينظر: مفاتيح الغيب: ٤٥٢/٣.
[٧] ينظر: الكشاف:١٢٨/١.

المقصد الأول: تقبيح المعصية، وتنفير المتلقي منها.

المقصد الثاني: ذمّ وإنكار اتخاذ الشيطان مرشداً ووليّاً، والركون إليه في أي أمر.

المقصد الثالث: تقبيح الحسد وذمه؛ لأنَّه مما نُهِيَ المؤمنُ عنه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم: "إياكم والحسد، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[١].

والغرض من ذلك توجيه المتلقي، الحقيقي/ المحتمل إلى الأخذ بالمقاصد سابقة الذكر.

أمَّا غايته الخطابية فهي: تعزية المتلقي بموت ولده، ومحاولته غرس الصبر في قلبه، وتخفيف ألم الفراق عليه بذكر "ضعف الإنسان أمام الموت، وكأنَّه يقول له إنَّ الخلق قد جروا على هذه السُنّةِ ولم ينجُ مِنْها الأنبياء والملوك والكرام والفرسان"[٢].

ومن مصاديق الحقيقة (المعنوية) في النصوص مدار البحث إسناد المعري الأقوال، والآراء إلى أصحابها إسناداً حقيقياً، مِنْ ذلك قوله: " القول في (سيدٍ وميتٍ): الترخيم لا يجب أنْ ترد به الأمثلة إلى أصولها؛ لأنَّ الردَّ إنَّما يقع فراراً مِنْ مجيء شيء على غير أمثلة العرب وليس ذلك في سيد وبابه؛ لأنَّ سيداً وميتاً على وزن(فَيْعَل) في رأي البصريين، وزعم الرؤاسي[٣] أنَّ أصله (فيعلٌ) فنقل إلى (فيعلٍ)وهذا راجع إلى القول الأول، وزعم الفراء[٤]: أنَّ أنَّ أصله سويدٌ ومويتٌ وكذلك يزعم في جميع هذه المعتلات، وكأنَّ مذهبه أنَّ الواو سكنت وأدغمت في الياء والإدغام يغير الأول إلى حال الثاني، فأصل سيد على القولين الأولين سيودٌ ،وأصله على القول الثاني سويدٌ ثم نقل إلى سويدٍ والفراء يعتل لمذهبه بقولهم طيب وطيّاب فجاءوا به على فعيل، وفعّال كما قالوا طويل وطوّال"[٥].

نلحظ في النص السابق أنَّ الأقوال أُسندت إلى أصحابها إسناداً حقيقياً، وما يؤيد هذا القول، ويعضده، هو ما نجده ثابتاً في كتب النحويين، قال سيبويه: "باب ما تقلب الواو فيه ياءً

---

[١] سنن أبي داود: ٢٧٦/٤.
[٢] رسالة في تعزية ابن أبي الرجال: و .
[٣] الرؤاسي: محمد بن الحسن الرؤاسي النحوي، أول من وضع كتاباً في النحو مِنَ الكوفيين، وهو أستاذ الكسائي والفراء، بغية الوعاة: ٨٢/١.
[٤] الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله، إمام العربية أبو زكريا، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، بغية الوعاة: ٣٣٣/٢.
[٥] رسالة الملائكة: ١٦٨- ١٧٠.

إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة ... وذلك قولك في فيعلٍ: سيدٌ وصيبٌ، وإنما أصلهما سيودٌ وصيوبٌ"[١]، "وذهب الفرَّاء إلى أنَّ الأصل في سَيِّد: (سَوِيْدٌ) على وزن (فَعِيْل)، ثمَّ قُلِب فأُدغم"[٢].

تعد المسألة السابقة إحدى المسائل التي مِنْ أجلها وضع المعري رسالة الملائكة، إذ جاءت جواباً لتلك المسائل التي سُئل عنها، لذا نجده يعرض للمسألة مبيناً آراء العلماء مِنْ قبله فيها، مورداً شواهد على ذلك، مبدياً رأيه فيها.

أراد المعري بيان المقاصد الآتية:

المقصد الأول: "أنَّ له وللعلماء من قبله باعاً طويلاً في معرفة الأبنية ،وضبطها ،ووضع المقاييس، ورعايتها، وقدرتهم على البحث عن أصول الكلمات ،واشتقاقها، وردّها إلى أصولها ،ومعرفة الشاذ ،والنادر منها، وبراعتهم في تعليل الأحكام وإيراد الأدلة والشواهد التي تدل على سعة في المدارك، ونمو في الملكات وغزارة في المادة"[٣].

المقصد الثاني: إظهار المعري سعة اطلاعه على ما كتب في علم التصريف، وقدرته على مناقشة آراء العلماء في المسائل الصرفية الدقيقة ، كأصول الأصوات وعلل نقلها، وأوزانها، وغير ذلك.

والغرض من ذلك: التعليم، ما دام قد أجاب عمّا سُئل عنه.

وغايته: تفسير تلك المسألة وتوضيحها، وبيان آراء العلماء فيها، وأصولها، وما آلت إليه، وعلل ذلك التحول.

---

[١] الكتاب: ٣٦٥/٤.
[٢] الممتع في التصريف، ابن عصفور: ٣٢٢. وينظر: الإنصاف: ٢٥٦/٢.
[٣] رسالة الملائكة: ل

ثانياً: التلميح :

١- المجاز:

" ثَمَّة خلاف بين الناظرين في اللغة بشأن وقوع المجاز فيها، ومبعث هذا الخلاف هو أنَّ طائفة منهم أنكرت وجوده في القرآن، بل أنكرت وجوده في اللغة عموماً تبعاً لذلك؛ لأنَّ الإقرار بوجوده في اللغة يلزم بتقبل وجوده في القرآن وكان مِنْ أكثر المنكرين لذلك وأشدهم (الظاهرية)؛ لأنَّهم أخذوا بظاهر الكتاب والسنة، وأعرضوا عن التأويل"[١].

وما يهمنا هنا هو حديث علماء اللغة والبلاغيين عن المجاز؛ لكونهم الأقرب لما نحن في سبيله (التلميح)، إذ يعد سيبويه من أوائل الذين تحدثوا عن مفهوم المجاز اصطلاحاً، قال: "باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى؛ لاتساعهم في الكلام ،والايجاز ،والاختصار..."[٢].

وتحدث الجاحظ (ت٢٥٥هـ) عن المجاز، وذلك بعرض بعض الأمثلة، وعدّها من المجاز؛ لأنَّها أُسندتْ ألفاظها إلى غير ما وضعتْ له، وذلك قوله: في المجاز والتشبية بالأكل: وهو قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا}[النساء: ١٠] وقوله تعالى: {أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ} [المائدة: ٤٢] وقد يقال لهم ذلك وإنْ شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدواب، ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل... فهذا كلّه مختلف، وهو مجاز"[٣]، ويرى ابن جني أنَّ المجاز ما كان بضد الحقيقة، قال: " الحقيقة: ما أقر على أصل وضعه في اللغة، والمجاز: ما كان بضد ذلك... وإنما يقع المجاز ويعدل إليه لمعانٍ ثلاثة، وهي: الاتساع، التوكيد، التشبيه. فإن عدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[٤]، كما أنَّه يعدّ أكثر اللغة مجاز للمتأمل لا حقيقة، قال: "وأكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة"[٥].

---

[١] المجاز في أساس البلاغة، معيد زكري:٤.
[٢] الكتاب: ٢١١/١.
[٣] الخصائص: ٢٤٤/٢.
[٤] نفسه: ٢٤٨/٢.
[٥] نفسه:٢٤٩/٢.

فالمجاز عند ابن جني كل لفظٍ مفردٍ أو تركيب استعمل في غير ما وضع له ابتداءً. ومما عده ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) من المجاز: " الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، واستعمال خطاب الواحد مكان الجمع والعكس، مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع، واستعمال الخصوص لمعنى العموم، وبالعكس، مِنْ مجازات العرب في الكلام"[١]، ويرى السيوطي أنَّ "اللفظ يجوز خلوه عن الوصفين فيكون لا حقيقة ،ولا مجاز لغوياً، فمن ذلك اللفظ في أول الوضع قبل استعماله فيما وضع له أو في غيره ليس بحقيقة ولا مجاز؛ لأنَّ شرط تحقيق كل واحدٍ من الحقيقة والمجاز الاستعمال فحيث انتفى الاستعمال انتفيا"[٢]، وأحسب أنَّه ليس كذلك؛ لأنَّ الألفاظ كلها إنَّما وضعتْ لمعانٍ تعبر عنها ابتداءً، والمستعمل الأول للفظ هو واضعه، وهذا الاستعمال إنَّما هو استعمال حقيقي؛ لأنَّه استعمل فيما وضع له، ولا وجود للفظٍ لا استعمال له، فشرط الوضع الاستعمال.

واتفق العلماء والبلغاء "على أنَّ المجاز والكناية أبلغ مِنَ الحقيقة والتصريح؛ لأنَّ الانتقال فيهما مِنَ الملزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة، فإنَّ وجود الملزوم يقضي وجود اللازم؛ لامتناع انفكاك الملزوم عن لازمه"[٣].

وفي البحث اللساني الحديث استعملتْ مصطلحات (التلميح، المسلك التلميحي، المسلك غير المباشر، الملمِّحات،) للدلالة على "عدول المتكلم عن المسلك المباشر الذي يعتمد على استعمال المتكلم للغته على أساس مواضعاتها للتعبير عن قصده"[٤]، الذي "يحتاج مِنَ المُرسِل إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي غير المباشر"[٥].

فإذا ما عدل المتكلم عن أيٍّ من أصول التخاطب الوضعية ، سواء كان العدول كيفياً كانتهاك مبدأ الحقيقة، أو كمياً حذف أو أضمر، أو كرر، أو أوجز أو أطنب، أو موقعياً بأنْ قدم وأخر، فإنَّه على الأغلب قد رجح المسلك التلميحي"[٦].

---

[١] تأويل مشكل القرآن: ٢٢.
[٢] المزهر في علوم اللغة: ٢٩١/١.
[٣] مختصر المعاني، التفتازاني: ٢٦٣.
[٤] استراتيجيات الخطاب: ٣٦٧.
[٥] نفسه: ٣٦٩.
[٦] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٣.

ومما لا شك فيه أنَّ المتكلم إذا ما وضع كلامه في غير ما وضع له، فلابدّ من نصبه قرينة تدل على مراده من الخطاب، والقرينة هي: "ما نصب للدلالة على المراد"[١]؛ لأنَّ "الكلام لا يخرج مِنْ دائرة العموم إلى دائرة الخصوص، ومِنْ دائرة الغموض إلى دائرة التجلي، ومِنْ الحقيقة إلى دائرة المجاز إلّا بقرينة"[٢].

ومن المحدثين مَنْ يرى أنَّ "المجاز هو تقليد للحقيقة بصورة فنية، فالحقيقة تكون مطابقة للواقع والمجاز لا يخالف الحقيقة لكن مطابقته للواقع تكون فنية مما يجعل علاقاته أبلغ، وأكثر إيجازاً من حيث الدلالة..."[٣]، وترى باحثة أخرى بأنَّ الحقيقة أصل والمجاز فرع عنها، قالت: "والحقيقة إنَّما قدّموها على المجاز لأنها كالأصل له، إذ استعمال اللفظ في غير ما وضع له فرع صح استعماله فيما وضع له...."[٤]، وأجد أنَّ هذا الرأي أقرب للصواب كما أجد أنَّ التلميح (المجاز) درجة وسط بين الحقيقة والإبهام، إذا ما أردنا ترتيب المصطلحات حسب درجة بيان المقصد ،وغموضه، وليس المجاز مقابلاً للحقيقة كما يرى بعض مَنْ أشرنا إليه سابقاً.

"والمتكلم عندما يلمح لمعنى أو قصد فإنَّه يراهن على فطنة المتلقي وبراعته في تلقيه، وحدة ذهنه، وسرعة فهمه للدلالات الباطنية المختفية وراء ألفاظه الظاهرة، فيأتي على الضمني الذي يوجب على المخاطب ملأه..."[٥]، وجعل الجرجاني (ت٤٧١هـ) عقل المتلقي للخطاب معياراً للحكم على الجملة بكونها حقيقة أو مجازا، حيث يناقش المتلقي ما يسمع تصديقاً أو رفضاً، فإذا التقى العقلان عقل المُرسِل وعقل المتلقي على نص محدد، فهنا يكون الأمر على سبيل الحقيقة والتصديق، وإنْ كانت الجملة بها تشبيه وخيال فالمعول هنا على الفهم المشترك"[٦].

ويرى إبراهيم أنيس أنَّ مِنْ محددات المجاز "انحرافه عن الاستعمال الشائع، فضلاً عن إثارته الدهشة والغرابة في ذهن المتلقي، وحدود تلك الغرابة أو الطرافة تختلف باختلاف

---

[١] كشاف اصطلاحات الفنون: ١٦٣/١.
[٢] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء : ٥١.
[٣] الإيجاز بين الحقيقة والمجاز، مجلة جامعة البحث، مجلد ٤٠، العدد١، ٢٠١٨: ٧٧.
[٤] المجاز اللغوي، فريحة محمد: ٨.
[٥] الحجاج وتوجيه الخطاب: ١٥٤.
[٦] أسرار البلاغة: ٣٨٤ – ٣٨٥.، وينظر: نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء: ١٢٣ – ١٢٤.

تجارب المرء مع الألفاظ، وباختلاف وسطه الاجتماعي ،والثقافي، فقد تضعف الغرابة في ذهن السامع للفظٍ فيوشك أنْ يكون حقيقة رغم انحرافه، وقد تقوى فتحرك مشاعر السامع ،وعواطفه ،فتنال إعجابه أو سخريته على حد سواء"[١].

ويقسم علماء البلاغة المجاز على قسمين:

١- المجاز العقلي: أو المجاز الحكمي بحسب عبد القاهر الجرجاني، وهو مجاز يكون في الإسناد أي إسناد الفعل إلى ما هو له، يسمى المجاز الحكمي والإسناد المجازي، ولا يكون إلّا في التركيب[٢]، "ولا بدَّ في المجاز العقلي من الصرف عن الظاهر بتأويل إمّا في المعنى أو في اللفظ ... ولا مجاز في المعنى بحسب الوضع أصلاً لا في المفرد ولا في المركب بل بحسب العقل بأنْ أسند الفعل إلى غير ما يقتضي العقل إسناده إليه تشبيهاً له بالفاعل الحقيقي"[٣].

٢- المجاز اللغوي: هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة وارتباط بين المعنيين فإنْ كانت العلاقة هي المشابهة فهو مجاز لغوي مرسل[٤]، والفرق بين المجاز اللغوي والمجاز الحكمي أنَّ التجوز" إذا وقع في الإثبات فهو متلقى من العقل وإذا عرض في المثبت فهو متلقى مِنْ اللغة"[٥].

"فالمجاز الإسنادي لا يقع إلَّا في التركيب أي بإسناده إلى غير ما وضع له في سياق لغوي معين، في حين أنَّ المجاز اللغوي يقع في اللفظ المفرد وفي التركيب على حد سواء"[٦]، سواء"[٦]، و"سمي مرسلاً؛ لأنَّه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأنَّ له علاقات شتى"[٧]، ومِنْ تلك تلك العلاقات: "السببية، المسببية، اللّازمية، الملزومية، الكلية، الجزئية، الحالية، الإطلاق، التقيد، العموم...."[٨].

وللبحث عن مصاديق (مسلك التلميح) في رسائل أبي العلاء سنتناول ذلك على النحو الآتي:

---

[١] دلالة الألفاظ: ١٢٩.
[٢] التعريفات: ٢٠٣، وينظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق: ١٤٣.
[٣] كشاف اصطلاحات الفنون: ١٤٥٨/٢.
[٤] ينظر: علم البيان: ١٤٣.
[٥] أسرار البلاغة: ٣٧٣.
[٦] المجاز المرسل في ترجمة القرآن إلى الفرنسية، هناء بوزيان: ١٩.
[٧] علم البيان: ١٤٣.
[٨] نفسه : ١٤٣، وينظر: علوم البلاغة، أحمد مصطفى: ٢٥.

١ : المجاز وهو على قسمين :

أ-المجاز العقلي.

ب-المجاز اللغوي.

أ-المجاز العقلي:

فمن مصاديق المجاز العقلي إسناد المعري بعض أقواله للبهائم ،والطير ،ونسبتها لها نسبة مجازية؛ لأنَّ سمة الكلام للإنسان مخصوصة به، ومقصورة عليه، وليس للحيوان إليها مِنْ سبيل.

عمد المعري في رسالة (الصاهل والشاحج) إلى "تشخيص فني لعالم الإنسان في منطق الحيوان، وعرض لتأريخ عصر الرسالة ،وأحداث البيئة ،والمجتمع في رؤية شاهد بصير، على ألسنة البهائم التي اختارها"[١]، فمِنْ ذلك قوله على لسان الشاحج وذلك بعد ما نقلت الفاختة" القول الذي نطق به الصاهل مِنْ وصف الجمل (أبا أيوب) بالجهل محكياً عن الشاحج تريد أذاته بذلك ،فتخبره بما قيل فيه مِنْ الصفة بقلة اللب فتملأ صدره مِن الغضب والحقد، حتى إذا ورد بهش بفمه بعد الريّ إلى حنفٍ مغتاظ، وهدر في ذلك هدر الموعد فضج الشاحج وقال: ما هذا يا أبا أيوب؟ ، لقد سفه حلمك ،وخف وزنك ،ونفرت نعامتك، فما الذي حملك على ما صنعت؟ ،أليس على ظهري يستقي ربك..."[٢].

أسند المعري الأقوال إلى غير قائلها إسناداً مجازياً؛ وذلك "لاستحالة صدور المسند مِن المسند إليه عقلاً"[٣]، والقصة على لسان الحيوان أو "القصص الحيواني حكايات رمزية قصيرة قصيرة – ربَّما طالت – تتضمن الأقوال ،والأفعال المعزوّة إلى الحيوانات، والقصد منها تهذيب الأخلاق ،وتقويم السلوك، وإذاعة الآداب الراقية بأسلوب مؤثر شائق. فهي حكاية ذات

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج: ٤٢.
[٢] نفسه: ٢٧٠.
[٣] الإيضاح في علوم البلاغة: ٩٥/١.

مغزى خلقي، وتعليمي تحكى على لسان الحيوان أو النبات، وتتضمن مضموناً إنسانياً شاملاً وقد يضيق هذا المضمون فيقتصر على مجتمع محدد مِنْ المجتمعات"[1].

وقد تضمن نص أبي العلاء المقاصد الآتية:

المقصد الأول: ذم الوشاية وتقبيحها؛ لأنَّها محرمة عقلاً وشرعاً.

المقصد الثاني: الدعوة إلى عدم تصديق قول مَنْ عُرف بكذبه إلَّا ببينةٍ، وكأنَّ المعري نظر إلى الآية الكريمة {إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ} [الحجرات: ٦] .

المقصد الثالث: ذم الحكم بين خصمين وإنكاره من دون السماع لكليهما، قال: "قد كان ينبغي لك ألَّا تسمع كلام أحد الخصمين قبل الآخر، والعدل في الحكم بين الخصمين قاعدة كان قد وضعها الله تعالى وذلك في قوله: {وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ} [النساء: ٥٨] .

المقصد الرابع : بيان ما للوشاية مِنْ آثار سلبية على طرفي الخطاب، إذ تفقد المتلقي صبره ،فيسيء إلى من عُرف بالإحسان، فكيف بغيره؟!، فيصبح على ذلك مِنَ النادمين.

وأمَّا الأغراض الخطابية التي سعى المعري إلى تحقيقها في النص السابق فهي: النصح والتوجيه والإرشاد للمتلقي؛ لكي يتبع ما يملي عليه العقل والشرع مِنَ الأعمال لا ما تمليه الغريزة.

أمَّا الغاية فهي: محاولته التأثير في المتلقي؛ ليتبع ما نصَّ عليه مِنْ مقاصد ،وأغراض؛ لكونها تأخذ بيده نحو طريق الصواب.

يتضح لنا مِمَّا سبق أمران هما:

الأول: انسجام المسلك الخطابي (التلميح)، والمقاصد، والأغراض المراد بيانها به.

[1] تهذيب إسلامي لقصص كليلة ودمنة، سليمان بن صالح الخراشي: ٢٤.

فلما كان المتلقي (عزيز الدولة) يملك مِنَ السلطة والقوة ما ليس للمُرسِل مثلها، وسعي المُرسِل إلى توجيه المتلقي، رجح التلميح على غيره مِنَ المسالك؛ لما فيه مِنْ سمات قد لا نجدها في غيره مِنَ المسالك الأخرى، ولعلَّ مِنْ أهم تلك السمات، التقليل مِنْ حدة وجه المُرسِل الأدنى مكانة ،والأقل سلطة ،والأضعف قوة، لو سلك مسلك التصريح مع متلقيه موجهاً إياه ومرشداً، لما تُقبِلَ منه ذلك، بل قد يعود بالضرر، لأنَّه خاطب موجهاً مَنْ هو أعلى مِنْه شأناً وأرفع درجةً، وهذا "يعتقد مِنَ المحاضير"[١].

الثاني: تعاضد المسالك الخطابية (التلميح، السرد، الاستدلال، الوصف)، فضلاً عن التلميح بوسيلة (المجاز)، سُردتْ أحداث القصة واستُدلَّ على كذب الفاختة، بما عُرف عنها وشاع على ألسنة الناس (السماع)، ووصف الجمل بالسفه، وخفة العقل، وقلة الصبر.

وتعاضد المسالك الخطابية مع بعضها يعطي الخطاب سمتي التماسك ،والاتساق.

ومِنْ مصاديق المجاز العقلي في رسائل أبي العلاء قول المعري: "فقد قيل إنَّ أصل الطيب عن عبدة الأبداد[٢]، أنَّ آدم عليه السلام هبط في تلك البلاد، ولكن أبى الجلمود قبول الطبع المحمود، وعذرت الكابية[٣] في الهمود، والإنس باجتذاب الخليقة أخلق، وحواسُّهم بطلاب الفضيلة أولى وأليق..."[٤].

يبين المعري أنَّ بعض الأماكن المشَّرفة ،والمقدَّسة عند الناس إنّما شرفت بالمكين الذي نزل عليها "وإنّما فُضِّل الطور بالكليم، والمقام بإبراهيم"[٥]، وإنَّ نسبة بعض صفات الأحياء للأماكن والجمادات ليس بصحيح؛ لأنَّها تتناقض ،والعقل.

والشاهد في نص أبي العلاء على المجاز العقلي أنَّ المعري أسند الفعل (أبى) إلى غير ما وضع له، ففعل الامتناع مِنْ صفات الأحياء، وليس مِنْ صفات الجمادات (الجلمود) فيكون بذلك الإسناد إسناداً مجازياً، أو هو تصوير فني .

---

[١] رسالة الهناء: ٧٦.
[٢] جمع (بد) وهو الصنم أو البيت الذي فيه الصنم، تهذيب اللغة: ٥٥/١٤.
[٣] نار كابية: إذا غطاها الرماد والجمر تحتها، لسان العرب: ٢١٤/١٥.
[٤] رسائل ابي العلاء المعري: ٣٦.
[٥] نفسه: ٣٦.

ولهذا الأسلوب أمثلة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ} [الكهف: ٧٧]، فنسب الإرادة التي هي مِنْ صفات الأحياء إلى الجدار نسبة مجازية، ولابدَّ لها مِنْ تأويل عن الظاهر، فيكون المعنى "كاد أنْ ينقض"[١]، "والجدار بنية جامدة كالجلمود، ولكنه في تعبير القرآن يحس ويريد"[٢] .

والمعري إذ يصرح بأنَّ فضل الأماكن مكتسب ممَّنْ نزلوا عليها، وإنَّما يريد بذلك مقاصد ،وأغراض مهمة مفادها:

المقصد الأول: الدعوة إلى النظر والاهتمام بجواهر الأشياء لا بظواهرها وأشكالها.

المقصد الثاني: التنبيه على أنَّ الجمادات وما يؤخذ منها لا يمكنها أنْ تضر أو تنفع.

المقصد الثالث: التعريض بمَنْ يعتقد أنَّ ما لا يسمع ولا يبصر له القابلية على الضر أو النفع.

المقصد الرابع: الدعوة إلى إنكار هذا الاعتقاد ،وتقبيحه.

أمَّا الأغراض الخطابية التي حملها نص أبي العلاء فهي: الإرشاد، والوعظ، والنصيحة.

أمَّا المقصد الغائي فهو: محاولة التأثير في المتلقي علَّهُ يعمل بما وجّه إليه مِنْ مقاصد وأغراض إصلاحية تنسجم والعقل الصحيح.

ب-المجاز اللغوي: وهو على قسمين:

١-الاستعارة.

٢-المجاز المرسل.

١-الاستعارة: "وهي أنْ تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به، كما تقول:

---

[١] النكت والعيون، الماوردي: ٣٣١/٣.
[٢] التصوير الفني :سيد قطب :٢٥١

في الحمَّام أسد، وأنت تريد به الشجاع"[١]، وذكر صاحب الخزانة أنَّ "الاستعارة عند علماء البديع هي ذكر الشيء باسم غيره، وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه..."[٢].

ويرى (فونت) أنَّ الشرط المطلوب لتحقيق الاستعارة هو القصد المتعمد ،والمحسوب للكاتب في خلق المفعول الشعوري[٣]، وهي عند (إيلينا سيمينو) "الظاهرة التي نتكلم بها، وقد نفكر بها في شيء بمفردات شيء آخر"[٤].

"وبهذا يتضح أنَّ الاستعارة تجسد مثالاً جوهرياً لاستعمال اللغة، إذ يدرك منها عادة معنى مقصود يقع وراء البنية المنجزة للملفوظ أو الجملة، وبهذا فإنَّ الاستعارات تبدو مرشحات قوية للتحليل التداولي اعتماداً على تفعيل بعض المبادئ التي يتمكن المُرسِل بموجبها مِنْ استعمال الاستراتيجية التلميحية بالاستعارة في خطابه ليفهم المرسل إليه ما يقصده"[٥]، "ويمكن أنْ تسهم الاستعارة في بناء النص الداخلي لنص ما وعلاقاته النصية، فهي يمكن أنْ تستخدم لتقديم ملخصات أو جذب انتباه المخاطبين إلى أجزاء معينة مِنَ النص"[٦]، "وينبغي أنْ ينظر إلى التشبيه والاستعارة على أنَّهما منفصلان؛ ذلك أنَّ كلاً منهما يختص بطبقةٍ تختلف عن الأخرى، فالتشبيه يختص بالمقارنة، في حين أنَّ الاستعارة تختص بالنسبة التخيلية"[٧].

وفرق أرسطو بين الاستعارة والتشبيه بأمور منها: "... أنَّ التشبيه يحتاج في صياغته لوجود طرفين حاضرين... والعلاقة بين الطرفين يظهرهما التشبيه، في حين أنَّ الاستعارة تضمرهما"[٨]، وتقسم الاستعارة باعتبار ذكر لفظ المستعار وإضماره على قسمين:

١- الاستعارة التصريحية: وهي "أنْ يكون الطرف المذكور مِنْ طرفي التشبيه هو المشبه به"[٩].

---

[١] مفتاح العلوم: ٣٦٩.
[٢] خزانة الأدب: ٢٢٤/١.
[٣] التطور الدلالي، فايز الداية: ٣٩١.
[٤] الاستعارة في الخطاب: ٤٠.
[٥] استراتيجيات الخطاب: ٤١١.
[٦] المصدر السابق : ٧٩.
[٧] الاستعارة في دراسات المستشرقين: ٢٩.
[٨] نظريات الاستعارة، عبد العزيز لحويدق: ٢٤.
[٩] مفتاح العلوم: ٣٧٣.

٢- الاستعارة المكنية: وهي "أنْ تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها، وهي أنْ تنسب إليه وتضيف شيئاً مِنْ لوازم المشبه به المساوية"[١].

١) الاستعارة التصريحية: ومِنْ مصاديقها قول أبي العلاء : "فأمّا تداركه ما جرى مِنَ الوهم، فإذا أعطيت القوس باريها، والخيل فوارسها، والقناة مصرَّفها، دُحضت قدم الباطل بثبات الحق..."[٢].

هذا جزء مِنْ رسالة كتبها المعري إلى أحد أصدقائه يطلب منه أنْ ينقصه في ترتيب المكاتبة، بعد ما رأى منه أنَّه "يُتعب أنامله بالمكاتبة، وقلمه بالإجابة"[٣]، فأراد منه "الرجوع إلى مرتبته في المكاتبة وإجرائي على مقداري في المناجاة والمحاورة"[٤]، فيظهر أنَّ المعري كان يباعد بين مكاتبة وأخرى مع صديقه، أمَّا الأخير فليس كذلك إذ إنَّه كان "لا يشير لسائله إلى الأجل البعيد"[٥].

ولما كان المعري على معرفة سابقة بالمتلقي مِنْ أنَّه لن يردَّ طلبه هذا، كما أنَّه لم يظن به سوءً عندما كان يؤخر ويباعد بين مكاتبة وأخرى؛ لذلك وصفه المعري بأنَّه كـ (باري القوس)، وكـ (فارس الخيل)، وكـ (مقوم القناة) في معرفته بأصول فن المكاتبة وقواعده، فمعرفته بأصول فن المكاتبة كمعرفة أصحاب هذه الحرف ،ودرايتهم ،وطول خبرتهم في عملهم، وهذا ما يدل على أنَّ المتلقي ذو خبرة ودراية بفن المكاتبة ،وآدابه.

والصفات المذكورة سابقاً هي استعارات تصريحية، إذ استعير كل من (باري القوس، وفارس الخيل، ومصرّف القناة) لـ (المخاطب) بجامع الدقة، والمعرفة، والخبرة التي تتطلبها كل من تلك المهن، وقد ذكر المشبه به وهو (أصحاب الحرف) وحذف المشبه وهو صديقه (أبو فلان)، وهذه استعارة تصريحية.

---

[١] مفتاح العلوم : ٣٧٣.
[٢] رسائل أبي العلاء المعري : ٨٠.
[٣] نفسه: ٨١.
[٤] نفسه: ٨١.
[٥] نفسه: ٧٨ - ٧٩.

والقصد الذي أراد المعري بيانه هو معرفة مخاطبه آداب المكاتبة، وقواعدها، وخبرته الطويلة في هذه الصنعة حتى غدا كأنه باري القوس، وفارس الخيل، ومقوم القناة في إتقانهم.

أمَّا الغرض الخطابي فهو مدح المتلقي بذكر ما تميز به في فن المكاتبة.

ليصل المعري بذلك إلى مقصده الغائي وهو الطلب من المتلقي بأنْ ينقصه في ترتيب المكاتبة.

٢) الاستعارة المكنية: منها قول أبي العلاء متحدثاً عن ظلم الإنسان للحيوان: "وعمد إلى ذوات الجناح، بمثل ما قصد به ذوات الأربع مِنَ الجُناح. فأعدَّ لخشاشهنَّ ما يلحق به أضفار المنية مِنَ المنسر أو المخلب، والشرور أردأ المجتلب. كم فجعوا فرخاً بحمامة كانت تنزل على السمامة، فتركوا جوزلها وهو مضاع، إذا سمع حسَّاً ينضاع! وكم منعوا الحاضنة من النتلة فاجتثوا أصلها مِنْ غير عتلة!"[١].

يبين المعري في هذا النص ظلم الإنسان للحيوان وملاحقته له بالقتل دون التفريق بين القوي منها ،والضعيف، أو الصغير، والكبير، وهذا ما يدل على المبالغة في الظلم، والملاحقة بالأذى.

شبه المعري (المنية) بحيوان مفترس بجامع الإيذاء في كلٍّ مِنْهما، ثُمَّ حذف المشبه به (الحيوان المفترس)، ورمز إليه بشيء مِنْ لوازمه وهو (الأظفار)، وبهذا يكون المعري "شبه معنى المنية وهو الموت – بمعنى السبع وادَّعى أنَّ المشبه عين المشبه به، وحينئذٍ صار للمشبه به (فردان) أحدهما حقيقي والآخر ادِّعائي فالمنية مراد بها السبع بادِّعاء السبعية لها، وإنكار أنْ تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة إضافة الأضفار التي هي مِنْ خواص المشبه به وهو السبع"[٢].

وفي النص استعارة مكنية أخرى، وذلك في قوله : (وكم منعوا الحاضنة مِنَ النتلة فاجتثوا أصلها مِنْ غير عتلة)، إذ استعار الألفاظ (الاجتثاث، الأصل، العتلة) لغير ما وضعت له، فشبه الحاضنة مِنَ الطيور على بيضها بالشجرة، والجامع بينهما هو اجتثاث الأصل (القطع) أو

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج: ١٤٧.
[٢] جواهر البلاغة: ٢٦٠.

"القلع من الأصل"[1]، ثُمَّ حذف المشبه به (الشجرة) ورمز إليه بشيء مِنْ لوازمه وهو (الأصل)، فالاستعارة مكنية.

أراد المعري في النص السابق مقاصد تتعلق بتوجيه المتلقي إلى الرحمة ،والرفق بالحيوان، وعدم أذاته، ومِنْ أهم تلك المقاصد:

المقصد الأول: ذم ما يقوم به الإنسان مِنْ ظلم للحيوانات بأصنافها وإنكاره، حتى إنَّ المعري شبه مبالغة الإنسان في الظلم، بالنار التي تلتهم كل ما حولها دون تمييز بين شيء وآخر، قال: "يا نار أما يقتصر شرارك على أنْ يحرق به جارك حتى يسافر إلى أبعد، ما أعظم أذاتك..."[2].

المقصد الثاني: تقبيحه الظلم ؛لأنه أورده في صيغة التعجب للدلالة على المبالغة في الذم والتقبيح.

المقصد الثالث: التنفير، بتصوير الإنسان الظالم بصورة الحيوان المفترس الذي له أظفار ومخلب، وفي هذا معنى الذم ،والإهانة.

أمّا الغرض الخطابي فهو توجيه المتلقي إلى الرفق بالحيوان ،والرحمة به، وترك الظلم والابتعاد عن الإيذاء بكل صوره، كالقتل والترهيب وغير ذلك.

ليصل المعري بعد ذلك إلى غايته الخطابية وهي محاولته التأثير في المتلقي ليسلك مسلكه في معاملة الحيوان والمبالغة في الرحمة به والشفقة عليه، حتى وصل به الأمر إلى أنْ يحرِّم ما أُحلَّ له ولغيره، فـ "مكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديناً ولا ما تولد مِنَ الحيوان رحمةً له وخوفاً مِنْ إزهاق النفوس"[3].

ومِنْ مصاديق الاستعارة المكنية أيضاً قول المعري: "وكان (محمد بن عبد الله بن سليمان) ورد مِنَ الحضرة العالية موقراً بالمنن، فأراد أنْ يشكر ،فغرق في الإحسان ،فصمت

---

[1] لسان العرب: ١٧٧/٢.
[2] رسالة الصاهل والشاحج: ١٠٣.
[3] معاهد التنصيص: ١٣٩/١.

صمت الغريق؛ فذهبت لأعينه ،فأعداني بالغرق، فاستعنت أفواه الحيوان ؛ليدوم شكرها في كل أوان"[١].

يتحدث المعري في النص المذكور سابقاً عن كرم (عزيز الدولة) وإحسانه له ولأخيه الأكبر (محمد بن عبدالله بن سليمان) مشبهاً إحسان عزيز الدولة وكرمه بالبحر بجامع السعة، والكثرة والمبالغة في ذلك، فاستعار لفظ (الغرق) الدال على المشبه به (البحر) للمشبه (إحسان عزيز الدولة) فالاستعارة هنا مكنية.

مِنَ المقاصد التي أرادها المعري بمسلك التلميح ما يأتي:

المقصد الأول: إظهار إحسان عزيز الدولة عليه وعلى أخيه.

المقصد الثاني: الاعتراف بتقصيره، وعجزه عن ردِّ كرم عزيز الدولة وإحسانه؛ وذلك للمبالغة في وصف الإحسان؛ لذا استعان بأفواه الحيوانات لعله يوفي حق الشكر لعزيز الدولة.

المقصد الثالث: بيان فقره وعجزه؛ لذا فهو عاجز حتى عن ردّ الإحسان بالشكر والثناء.

والغرض الخطابي مِنْ ذلك: المدح، مدح عزيز الدولة لكرمه ،وإحسانه على المعري وأخيه.

وغايته التهكم والسخرية مِنْ عزيز الدولة " وأي سخرية أبلغ مِنْ أنْ يغرق أبو العلاء عزيز الدولة في مبذول الثناء والإعظام متناسياً أنَّ هذا العزيز – أعزَّ الله نصره، مولى لمنجوتكين مولى العزيز بالله الفاطمي"[٢].

نلحظ مما سبق تناغم مسلك التلميح وانسجامه بوسيلة (الاستعارة) وما أُريد بها مِنْ مقاصد، فالاستعارة هي الأكثر تناسباً والمبالغة في المعاني؛ لأنّها تنقل معنى الكلام إلى ما هو أسمى مِنَ المعاني الأخرى للمبالغة، فيصبح كأنَّه هو، وهذا ما ينسجم والمقاصد المذكورة سابقاً كالمدح (مدح عزيز الدولة والثناء عليه) وإنكار مبالغة الإنسان في ظلم الحيوانات، وغير ذلك مِنْ المقاصد المشار إليها سابقاً.

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج : ٧٠٨ .
[٢] نفسه : ٤٦.

٢-المجاز المرسل: "وهو مجاز تكون العلاقة فيه غير المشابهة"[١]، و"يؤدي المجاز المرسل دوراً مهماً في بلاغة التعبير ؛لأنَّه يوسع دلالته ويبعث على التأمل الذي يخلص العبارة من المباشرة المملة ،ويفتح المجال واسعاً أمام الخيال الذي يشكل الصور التي يستسيغها ذوقه. إنَّه يشحن الألفاظ بدلالات جديدة مِنْ غير إماتة للمعنى الحقيقي"[٢]، و"تكمن أهميته في أنَّه يضفي على الصورة رونقاً ويوسع دائرة الإيحاء ويكمل وظيفة اللغة مِنْ خلال الرؤيا الفنية للأشياء"[٣]، "أمّا علاقات المجاز فمنها: السببية، المسببية، العموم، الخصوص، المحلية، الجوار، الآلية ..."[٤].

فمِنْ مصاديق المجاز المرسل في رسائل أبي العلاء ما كتبه المعري إلى خاله أبي القاسم علي بن سبيكة، عند طلوعه مِنَ العراق، شاكراً لمَنْ عرفهم ببغداد حُسن ضيافتهم له وإكرامه والمبالغة في ذلك دون أقرانه مِنْ أهل العلم، قال: "ورعاية الله شاملة لمَنْ عرفته ببغداد، فلقد أفردوني بحسن المعاملة، وأثنوا عليَّ في الغيبة، وأكرموني دون النظراء والطبقة، ولما آنسوا تشمري للرحيل، وأحسوا بتأهبي للظعن أظهروا كسوف بالٍ، وقالوا مِنْ جميل كل مقال... وذرفت عيون أشباح شيبٍ"[٥].

يثني المعري على مَنْ أحسنوا له المعاملة، مدة مكوثه ببغداد، فقد خصّوه بالمبالغة بالإكرام دون غيره مِنْ نظرائه، وعندما استعد للرحيل، حزنوا وأسفوا لذلك كثيراً، لمفارقتهم العلم والأدب والحكمة، مما اضطره أنْ يخفي خبر رحيله عنهم، فيصف حال مَنْ عرفوا برحيله، بأنَّهم "أذرفوا الدموع وبانت فيهم الكآبة وبدت عليهم كبوة"[٦].

ويكمن الشاهد ل(المجاز المرسل) في قوله: (ذرفت عيون...)فهذا مما يعد من المجاز المرسل؛ لأنَّ العيون لا تسيل، وإنَّما يسيل الدمع مِنْها ويذرف، فجعل الذرف للعيون وأسنده لها بدلاً مِنَ الدمع؛ لعلاقة المحلِّية، إذ إنَّ العيون محل الدمع ومكانه، فسمي الشيء باسم محله ومكانه.

---

(١) اسرار البلاغة: ٣٥٢، بغية الإيضاح: ٤٦٣/٣.
(٢) علوم البلاغة: ٢٣١.
(٣) المصدر السابق: ٢٣١.
(٤) البلاغة العربية، الميداني: ٢٠٢/١.
(٥) رسائل أبي العلاء المعري: ٩٦.
(٦) نفسه: ٩٨.

ومِنْ أهم المقاصد الخطابية التي أرادها المعري فيما سبق، ما يأتي:

المقصد الأول: بيان علو مكانته عند أهل بغداد، وإكرامهم له وثنائهم عليه، وحزنهم لرحيله، قال: "وكنت إذا خبرت رجلاً بمسيري، بانت فيه كآبة، وبدت عليه كبوة فكتمت ذلك عنهم"[١].

المقصد الثاني: ذم مَنْ جعل مِنْ أدبه، وعلمه ،وسيلة للتكسب، والتقرب مِنَ الملوك والسادات.

والغرض مِنْ ذلك: مدح أهل بغداد ممن عرفهم ،وتقديم الشكر لهم، والثناء عليهم؛ لحسن ضيافتهم له، وإكرامهم.

والمقصد الغائي: أراد أنْ يبين أنَّه قضى تلك المدة في بغداد "وهو أبيّ، كريم النفس، لم يطرق مسامع الرؤساء بالنشيد، ولم يمدح طلباً للجوائز والمكافآت"[٢]، قال: "وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سرب، ما أرقت مِنْه قطرة في طلب أدب ولا مال"[٣].

٢ : المشترك اللفظي:

قال ابن فارس: "باب الأسماء كيف تقع على المسميات: يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس، وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: عين الماء وعين المال وعين السحاب"[٤]، وعرفه السيوطي (ت٩١١هـ) بأنَّه: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة"[٥]، وقد وضع السيوطي شروطاً ثلاثة لا يتحقق المشترك اللفظي إلّا بها وهي:

١- اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين.

٢- أنْ يكون في لغة واحدة.

---

[١] رسائل ابي العلاء المعري : ٩٨.
[٢] الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، حياة بوعافية: ٦٣.
[٣] المصدر السابق : ٩٧.
[٤] الصاحبي في فقه اللغة: ٥٩.
[٥] المزهر: ٢٩٢/١.

٣- أن تتعدد استعمالات اللفظ..."[١].

"ويعد أكثر العلماء وجود المشترك على أنَّه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير مِنَ الألفاظ. ومن الناس من أوجب وقوعه قال:؛ لأنَّ المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية فإذا وزع لزم الاشتراك"[٢].

ومِنَ العلماء مَنْ غالى في المشترك اللفظي ومِنْهم مَنْ كان معتدلاً في ذلك، والقسم الآخر أنكره وبالغ في ذلك، كابن درستويه (ت٣٤٧هـ)، ويبدو أنَّ أبا علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) كان ينظر للموضوع نظرة معتدلة، لا يغالي فيها في إنكار الاشتراك مغالاة ابن درستويه، ولا يبالغ في جميع صوره مبالغة الفريق الأول فهو يقول: "اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي أن لا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا له ولكنه من لغات تداخلت أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء ،فتكثر ،وتغلب فتصير بمنزلة الأصل"[٣]، "ولقد لعبت تداخل اللغات دوراً خطيراً في استعمال الألفاظ المشتركة"[٤]، "وإذا ما قيل كيف يعرف المخاطب أي المعنيين أراد المتكلم إنْ كانت اللفظة الواحدة تدل على أكثر مِنْ معنى؟؛ لأنَّه يتقدمهما ويأتي بعدهما ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، فلا يراد بهما في حال التكلم والإخبار إلّا معنى واحد..."[٥]، "وظاهرة المشترك اللفظي تشترك فيها أغلب اللغات"[٦]، ولألفاظ المشترك اللفظي معانٍ مركزية، "والمعنى المركزي للكلمة هو معناها إذا وردت مجردة مِنَ السياق"[٧]، "ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معنى اللفظ"[٨].

والمشترك اللفظي عند المحدثين أربعة أنواع[٩]:

١- وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله معانٍ عدة فرعية أو هامشية.

٢- تعدد المعنى نتيجة استعمال اللفظ في مواقف مختلفة.

---

[١] المزهر : ٢٩٢/١.
[٢] نفسه : ٢٩٣/١.
[٣] المخصص: ١٧٣/٤.
[٤] دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٣٠٣ – ٣٠٤.
[٥] دراسات لغوية، إبراهيم محمد: ٢٢٦.
[٦] المصدر السابق : ٣٠٤.
[٧] علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ١٦٣.
[٨] دراسات في فقه اللغة: ٣٠٢.
[٩] ينظر: المصدر السابق : ١٦٣ – ١٦٤.

٣- دلالة الكلمة الواحدة على أكثر مِنْ معنى نتيجة التطور في جانب المعنى.

٤- وجود كلمتين يدل كلّ مِنْهما على معنى وقد اتحدت صورة الكلمتين نتيجة تطور في جانب النطق.

و"يقول (أولمان): والآثار المترتبة على تعدد المعنى للكلمة الواحدة بالنسبة إلى الثروة اللفظية للغة، آثار بعيدة المدى. ومِنْ ذلك مثلاً: أنَّ وجود كلمة مستقلة لكل شيء مِنْ الأشياء التي قد نتناولها بالحديث مِنْ شأنه أنْ يفرض حملاً ثقيلاً عل الذاكرة الإنسانية"[١].

وقد أشار المعري إلى الاشتراك في اللغة، وذلك ببيانه دلالة (الكف) قال: "والكف في رأي الخليل، سقوط السابع مِنَ الجزء السباعي ... ونحن نعني بالكف اليد، وكل منع يقع بالإنسان فهو كف"[٢].

مما سبق نخلص إلى أنَّ للسياق أثراً كبيراً، بل هو المحدد الأساس لدلالة اللفظ وتحديد معناه، فبه يرشح معنى دون آخر مِنَ المعاني التي يمكن للفظ أنْ يحملها، ومن ثَمَّ يتوصل المتلقي إلى مقصود المتكلم مِنْ خطابه، وهذا ما يسعى إليه المخاطِب ويأمل تحقيقه.

فمِنْ مصاديق المشترك اللفظي عند أبي العلاء قوله: "وأمّا الهالكي في هذه الناحية فإنَّما يصنع خصيناً أو مسحاةً أو حدأة منحّاة أو سنَّة ينتفع بها المعزوقة. وربما صنع مدية للأقلام وذات جزأة يذمها أوداج الذبيح. ومهما فعل فإنه لا محالة سيرفض فلا ينظر إليه. وسوف تبطل ذوات السموم فلا ينتفع بها، بالذنب ولا الرأس"[٣].

في النص السابق ألفاظ تعد من المشترك اللفظي وهي: (ذوات السموم، الرأس، الذنب)، فكل واحدٍ مِنْ تلك الألفاظ يطلق على أكثر مِنْ مدلول ، والسياق وحده هو مَنْ يحدد المعنى المراد حين التلفظ به، فتتعدد معانيها بتعدد استعمالاتها.

---

[١] دور الكلمة في اللغة: ١١٥.
[٢] رسالة الصاهل والشاحج: ٥٨٣.
[٣] نفسه: ٤٥٥.

فـــ (ذوات السموم) في هذا المورد يراد بها (الإبر) وسم الإبرة ثقبها[١]. ولها معانٍ أخر منها "سموم الإنسان – فمه ومنخره وإذنه، وكذلك السم القاتل، وسمي كذلك؛ لأنَّه يرسب في الجسم وبداخله"[٢]، وذوات السموم "الحشرات ذوات السموم، مِنَ الحيَّات، والعقارب"[٣].

و(الرأس) "أعلى كل شيء، ورأس البيت(قافيته)"[٤]، فتقول: رأس الجبل، ورأس الإنسان وغير ذلك، مِنْ أعلى كل شيء.

والذنب: "الإثم والمعصية، والذناب آخر كل شيء"[٥]، "ذنب الدابة، ذنب الطائر، وذنب الفرس..."[٦]، والمعري أراد بـــ (الرأس والذنب) في هذا المورد طرفي الإبرة، فلمّا كان الحديث عنها حدد معناهما، وبهذا يكون الاستعمال قد حدد أحد المعاني التي حملتها الألفاظ المشتركة.

أراد المعري بمسلك التلميح (المشترك اللفظي) المقاصد الآتية:

المقصد الأول: بيان تصوره عمّا يحدث لأهل حلب بسبب الغزو إذا ما حصل، كمأساة النزوح، وفقدهم منازلهم، وتشردهم عنها.

المقصد الثاني: إظهار عظم الفادحة على الناس، وأنها لا يقتصر أثرها على فئة دون أخرى، فمِنْ عظم أثرها أنَّها ستقلب الأشياء على أضدادها، فلم يكن دكان الصيدلي كما عهده مرتباً ترتيباً حسناً، بل سيجده خليطاً لا يعرف له وجه، وستبطل ذوات السموم بهلاك أهلها، ولهذا الأسلوب مثل في القرآن، وذلك قوله تعالى: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ} [الحج:٤٥]، أي "بئر متروكة لا يستقى مِنْها لهلاك أهلها"[٧].

---

[١] ينظر،الصحاح: ١٩٥٣/٥.
[٢] مقاييس اللغة: ٦٢/٣.
[٣] لسان العرب: ٣١٥/٢، وينظر: غريب الحديث لابن الجوزوي: ٢٤٤/١.
[٤] المحكم والمحيط الأعظم : ٥٤٣/٨.
[٥] العين: ١٩١/٨.
[٦] جمهرة اللغة: ٣٠٦/١.
[٧] روح البيان، إسماعيل حقي: ٤٣/٦.

والغرض مِنْ ذلك التعريض بعزيز الدولة؛ لما قام به مِنْ عمل، وهو مراسلة زعيم الروم، وطلب النصرة مِنْه، وذلك بعدما ساءت العلاقة بينه وبين الفاطميين في مصر[1]، فكيف يطلب النصرة ممن يضمر العداوة ،والبغضاء لحلب ،وأهلها، والذي إنْ تمكن منها عاث بها فساداً، وسعى في خرابها.

أمّا غايته الخطابية فهي التأثير في أهل حلب لتحشيدهم للدفاع عنها ضد الغزو المرتقب، ومحاولته في توحيد صفوفهم؛ لأنَّه مِنْ خلال ذلك يمكن دفع خطر الغزو وصده، لذلك جاء الخطاب على سبيل التحذير، والتخويف؛ لما في هذا المسلك مِنْ أثر في نجاح تحقيق الغاية الخطابية، وكأنَّ المعري أراد أنْ يخاطب (عزيز الدولة) بما عرفه عنه مِنَ النفاق (إظهار خلاف ما يخفي) ويقول له: إنَّي أعرف مِنْ أمرك ما لا يعرفه غيري عنك، أي (المراسلات السرية بينه وبين زعيم الروم)، وخيانته أهل حلب، لأجل حفظ مكانته ،وسيادته عليهم، فلما كان للمتلقي (عزيز الدولة) أكثر مِنْ توجه، ويُظهر خلاف ما يُخفي، خاطبه بخطاب له في السمع ظاهر ، وله في المعنى باطن، أي كذلك له أكثر من وجه يمكن أنْ يحمل عليه، فيكون بذلك الخطاب أكثر انسجاماً وحال المتلقي.

ونلحظ تناغم مسلك التلميح بوسيلة (الاشتراك) وبعض المقاصد المشار إليها سابقاً، كبيان حال (الجالية)، وتحوله مِنَ الغنى والطمأنينة إلى الفقر والذهول.

وينسجم المسلك والغرض الخطابي (التعريض بعزيز الدولة) لمراسلته السرية لأعداء أهل حلب، وإظهار الدفاع عنهم.

[1] زبدة الحلب في تاريخ حلب، ابن العديم: ١٢٤.

٣- الحذف :

"الحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة، حالية كانت أو عقلية أو لفظية"(١).

تناول علماء اللغة العربية الأوائل الحذف بالحد، والتفصيل ،وضرب الأمثلة، ولعلَّ مِنْ أوائل هؤلاء سيبويه، قال: "اعلم أنّهم مما يَحذفون الكلم وإنْ كان أصلُه في الكلام غير ذلك، ويحذفون ،ويعوِّضون، ويَستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتَّى يصير ساقطاً. وسترى ذلك إن شاء الله. فما حُذف وأصله في الكلام غير ذلك. لَمْ يَكُ ولا أَدْرِ، وأشباهُ ذلك. وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنّهم يقولون يَدَعُ ولا يقولون وَدَع، استغنوا عنها بتَرَكَ"(٢)، وعدَّ ابن جني الحذف مِنْ شجاعة العربية، قال: "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير ...قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء مِنْ ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"(٣)، ووصف الجرجاني الحذف بأنَّه : "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن..."(٤).

"نخلص إلى أنَّ سيبويه حدَّ الحذف حداً لسانياً؛ لأنَّه نظر إليه مِنْ جانب الكلام، أمّا ابن جني، والجرجاني فقد نظرا إلى فائدته، والغرض مِنْ حذف المتكلم لبعض عناصر الكلم"(٥)

ولعل مِنْ أهم شروط الحذف عند ابن هشام (ت٧٦١هـ) ما يأتي:"(٦)

١- وجود دليل على المحذوف ، كأنْ يكون هذا الدليل قرينة عقلية أو لفظية أو حالية.

٢- ألَّا يؤدي الحذف إلى اللبس وخفاء المعنى.

---

(١) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان: ٤.
(٢) الكتاب: ٢٥/١.
(٣) الخصائص: ٣٦٢.
(٤) دلائل الإعجاز: ٦٣.
(٥) الحذف النحوي عند سيبويه، عائشة جمعي: ٢٦.
(٦) مغني اللبيب : ٧٩١-٧٩٥.

٣- ألَّا يكون المحذوف كالجزء مِنَ الكلمة.

٤- ألَّا يكون المحذوف عوضاً عن شيء.

٥- ألّا يؤدي الحذف إلى اختصار المختصر".

"والفرق بين الحذف ،والإضمار أنَّ شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ ... وهذا لا يشترط في الحذف"[١]، وفي الكليات أنَّ الحذف "ما ترك ذكره في اللفظ والنية ... والإضمار ما ترك ذكره مِنَ اللفظ وهو مراد بالنية"[٢].

ومفهوم الحذف عند المحدثين ليس بعيداً عن مفهومه عند القدماء، "فقد ذكر (كريستال) معناه الاصطلاحي في موسوعته ومعجمه، تحت مصطلح (Ellipsis) وهو حذف جزء مِنَ الجملة الثانية، دل عليه دليل في الجملة الأولى"[٣]، و"تتمثل هذه الوسيلة بإسقاط عنصر مِنْ عناصر البناء اللغوي ... وهذا يؤدي إلى تنشيط خيال المتلقي؛ لأنَّه يشكل عنصراً حافزاً لكي يحضر في الخطاب ،ويسهم في استدراج المحذوف ،وتقديره، والدخول فيه بوصفه منتجاً له ،ومساهماً في تشييده"[٤].

" ومِنْ أهم أسباب الحذف:

١- كثرة الاستعمال.

٢- الحذف للإعراب.

٣- الحذف لطول الكلام.

٤- الحذف لأسباب قياسية صرفية أو صوتية"[٥].

"ومن فوائد الحذف (أغراضه) ما يأتي:

١- الاختصار.

٢- التفخيم.

---

[١] البرهان: ١٠٢/٣.
[٢] الكليات: ٣٨٥
[٣] علم اللغة النصي: ١٩١/٢.
[٤] اسلوبية الانزياح: ٧٥.
[٥] ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٣١ وما بعدها.

٣- صيانة المحذوف عن الذكر تشريفاً له.

٤- صيانة اللسان عن ذكره تحقيراً له.

٥- التخفيف على النطق لكثرة دورانه على الألسنة"[١].

وسنتناول الحذف في رسائل أبي العلاء على النحو الآتي:

١_ حذف الحرف:

قال سيبويه : "وزعم الخليل أن قولهم: لاهِ أبوك ولقيتُه أمس، إنما هو على: لله أبوك، ولقيته أمس، ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفا على اللسان، وليس كل جار يضمَر؛ لأن المجرور داخلٌ في الجار، فصارا عندهم بمنزلة حرفٍ واحد، فمن ثم قبُح، ولكنهم قد يُضمِرونه ويحذفونه فيما كثر من كلامهم، لأنهم إلى تخفيف ما أكثروا استعمالَه أحوج"[٢].

وفي المفصل أنَّ حروف الجر"قد تحذف في اللفظ اختصارًا واستخفافًا إذا كان في اللفظ ما يدلّ عليها، فتجري لقوّة الدلالة عليها مجرى الثابت الملفوظ به، وتكون مرادة في المحذوف منه. وذلك لا يُبْنَى الاسم المحذوف منه،..."[٣] ومن مصاديق حذف الحرف في النصوص مدار البحث، قول أبي العلاء:" وأنشد أبو عبيدة:

فأصبحتْ بعدَ خطِّ بهجتها كأنَّ قفراً رُسُومَها قَلَمَا[٤]

فكيف استجاز أن يقصر كِنية صديقه ،أمّا السمة فغيّرها،وأمّا الكنية فقصرها ،" إنّا لله وإنا إليه راجعون "[٥]،هذا أمر من الله ليس هو من ضعف الشاعر ،ولا وهنِ القائل ، ولكنه من سوء الحظ لمن خوطب ، والإتِّفاق الرديء لمن سميّ وذكر، ولا يقلْ سيدي الشيخ _ أدام الله عزّه_ قد قصرت الشعراء قديمها ومولَّدها،وأولُها السالف وآخرُها،وفصيحها الطبيعيُّ ومتكلِفُها ، فإنّه لو كان استعمل ضرورةً غير تلك لقبلت حجتهُ، ولكنه ألغى الضرورات بأسرها ،ورفض العيوب فلم يستعملها،وإنما تغوثتُ من ذلك ؛لأني قصير الهمة ،قصير اليد ، مقصور النظر ،أي مكفوف ،مقصور في البيت ، أي لازم له فكأني محبوسٌ فيه . فما كفاني ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف إليه قصر الإسم "[٦]

---

[١] البلاغة العربية: ٤١/٢ – ٤٢، وينظر: الكليات: ٣٨٥.
[٢] الكتاب :١٦٢/٢-١٦٣ .
[٣] شرح المفصل : ٤ / ٥١٦ .
[٤] البيت أورده ابن جني في الخصائص : ١/ ٣٣١ . وهو من شواهد المحكم والمحيط الأعظم :٥٠٢/٤ . واللسان : ٧ / ٢٨٧ ، ولم يعزه أحدهم لقائله .
[٥] البقرة : ١٥٦ .
[٦] رسائل أبي العلاء المعري : ١٦٣ – ١٦٤ .

هذا نص من رسالة كتبها المعري جوابا " عن كتاب رجل يعرف بأبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري "[١] وقد عرض المعري فيها إلى مسائل عدة ، منها : نسبة العرب بعض الشعر إلى الجن ،من ذلك ما رووه أصحاب الحديث من أنّ الجن ناحت على عمر بن الخطاب ، وما زعمه بعضهم من أنّ الجن قتلت سعد بن عبادة[٢]، وقالت فيه شعرا بعد أن مال ميتا ، وحتى غالى بعضهم فقال أن لكل شاعر شيطانا يقول الشعر على لسانه ، ومن تلك الأخبار ما أدعاه سراقة البارقي[٣] من أنّه رأى ملائكة يقاتلون مع جيش المختار الثقفي[٤] ، فلما وصل خبره إلى المختار أمر بإطلاقه بعد أن كان أسيرا عنده ،فلما أُطلق كذَّبَ ما ادعاه[٥] ادعاه[٥] .

والمعري ينقل كل تلك الأخبار على سبيل التهكم، والإنكار ،وذلك بجعله إيّاها ضربا من الزعم أي الكذب ، ثم يذكر بعد ذلك بعض ضرائر الشعر كالتقديم والتأخير ،والترخيم ،والفصل والوصل ، موجها بعضها توجيها معنويا ، كالنص الذي أوردناه سابقا ،إذ جاء فيه التقديم والتأخير في قول الشاعر :

فأصبحتْ بعدَ خطِّ بهجتها كأنَّ قفراً رُسُومَها قَلَمَا

" أراد: فأصبحت بعد بهجتها قفرًا كأنَّ قلما خط رسومها، ففصل بين المضاف الذي هو "بعد"، والمضاف إليه الذي هو "بهجتها" بالفعل الذي هو "خط"، وفصل أيضًا بخط بين "أصبحت" وخبرها الذي هو "قفرًا"، وفصل بين كأنّ واسمها الذي هو "قلَّما" بأجنبيين: أحدهما قفرًا، والآخر: رسومها؛ ألا ترى أن رسومها مفعول خطَّ الذي هو خبر كأن، وأنت لا تجيز: كأن خبزًا زيدًا آكل. بل إذا لم تجز الفصل بين الفعل والفاعل على قوة الفعل في نحو كانت زيدًا الحُمَّى تأخذ، كان ألا تجيز الفصل بين كأن واسمها بمفعول فاعلها أجدر.

نعم وأغلظ من ذا أنه قدَّم خبر كأنَّ عليها، وهو قوله: خطَّ، فهذا ونحوه مما لا يجوز لأحد قياس عليه "[٦].

---

[١] نفسه : ١٣٢ .

[٢] سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي ، صحابي من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج ، طمع بالخلافة بعد وفاة الرسول ولم يبايع أبا بكر ،وعندما تولى عمر الخلافة خرج إلى الشام مهاجرا فمات بحوران :(الأعلام : ٣ / ٨٥).

[٣] هو سراقة بن مرداس بن أسماء بن خالد البارقي ، شاعر عراقي ، كان ممن قاتل المختار الثقفي (سنة ٦٦هـ) بالكوفة ، هجا الحجاج بن يوسف، فطلبه ففر إلى الشام وتوفي بها :(الأعلام : ٣ /٨٠) .

[٤] المختار بن أبي عبيد الثقفي ، من زعماء الثائرين على بني أمية ، كان مع علي بالعراق ، وبعد مقتل الحسين الحسين (سنة ٦١هـ) تمكن من السيطرة على الكوفة وتتبع قتلة الحسين ، ثم قاتله مصعب بن الزبير في وقائع انتهت بحصر المختار في قصر الكوفة وقتله .(الأعلام :٧ / ١٩٢).

[٥] ينظر:رسائل أبي العلاء المعري : ١٣٣ – ١٤٣ .

[٦] الخصائص : ٢ / ٣٩٥ .

فيوجه المعري بعض ضرائر الشعر توجيها معنويا وذلك بجعله سوء حظ المخاطب سببا في استعمال الشاعر بعض ضرائر الشعر التي تؤدي إلى التكلف ،كما أنه جعل من بيان بعض ضرائر الشعر محلا لإظهار ما يعانيه من قلة الحركة ،وفقد البصر ،وقلة الهمة .

وموضع الشاهد (حذف الحرف) يكمن في قوله :ولا وهن القائل ، وأصله : ولا من وهنِ القائل ،فحذف حرف الجر (من) لدلالة ما قبله وبعده عليه ،تسهيلا وتخفيفا على اللسان .وللمعري فيما سبق مقاصد يمكن إجمالها بالآتي :

المقصد الأول : التهكم بمن يعتقد قول الجن الشعر على لسان الإنسان

المقصد الثاني :إنكاره ما يتنافى والعقل من روايات مزعومة سيقت للأغراض وغايات شخصية

المقصد الثالث :رفضه كل ما يؤدي إلى التكلف من أساليب اللغة ،كاستعمال ضرائر الشعر وغير ذلك .

أما غرضاه فهما التوجيه والتعليم ؛لأنه كتب هذه الرسالة جوابا عن كتاب ورد إليه من متلقيه .

وأمّا غايتاه الخطابيتان فهما: الإفصاح والإبلاغ .

١- حذف الكلمة:

ومِنْ مصاديقها قول المعري: "ويدرك الجالية فناء الزاد؛ لأن الأمر نزل بهم بغتة، فترى من كان يأكل البر وقد أقوى فصار يأكل الشعير. فمثله مثل شاعر يقوى في القصيدة، يبتدئُ بها مرفوعة ثم يخفض. لأن الشعير دون البر في القيمة والمصلحة... والشعير والبرّ جنس واحد في بعض أقوال الفقهاء"[١].

يذكر المعري في النص السابق تصوره عمّا سيحدث للجالية مِنْ مدينة (حلب) بعد ما سمعوا بعزم زعيم الروم على غزوهم، فيصور ما ستمر به الجالية مِنْ ظروف معيشية صعبة، بعدما كانوا هانئين في موطنهم (حلب)، إذ سيفنى زادهم؛ لأنَّ الأمر نزل بهم بغتة ،فلم يكونوا على استعداد له، وستُلزِم هذه الجفلة مَنْ كان يأكل أجود الطعام ،وأحسنه على أكل ما دون ذلك في الجودة ،والقيمة، والمصلحة، ثم إنَّه يشبِّه هذا الانتقال في الأكل مِنَ الجيد إلى ما

[١] رسالة الصاهل والشاحج: ٤٩٣.

دونه بالشاعر الذي قوي في قصيدته، حيث يبدأ بها مرفوعة ثمّ يخفض، ووجه الشبه بين طرفي التشبيه هو الانتقال مِنْ جيد الأشياء إلى رديئها أو مِنْ الفاضل إلى المفضول.

ويكمن حذف الكلمة في قوله: " مَنْ كان يأكل البرَّ وقد أقوى فصار يأكل الشعير..."[١]، حيث حذف المضاف (خبز) قبل كل مِنْ (البرّ، الشعير)، وأقيم المضاف إليه مقامه، وحذف المضاف في العربية – كما يرى ابن جني – "أوسع وأفشى، وأعم وأوفى"[٢]

ودلت القرينة العقلية على المحذوف؛ لاستحالة أكل الإنسان بذر البُرّ أو الشعير عقلاً، وإنّما حذف المضاف هنا؛ لعلم المخاطب به؛ لأنَّ مِنْ أسباب الحذف الاعتماد على كون المحذوف معلوماً في ذهن السامع، قال سيبويه: " ومثل ذلك قول العرب: (مَنْ كذب كان شراً له)، يريد كان الكذب شراً له؛ إلّا أنَّه استغنى أنَّ المخاطَب قد علم أنَّه الكذب"[٣]، ويمكن أنْ نضيف سبباً آخر نجده أكثر انسجاماً وسياق الكلام ومقامه، وهو أنَّ معنى الحذف يتسق وفناء زاد الجالية، فلما فني الخبز وعزَّ عليهم، رفع كذلك مِنَ الكلام لتكون الدلالة أوقع على المتلقي وأشد.

أراد المعري في النص السابق مقاصد مهمة يمكن بيانها بالآتي:

المقصد الأول: ذكر ما ستعانيه الجالية مِنْ فقر، ومأساة معيشية، إذ ستضطرهم النائبة إلى أكل ما لم يعتادوا على أكله مِنْ قبل؛ لرغبتهم عنه بما هو أفضل وأعلى قيمة وأكثر فائدة.

المقصد الثاني: إظهار المعري قدرته ،وتمكنه مِنْ معرفة تلك المسائل، والاطلاع عليها ،وعلى آراء العلماء فيها، ومِنْ ذلك ذكره تفضيل البُرّ، ومسألة (الإقواء) التي هي: "اختلاف إعراب القوافي"[٤]، وذكر المعري مسألة الإقواء في الشعر هنا، كون المتلقي قد ادعى معرفة الشعر ومسائله، فذكره هنا كونه أقرب إلى نفس المتلقي.

المقصد الثالث: تنبيه الجالية على ما يحيط بهم من مخاطر ، وحثهم على أخذ الحيطة والحذر

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج : ٤٩٣.
[٢] الخصائص: ٢٨٦/٢، وينظر: الجامع الكبير، ابن الأثير: ١٣٠.
[٣] الكتاب: ٣٩١/٢.
[٤] مفاتيح العلوم، الخوارزمي: ١١٧.

والغرض مِنْ ذلك استعطاف عزيز الدولة في محاولةٍ مِنْه تغيير سياسته بما يضمن تحقيق الأمن ،والسلام، والعيش الكريم لسكان حلب، وترك ما يجلب لهم القتل، والتشرد، والجوع ،كالحرب وغيرها.

ليصل المعري بذلك إلى غايته وهي التأثير في المتلقي.

٣-حذف الجملة: "يطال الحذف الجملة كما الكلمة المفردة ،والحرف، وفي حذف الجملة مِنَ الكلام "بقرينة عليها فيه مِنَ الدقة، وجليل الفائدة ما لا خفاء به"[١]، "وحذف الجملة أقل استعمالاً استعمالاً مِنْ حذف المفرد"[٢].

ومن مصاديق حذف الجملة قول المعري على لسان الشاحج: "إنِّي مع الذي ألاقيه من قلة الدعة، وعنف السياق، يسوسني أجير كسلان إذا سأله الملاك: أأرويته من سويد؟ قال: نعم. أحششته بعد ذلك؟ أأوسعت له من الحسيك[٣]؟ أتفقدته من آثار الأبرار؟ قال: أجل، نعم، حوب!. ويحلف لهم الحذاء لقد فعل، وهو بشهادة الله أكذب من الشيخ الغريب"[٤].

حذفت في النص أعلاه ثلاث جمل، وذلك بعد حروف الجواب، وأصل الكلام: نعم. أرويته مِنْ سويد، هذا بالنسبة لجواب السؤال الأول. وجواب السؤال الثاني: أجل، أوسعت له مِنَ الحسيك. أمَّا بالنسبة لجواب السؤال الثالث فهو: نعم، تفقدته مِنْ آثار الأبرار.

فحذف كل ذلك إيجازاً واختصاراً للكلام فـ "كثير مِنَ أنواع الحذف في التركيب تنتج عن رغبة المتكلم في الإيجاز والاختصار، ذلك أنْ الإيجاز فضلاً عمّا فيه مِنْ تخفيف يكسب العبارة قوة ،ويجنبها ثقل الاستطالة، وترهلها"[٥]، و" الحذف اختصاراً مِنْ أفصح كلام العرب؛ لأنَّ المحذوف كالمنطوق به، مِنْ حيث كان الكلام مقتضياً له، لا يكمل معناه إلّا به"[٦]، كما أنَّ

---

[١] الجامع الكبير في صناعة المنظوم: ١٢٥ – ١٢٦.
[٢] علوم البلاغة والبيان: ١٨٣.
[٣] سويد: الماء، جمهرة اللغة: ٣/ ١٢٧٥. الحسيك: نبات له ثمر خشن، جمهرة اللغة: ٥٧/٤.
[٤] رسالة الصاهل والشاحج: ٩٨.
[٥] ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٠٠.
[٦] أمالي ابن الشجري: ١٢٣/٢.

أنَّ الحذف هنا جاء منسجماً ودلالة الكلام على عدم حصول الشاحج على ما يدل عليه المحذوف، ودليل ذلك قوله: "وهو بشهادة الله أكذب مِنْ الشيخ الغريب..."[١] .

أراد المعري بوسيلة الحذف في مسلك التلميح المقاصد الآتية:

المقصد الأول: تقبيح الكذب وذم صاحبه، وهذا المعنى يتساوق وما نص عليه القرآن الكريم مِنْ وعيد للمكذبين.

المقصد الثاني: إنكار ظلم الحيوان، والغلظة في معاملته، والحال ينبغي على الإنسان أنْ يكون أكثر عطفاً ورحمة بهذا الحيوان الذي سخره الله تعالى، لينقل أثقاله ويحمله إلى بلد ليس بالغه إلَّا بشق الأنفس.

ونجد فاعلية الحذف تكمن في الإيجاز، وسرعة إيصال الفكرة والقصد.

أمَّا الغرض الخطابي فهو إظهار المعري ما يعانيه مِنْ آلام نفسية بسبب العمى والضعف والفقر، فضلاً عن حبسه نفسه، كل تلك الأسباب جعلته يسأم العيش، ويزهد عمّا في الدنيا.

ونجد فاعلية الحذف بعدم ذكر المحذوف؛ لأنَّ الأمر بدا واضحاً لا حاجة لإعادته فضلاً عن الدلالة النفسية التي تترك أثراً في حبس الأنفاس والمشاعر فكيف بالجمل!.

وغايته مِنْ ذلك التأثير في عزيز الدولة علّه يحقق ما يصبو إليه المعري، فتلميحه يوصف حاله التي يمر بها، وما يعانيه مِنَ الفقر والحرمان إنَّما سيق لجلب عطف عزيز الدولة، قال: "فيكون منك الطول بأن تصل تظلمي إلى الحضرة، فلعلي أنصف مع المظلومين. قد ترى ما أنا فيه..."[٢]، فهو يبث شكواه بقصد استعطاف عزيز الدولة عليه.

ونجد الحذف يتناسب والحالة النفسية لأبي العلاء تجعله يقلل كلامه ،ويكتفي بالإجابة بحرف الإيجاب دون ذكر الجملة.

---

[١] رسالةالصاهل والشاحج: ٩٨.
[٢] نفسه : ٩٧.

٤: التقديم والتأخير:

"تعد ظاهرة التقديم والتأخير مِن الظواهر اللغوية عند العرب وغيرهم، فيقدمون ما هو مؤخر، ويؤخرون ما هو مقدم، واهتمام النحويين العرب بهذه الظاهرة ملحوظ منذ أولهم، إذ لهم اعتناء بها، لا يقل عن اعتناء علماء البلاغة، فكلاهما وضع لها قوانين تنتظمهما، ويظهر أثر التقديم في بنية الجملة شكلاً ودلالة، فضلاً عن كلامهم عن الواجب والجائز في هذه المقامات، بيد أنَّ النحويين لم يفردوا باباً مستقلاً لهذه الظاهرة في كتبهم، وإنَّما جاء عرضاً في كل مبحث على حدة"[١]، وأول مَن تناول التقديم والتأخير بالبيان والتعليل سيبويه تحت باب سماه (الفاعل الذي يتعدى فعله إلى مفعوله)، قال: " فإن قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبدُ الله؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّرا ما أردت به مقدَّمًا، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه وإنْ كان مؤخراً في اللفظ. فَمن ثمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّما، وهو عربيٌّ جيِّد كثير، كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ،ويَعْنِيانهم"[٢]، ويتضح مِن قول سيبويه أنَّ العناية والاهتمام بمدلول الألفاظ هما الضابطان الأساسيان في تقديم ما حقه التأخير أو خلاف ذلك.

ونقل ابن جني قول أبي علي الفارسي في تعليله التقديم والتأخير، قال: " ويعلل أبو علي تقديم ما حقه التأخير تمكنه في نفس قائله، قال: قيل: إن العرب لما قوي في أنفسها أمر المفعول حتى كاد يلحق عندها برتبة الفاعل، وحتى قال سيبويه فيهما: وإن كانا جميعًا يهمّانهم ويعنيانهم"[٣].

وذكر ابن السراج (ت٣١٦هـ) موانع التقديم والتي منها:

١- لا يجوز تقديم الصلة على الموصول.

٢- المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى إلا ما جاء على شريطة التفسير.

٣- الصفة وما اتصل بها على الموصوف وجميع توابع الاسم.

٤- والمضافُ إليه وما اتصل به على المضاف.

---

[١] التقديم والتأخير في المفعول المطلق، صالح محمد: ٣٦.
[٢] الكتاب: ٣٤/١.
[٣] الخصائص: ٢٢٠/٢.

٥- وما عمل فيه حرف أو اتصل به حرفٌ...[١].

وإذا كان التقديم يحسن في مواضع خاصة فإنَّه يستقبح في مواضع أخرى، وإلى هذا أشار الآمدي (ت٣٧٠هـ) في مصطلح (الإساءة في النظم) قال: "واعلم أن رديء اللفظ يكون على وجهين: إما أن تكون اللفظة من ألفاظ العوام سخيفة في نفسها، أو جيدة قد وضعت في غير موضعها فصارت رديئة في ذلك الموضع خاصة"[٢].

ووصف الجرجاني التقديم والتأخير بأنَّه "باب كثير الفوائد جمُّ المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه"[٣].

وأسهم المحدثون في دراسة ظاهرة التقديم والتأخير، بعدما أفادوا مما وصل إليه البلاغيون القدامى، وأشاروا إلى أهميتها في إضفاء سمة البلاغة على الكلام إذا ما حسن استعمالها "وإذا كانت البلاغة مبنية على ترتيب الألفاظ ،وحسن مواقعها، فكلما كان الأسلوب محكم البناء جيد السبك ،والرصف، قد أخذت فيه كل كلمة موقعها، ولم تكن مكرهة عليه مستقبحة فيه، كلما جاد اللفظ، وأبان المعنى، والعكس صحيح"[٤].

"ورفض إبراهيم أنيس أنْ يكون للتقديم أثر في المعنى، وحمله على سيبويه، وعلى عبد القاهر الجرجاني وليس يشفع في انحراف الفاعل عن موضعه أو المفعول عن موضعه ما ساقه سيبويه مِنْ حديث عن العناية والاهتمام، ولم يذكر الجرجاني مثلاً يدل على أثر التقديم في المعنى. كذلك لا يشفع في هذا الانحراف فلسفة عبد القاهر، حين أراد توضيح معنى الاهتمام بعبارته المشهورة (قتل الخارجي زيد)"[٥].

"وظاهرة التقديم والتأخير تقوم على التصرف في الرتب التي تحتلها العناصر المكونة لمركب مِنَ المركبات"[٦]، و"تمثل عاملاً مهماً في إثراء اللغة وإغناء التحولات الإسنادية التركيبية في النص، مما يجعله أكثر حيوية، ويبعث في نفس القارئ الحرص على مداومة

---

[١] ينظر :الأصول في النحو: ٢٢٢/٢.
[٢] الموازنة: ٤٧١/٣.
[٣] دلائل الإعجاز: ١٠٦.
[٤] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، عبد العظيم المطعني: ٤٣.
[٥] التقديم والتأخير في المفعول المطلق، صالح محمد: ٤١.
[٦] أصول تحليل الخطاب: ٤٩١/١.

النظر في التركيب بغية الوصول إلى الدلالة"[١]، "وتتميز اللغة العربية بأنَّ الجملة فيها لا تخضع لقواعد صارمة في ترتيب أجزائها، بل يملك المتكلمون بها الحرية في صوغ الجمل وتقديم أو تأخير ما يشاءون مِنْ عناصرها؛ لدوافع نفسية أو مجاراة لظروف القول وملابساته"[٢].

و"تحريك الكلمة أفقياً إلى الأمام أو إلى الخلف يساعد في الخروج باللغة مِنْ طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي"[٣]، وهذا ما "يؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤديه الكلمة لو أنَّها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي"[٤].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنَّ التقديم والتأخير يختلف باختلاف المقام والسياق، قال: "... إنَّ مواطن العناية والاهتمام تختلف بحسب المقام ولذلك قد تقدم كلمة في موطن وتؤخرها في آخر حسبما يقتضيه المقام... وليس معنى الاهتمام تقديم ما هو أفضل أو أشرف إذ المقام يقتضي تقديم المفضول على الفاضل وقد يقتضي العكس مِنْ ذلك"[٥].

ومِنْ أهم أغراض التقديم والتأخير:

١- "التخصيص.

٢- تعجيل المسرة للتفاؤل.

٣- تعجيل الخبر للتطير.

٤- ليتمكن الخبر في ذهن السامع"[٦].

٥- "السخرية والتهكم.

٦- الافتخار.

٧- الاحتقار"[٧].

---

[١] أسلوبية الانزياح: عبد الله خضر: ٦٧.
[٢] نفسه: ٧٩.
[٣] نفسه: ٦٧.
[٤] بلاغة التقديم والتأخير، عبد الهادي عبد الرحمن:٤.
[٥] الجملة العربية والمعنى: ٤٥- ٤٦.
[٦] علوم البلاغة: ١٠١ – ١٠٢، وينظر: خصائص التعبير القرآني، عبد العظيم إبراهيم: ٨٠/٢.
[٧] دلالات التقديم والتأخير: ٦١.

فمِنْ مصاديق التقديم والتأخير في الرسائل العلائية قول أبي العلاء: "بسم الله الرحمن الرحيم، لله الحمد، ما أحصي خطأ وعمدٌ، وصلى الله على محمد ما التأم شعبٌ، وعلا كعباً كعب، شوقي إلى سيدي الشيخ، شوق البلاد الممحلة، إلى السحابة المسحلة، وانتفاعي به انتفاع الأرض الأريضية[١] بالأمواه الغريضية...."[٢].

هذا نص مِنْ رسالة كتبها أبو العلاء "إلى أبي طاهر المشرَّف بن سبيكة، وهو ببغداد يذكر له أمر شرح السيرافي وما جرى فيه مِنَ التعب"[٣]، ويكمن التقديم في النص السابق في في تقديم الخبر (لله) الجار والمجرور، على المبتدأ (الحمد)، وقد تحققت في هذا التقديم أغراض مهمة لا يمكن أنْ تتوفر ما لم يحصل هذا التقديم، ومِنْ أهم تلك الأغراض:

"التفنن في القول ومراعاة نظم الكلام"[٤]، وتحقيق فائدة جمالية شكلية، وهي توافق الفواصل، ولو لم يقدم الخبر لاختفت الفاصلة وعدمت الفائدة، كما أنَّ هذا التقديم أفاد معنى التخصيص، وذلك بأنْ خص الله تعالى وحده بالحمد في السراء والضراء، فهو وحده مَنْ يجب أنْ يحمد في كل حال.

أراد المعري أنْ يبين المقاصد الآتية:

المقصد الأول: إن الله وحده مَنْ يجب على كل امرئ حمده والثناء عليه في السراء ،والضراء.

المقصد الثاني: وصف المعري شوقه، ورغبته في لقاء المخاطَب ،وحاجته إليه، التي يشبهها بحاجة الأرض الميتة إلى الماء؛ لتحيا به.

والغرض مِنْ ذلك مدح المتلقي ببيان مكانته عنده، وأهميته لديه، وفائدته له، كانتفاع الأرض المباركة بالماء.

أمّا القصد الغائي فهو إخبار المتلقي ما عاناه المعري مِنْ نصب في عمله .

---

[١] السحابة المسحلة: ذات المطر الغزير، لسان العرب: ٣٢٩/١١ – ٣٣٠، الأريضة: الموضع الحسن النبات ، العشرات في غريب اللغة ، غلام ثعلب : ٦٨.
[٢] رسائل أبي العلاء المعري: ١٠٦.
[٣] نفسه: ١٠٦.
[٤] المثل السائر: ١٧٣/٢.

ومِنْ مصاديق التقديم والتأخير قول المعري: " ولو كنت بالغاً في الأدب أطورى، لكنت في تلك الحضرة كالقطرة تحت الصبير، والحصاة إلى جانب ثبير. فما بالي وأنا مثقل استعان بذقن، وطفل بهش إلى يفن، وذليل عاذ بقرملة، وعبد هتف بأمة؟ والربيع أغفلت الكمأة؛ وعند المنهل نسيت المزادة. كل امرئٍ يغدو بما استعد، وقبل الرماء تملأ الكنائن[١]؛ فماذا يصنع من لا كنانة له ولا عدة عنده؟ قد أضاء الصبح لذي عينين، فهل يضيء لمن لا عينين له؟..."[٢].

يشكو المعري ما يمر به مِنْ مأساة الفقر والعمى، وكبر السن الذي ذهب بقوته، وقلة مَنْ يعينه على ذلك، متمثلاً لفقره بالصائد الذي لا كنانة ولا عدَّة عنده، وهذا ما يدل على شدة الفقر الذي كان يعانيه، وضعف القوة الذي وصل إليه.

وكان لذهاب النور مِنْ عينيه ،وفقره الأثر الكبير الذي جعله لم يستعد لمثل هذا، والحال ينبغي على المرء أنْ يكون مستعداً لتفادي خطر الأمور ،وآثارها، فكما ينبغي على الصائد أنْ يجهز كنانة، ويضع فيها السهام إذا ما أراد الخروج إلى الصيد، فكذلك ينبغي على كل إنسان أنْ يكون مستعداً لكل أمر، محققاً بذلك مقدماته كي يضمن تحقيق نتائجه ونجاحه.

تقدم في النص السابق (قبل)، والمضاف إليه (الرماء) على الفعل المضارع (تملأ) والمفعول به (الكنائن)، ومعنى المثل "أي تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه للأهمية. فالاستعداد والأهمية هما ما يدل عليها معنى المثل، وعلها يضرب، ولذلك قدمه المتكلم إدراكاً لأهميته في إبراز المعنى الذي يفصح عنه. فلو تأخرت شبه الجملة لكانت منطقية في تركيبها ،ودلالتها، وتلاشت القيمة المعنوية لها"[٣].

وأضاف المعري معنىً آخر للمثل غير المعنى الذي هو له في الأصل، وهو دلالته على الاستعداد ،والأهمية، فالمعنى المضاف هو دلالته على الفقر الشديد، فهو يصف نفسه، ويشبهها بالصائد الذي لا يملك لفقره مِنْ أدوات الصيد شيئا.

---

[١] جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري: ٤٤٤/١، ومجمع الأمثال، النيسابوري: ١٠١/٢.
[٢] رسالةالصاهل والشاحج: ٨١ – ٨٢.
[٣] التقديم والتأخير في المثل العربي، غادة أحمد: ١٢٣.

أراد المعري أنْ يبين مقصده مِنَ النص السابق، وهو إظهار ما يعانيه مِنْ فقر وضعف، إذ صور نفسه لمتلقيه بأنَّه كالشيخ المسن الذي يستعين بالشجر الضعيف الذي ينفضح إذا وطئ[١].

والغرض مِنْ ذلك، استعطاف عزيز الدولة بإظهار ما يعانيه مِنْ مصاعب في حياته؛ ليصل بذلك إلى مقصده الغائي وهو التأثير على المتلقي، ومن ثَمَّ تحقيق طلبه، وهو إعفاء الأرض مما عليها مِنْ أموال للدولة.

ومِنْ مصاديق التقديم والتأخير قول المعري متحدثاً عن ملوك حِمْيَر وموتهم: "وفي عصر الرائش[٢] هلك لقمان صاحب النسور[٣]، بعد ما شرب مِنَ الحياة آخر السور، وإنَّما اصطفى الله لنفسه البقاء، وحكم أنْ لا وقاء... وما الحياة الدنيا إلَّا متاع الغرور؛ فتعالى الله قادراً ما ترك وافياً ولا غادراً؛ إلَّا جرعه كؤوس المنية..."[٤].

يذكر المعري هذا القول مِنَ الأساطير التي نسبت إلى بعض الشخصيات، التي لا يقبلها العقل بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوال، وإنَّما جاء ذكره لها على سبيل التهكم بمَنْ يعتقد بذلك، مُذكّراً المتلقي بسنّة الله في خلقه، وهي مصداق قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ }[الرحمن:٦]، فالكل إلى الله تعالى راجع وإنْ طال به العمر، سواء أ كانوا أنبياء أم غير ذلك.

جاء التقديم والتأخير في تقديم الجار والمجرور (لنفسه) على المفعول به (البقاء)؛ ليفيد بذلك القصر، والاختصاص، وهذا ما ينسجم ودلالة الألفاظ، فجاء التقديم معضداً دلالة الألفاظ على القصر والاختصاص، أي البقاء مختص ومقصور على الله تعالى وحده، وليس لغيره إلى البقاء مِنْ سبيل، كما أنَّ للتقديم فائدة جمالية شكلية وهي توافق الفواصل، ولو قال: (اصطفى الله البقاء لنفسه) لاختفت الفاصلة ،وذهبت الفائدة.

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج: هامش ٨٢.
[٢] الرائش: واسمه الحارث بن أبي شدد، كان ملكه باليمن أيام ملك (منو شهر)، وسمي بالرائش لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن، تاريخ الطبري: ٣٨٣/١.
[٣] لقمان بن عاد هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستقي لها، فخير بقاء سبع بقرات أو بقاء سبعة أنسر، فاختار أعمار النسور، ينظر: المعارف، ابن قتيبة: ٦٢٧، تاريخ الطبري: ٢٢٣/١.
[٤] رسالة في تعزية ابن أبي الرجال: ١٣ - ١٥.

مِنَ المقاصد التي أرادها المعري بمسلك التلميح ما يأتي:

المقصد الأول: تذكير المتلقي وتنبيهه على أنَّ {كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ} [ال عمران: ١٨٥] وإنْ طال بها العهد.

المقصد الثاني: ليس للخلق إلى تأخير أجلهم أو تقديمه مِنْ سبيل {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤].

المقصد الثالث: الوعظ والإرشاد، فإذا كان الموت لا بدَّ منه وقدر حتمي على الإنسان، فحري بالإنسان أنْ يكون على استعداد لذلك القدر، وذلك بأنْ يكون مِنَ الصالحين في الحياة الدنيا؛ ليحظى بسعادة الآخرة، وإلّا سيكون ممن حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة فأصبحوا خاسرين.

والغرض الخطابي هو فخر المعري بسعة اطلاعه ،ومعرفته بتراث الأمم ،وتاريخها، فضلاً عن أنَّ ما أورده عن تلك الحقب السالفة، ثابت في أمَّات كتب التأريخ كتأريخ الطبري، وابن الأثير[١] وغيرها.

٥ : الإيجاز والإطناب

أ- الإيجاز:

نقل صاحب الصناعتين قول الخليل في الإيجاز والإطناب أنَّه قال: "يختصر الكتاب ليحفظ، ويبسط ليفهم"[٢]، فيعلل الإيجاز بسهولة الحفظ على المتلقي، وبسط الحديث ،وشرحه بسهولة الفهم والتمكن مِنَ الكلام، وإدراك مقاصد المتكلم، وحدَّ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الإيجاز بأنَّه "الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"[٣]، ثمَّ توسع الجاحظ في مفهوم الإيجاز حتى صار عنده: "أداء حاجة المعنى سواء أ كان ذلك الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة"[٤]، وذكر الرماني (ت٣٨٤هـ) أنَّ مصطلح الإيجاز عند علماء البلاغة هو "تهذيب الكلام بما يحسن به البيان أو

---

[١] ينظر: تأريخ الطبري: ٢٢٣/١، وينظر: الكامل في التأريخ: ٨٢/١.
[٢] الصناعتين: ١٩٢.
[٣] الحيوان: ٤٢/٣.
[٤] ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٢/٦.

تصفية الألفاظ مِنَ الكدر وتخليصها مِنَ الدرن"[١]، فيما جعل السكاكي متعارف الأوساط حداً فاصلاً بين الإيجاز والإطناب، قال: "أمَّا الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلَّا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الأوساط على معنى متعارف في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولا بدَّ مِنَ الاعتراف بذلك مقيساً عليه ولنسمِّهِ متعارف الأوساط ..."[٢]، وقسم ابن الأثير الإيجاز قسمين: "أحدهما: الإيجاز بالحذف، وهو ما يحذف منه المفرد والجملة؛ لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون فيما زاد معناه على لفظه. والقسم الآخر: ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان أحدهما: ما ساوى لفظه معناه، ويسمى (التقدير). والآخر: ما زاد معناه على لفظه، ويسمى (القصر)"[٣].

أمَّا المحدثون فلم يكونوا بعيدين في حدهم للإيجاز عن القدامى مِنَ البلاغيين، فقد عرَّف أحمد مطلوب إيجاز القصر بأنَّه: "تقليل الألفاظ وتكثير المعاني"[٤]، أو هو "أنْ يكون اللفظ ناقصاً عن أصل المراد مع الوفاء به وإلَّا كان إخلالاً لا إيجازاً"[٥]، وهو أيضاً "تحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل"[٦]، ومِنْ شروط الإيجاز" حسن الدلالة وإيصال المعنى، وعدم الإخلال به، مع إفادة المعنى المتحدث عنه"[٧]، فمِنْ مصاديق الإيجاز بـــ (القصر) فيما نحن في سبيله قول أبي العلاء: "وأما اليربوع، فهو في الوطن مسبوع. نفَّق ،ورهَّط، وعنَّق، لنفسه وقصَّع، واتخذ لنفسه دممة، وسابياء، وكل ذلك هرب مما قدر وهيهات!"[٨].

تتضح معالم مسلك التلميح عندما يتحدث المعري عن (اليربوع) الذي لم يأمن على نفسه مِنْ ظلم الإنسان وملاحقته له، وإنَّ السبل التي سلكها لم تكن مجدية في التخلص مما قدر له وقضي عليه على يد الإنسان.

---

[١] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٨٠.
[٢] مفتاح العلوم: ٢٧٦.
[٣] المثل السائر: ٢١٦/٢.
[٤] معجم المصطلحات البلاغية: ٢١١.
[٥] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني: ١٣١/٢.
[٦] علوم البلاغة، أحمد قاسم: ٣٥٧.
[٧] الإيجاز في كلام العرب، مختار عطية: ٢٧.
[٨] رسالة الصاهل والشاحج: ١٥١.

فقوله: "نفَّق: أي حفر لنفسه نفقاً، ورهط: اتخذ لنفسه راهطاء"[١]، و "عنَّق لنفسه وقصّع أي: اتخذ لنفسه قاصعاء"[٢]، و"واتخذ لنفسه داماء وسابياء"[٣].

جاء الإيجاز في النص السابق بـــ (القصر) حيث عبر عن المعنى بما "لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها وهو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً ،وأعوزها إمكاناً"[٤].

والإيجاز هنا ينسجم وضيق المقام، فهروب الفريسة وبحثها عمّا تلوذ به للتخلص مِنَ الموت الذي يلاحقها على يد الصائد، كل ذلك يتطلب الإيجاز والسرعة خوفاً مِنْ فوات الفرصة، وهذا الأسلوب كثير في العربية، مِنْ ذلك قولهم: "غزال، يريد: هذا غزال، فيحذف المسند إليه، وهو (هذا) مخافة أنْ تفوت الفرصة، فيفلت الصيد مِنْ يد الصائد"[٤].

أراد المعري بذلك بيان قصده مِنَ الخطاب وهو: ذم أكل ما كره لحمه مِنَ الحيوانات وإنكاره، وخص مِنْها بالذكر هنا (اليربوع) ، وكيف لا يستنكر ذلك وهو يقرأ قول (أبي وائل شقيق بن سلمة)[٥]: "ضبٌ مكوى أحبُ إليَّ مِنْ دجاجة سمينة"[٦]؛ ليصل بهذا المعنى إلى إنكاره إزهاق نفس كل حيوان.

وثمَّة أمور نود الإشارة إليها مِنْ بعيد تتساوق مع ما نحن في سبيله، مفادها:

١- أتى الإيجاز هنا لينم على فلسفة دقيقة مفادها إعادة النظر في أسبقية (الحذر) و(القدر).

٢- اليربوع هو كائن الصحراء والبادية، وأكلته هم الأجلاف الأقحاح مِنَ البدو وهذا الأخير عُرِفَ بغلظته وجفائه.

٣- إنْ كان أكل اليربوع علامة دالة على الفصاحة كما يروى بأنَّ أهل البصرة يفخرون على أهل الكوفة بأنَّهم أخذوا اللغة عن أكلة اليرابيع[٧]، فهذا يعني:

---

(١) العين: ٢٠/٤.
(٢) نفسه: ١٢٨/١.
(٣) جمهرة اللغة: ١٢٢٩/٣.
٤ المثل السائر : ٢ / ٢٧٥ .
(٤) المنهاج الواضح للبلاغة: ٢١/٢.
(٥) شقيق بن وائل: رئيس بكر بن وائل وهو تابعي كوفي، تهذيب التهذيب: ٣٦١/٤.
(٦) المعاني الكبيرة، ابن قتيبة: ٦٥٠/٢.
(٧) ينظر: مِنْ تاريخ النحو العربي: سعيد الأفغاني: ٢٣.

أ- أكله حقيقة ثابته وواقعة.

ب-ليس ذكره هنا على سبيل الفخر، بل أورده على سبيل العبرة.

والغرض الخطابي هو تأسية الشاحج على ما يلقاه في دأبه من أينٍ على يد الإنسان.

أمّا المقصد الغائي فهو تحذير عزيز الدولة مِنْ غزو الروم لحلب؛ لأنَّه إذا ما حصل هذا الأمر ستعم آثاره أهل حلب بأجمعهم، بل حتى عزيز الدولة لن يكونَ بمأمن مِنْ تلك الآثار.

ومِنْ مصاديق الإيجاز بـــ (الحذف) في النصوص محل الدراسة قول أبي العلاء: "... يزعمون أني من أهل العلم وأنا منه خلو إلا ما شاء الله ومنزلتي إلى المجال أدنى منها إلى الرهط العلماء ولن أكون مثل الربداء[١] أزعم في الإبل أنني طائر وفي الطير أنني بعير سائر والتمويه خلق ذميم ولكني ضب لا أحمل ولا أطير ولا ثمني في البيع خطير أقتنع بالحبلة والسحاء[٢] وأتعوذ من بني آدم في مساء وضحاء وإذا خلوت في بيتي تعللت وان فارقت مأواي ضللت وذكر ابن حبيب[٣] أنَّه يقال في المثل أحير، من ضبٍ[٤] وذلك أنه إذا خرج من من بيته فابعد لا يهتدي إن يرجع إليه"[٥].

يبالغ المعري في تواضعه وهذا سبيله في كثير مِنْ رسائله، مِنْ ذلك قوله في مقدمة هذه الرسالة (الملائكة): " وحق لمثلي أنْ لا يسأل فإن سئل تعين عليه ألّا يجيب فإن أجاب ففرض على السامع ألّا يسمع مِنه فإنْ خالف في استماعه ففريضة ألَّا يكتب"[٦]، وقال في الغفران: " إنِّي لمكذوب عليه كما كذبت العرب على الغول ... يظنُّ أنَّني من أهل العلم، وما أنا له بالصاحب ولا الحلم"[٧].

---

[١] الربداء : النعامة، لسان العرب: ١٧٠/٣.
[٢] السحاء: نبت تأكله النحل، ويقال: ضب ساحل حابل، إذا رعى السحاء والحبلة، تهذيب اللغة: ١١١/٥.
[٣] إمام النحو هو: أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي، أخذ عنه الكسائي وسيبويه، توفي (١٨٣هـ)، سيرة أعلام النبلاء: ٢٣٩/٧.
[٤] مجمع الأمثال: ٢٢٧/١.
[٥] رسالة الملائكة: ٤٧ – ٤٩.
[٦] نفسه: ٥.
[٧] رسالة الغفران: ٣٩٠.

كأنَّ المعري يُعرِّض بمَنْ يدعي المعرفة والعلم وهو منها خلو، ويذم مَنْ يموه الحقائق على الآخرين وذلك بأنْ يظهر لهم الباطل بصورة الحق، ويضرب المعري لبيان التمويه النعامة مثلاً، التي تشترك في بعض صفاتها مع البعير، وفي البعض الآخر مع الطير، فكأنها تنتمي إلى النوعين معاً، وفي هذا المعنى قال الجاحظ: " وفي النّعامة أنّها لا طائر ولا بعير، وفيها من جهة المنسم والوظيف والخرمة، والشقّ الذي في أنفها، ما للبعير، وفيها من الرّيش والجناحين والذّنب والمنقار، ما للطائر"[١].

ثمَّ يشبه المعري نفسه بالضب؛ لكونه أدنى قيمة مِنْ غيره مِنَ الحيوانات، وأقل فائدة بالنسبة للإنسان، كما أنَّ الضب معروف بعدم الهداية إلى جحره إذا ما خرج منه لطلب الطعام؛ ولذلك قيل في المثل: " أحير مِنْ ضب؛ لأنَّه إذا فارق جحره لم يهتد للرجوع"[٢]، والمعري إذ يشبه نفسه بالضب بجامع الضلال وعدم الهداية إنَّه يشير بذلك إلى معاناته ؛لكونه كفيف البصر، كما أشار إلى قناعته في الأكل بما لا قيمة له عند غيره.

مما جاء في النص السابق يتضح أنَّ المعري أراد أنْ يبين زهده في الحياة ،ورغبته عنْ ملذاتها، وقناعته بما يتيسر له الحصول عليه وما يضمن له استمرار الحياة.

وعوداً إلى ما سيق النص مِنْ أجله (الحذف) فقد نجد الحذف في قوله :(وأتعوذ مِنْ بني آدم)، حيث حذف حرف الخفض (الباء) ولفظ الجلالة والاسم المجرور (شر) بعد (مِن) وأصل الكلام : (أتعوذ بالله مِنْ شر بني آدم)؛ لأنَّ أصل الملاذ واللجوء مِنْ شر الإنسان لا يكون إلّا لله وحده، كما أنَّ الإنسان لا يستعاذ منه مِنْ حيث كونه إنساناً، بل مِنْ فعاله التي تلحق الأذى بغيره، ولقد شكا المعري شرَّ بني آدم في غير موضع مِنْ رسائله، مِنْ ذلك قوله: " ولقد لقيت مِنْ بني آدم شرّاً"[٣].

يتبين مما سبق أنَّ المعري أراد إيصال المقاصد الآتية إلى متلقيه:

المقصد الأول: ذم التكبر والحث على التواضع.

---

[١] الحيوان ٤/٤١٦.
[٢] مجمع الأمثال: ١/٢٢٧.
[٣] رسالة الغفران: ٢٩٣.

المقصد الثاني: الدعوة إلى اجتناب الأخلاق السيئة وتنفير المتلقي منها ،كالتمويه والرياء وغير ذلك.

المقصد الثالث: حث المتلقي على القناعة بما أعطاه الله سبحانه، والصبر على ما ابتلاه.

المقصد الرابع: الدعوة إلى الزهد في العيش، والرغبة عن ملذات الدنيا.

أمَّا الأغراض الخطابية المرجو تحققها فهي: الوعظ والإرشاد والتوجيه، أي إرشاد المتلقي وتوجيهه إلى الأخذ بالمقاصد المشار إليها سابقاً.

والغاية الخطابية مِنْ ذلك هي التأثير بالمتلقي، وتحقق التأثير يعني نجاح الخطاب وخلاف ذلك صحيح.

ب- الإطناب:

قال الجاحظ: "وقد بقيت- أبقاك الله تعالى- أبواب توجب الإطالة، وتحوج إلى الإطناب، وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عند منتهى البغية، وإنَّما الألفاظ على أقدار المعاني"[1]، ونقل صاحب الصناعتين "أنَّ الإطناب عند أصحاب المنطق إنّما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالاتساع، والشفاء لا يقع إلّا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشدّه إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامّة إلّا بالاستقصاء؛ والإيجاز للخواصّ، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة، والغبي والفطن...والإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه، ولكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"[2]، وحدَّ القزويني الإطناب بأنَّه: "أداء المقصود مِنَ الكلام بأكثر مِنْ عباراته، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى

---

[1] الحيوان: ٣٢٢/٦.
[2] الصناعتين: ١٩٠.

غير الجمل"[١]، والفرق بين المصطلحات الثلاث (الإطناب، التطويل، الإسهاب) هو: "أنَّ التطويل يأتي لغير فائدة، أمَّا الإطناب، فيأتي لفائدة التأكيد والمبالغة"[٢].

أمَّا (الإسهاب) فهو: "بسط الكلام مع قلة الفائدة، فالإطناب بلاغة والإسهاب عيٌّ، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد تحتوي على زيادة فائدة، والإسهاب بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب"[٣]، وقد يكون "الإسهاب تطويل لفائدة أو لا لفائدة"[٤].

"وعلماء البيان افترقوا فرقتين: فرقة منهم تبنت واسطة بين الإيجاز والإطناب، وهي المساواة وعليها درج السكاكي ومَنْ تبعه... وفرقة منها ابن الأثير في جماعة إلى نفي الواسطة"[٥]، ويراد بالمساواة : " هو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب"[٦]، وهو "الأصل الذي يكون أكثر الكلام على صورته والدستور الذي يقاس عليه"[٧]، وقال السيوطي: "كما انقسم الإيجاز إلى قصر وإيجاز بالحذف، كذلك انقسم الإطناب إلى بسط وزيادة"[٨].

وتبع علماء البلاغة الأوائل المحدثون في حدّ الإطناب ومفهومه، فهو عندهم "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[٩]، كما تبعوهم في شروطه وأغراضه[١٠].

فمِنْ مصاديق الإطناب في النصوص محل الدراسة قول المعري على لسان الشاحج سائلاً الصاهل عن قصده، قال: "فإلى أين المحرد؟. فيقول الصاهل: إلى حضرة مواس آسٍ، قد بسط آمل الناس؛ أديب آدب ما هو بجديب ولا جادب، كاد يكون عدله في الآفاق مطراً، وتأرجت البلاد بثناء عليه فهمَّ الجو أن يكون عطراً، أقام السوق للفصاحة، وأذكى القلوب بالتذكرة، وأيقظ العيون من طول الرقدة"[١١].

---

[١] الإيضاح: ١٧١/٣.
[٢] جواهر الكنز: ٢٥٦، وينظر: الطراز: ١٢٤/٢، والتعريفات:٦١.
[٣] الفروق اللغوية: ٥٦.
[٤] الكليات: ١٤١.
[٥] علوم البلاغة: ١٨٢.
[٦] الصناعتين:١٧٩.
[٧] جواهر البلاغة: ١٩٥.
[٨] معترك الأقران: ٢٥٢/١.
[٩] البلاغة فنونها وأفنانها: فضل حسن: ٤٨١.
[١٠] ينظر: المصدر نفسه: ٤٨٢.
[١١] رسالة الصاهل والشاحج: ٩٥.

"يظهر مِنْ سياق الحوار أنَّ الصاهل هنا يتكلم عن (عزيز الدولة) وأنَّ المحرد إلى حضرته في (حلب)"[١]، والمعري هنا يمدح (عزيز الدولة) ويثني عليه مستقصياً بعض الصفات المحمودة عنده، كبسط آمال الناس، وإقامته سوقاً للفصاحة، وإيقاظ العيون بعد الرقد، كما أنَّه وصفه بالعدل ونسبه إلى الأدباء.

ويكمن الإطناب في النص السابق بذكر (الصاهل) ما لم يسأل عنه، فكل الصفات المذكورة هي ليست مِنَ الجواب، والأجدر والأولى بـــ(الصاهل) أنْ يجيب إجابة محددة ومختصرة، كأن يقول: إلى عزيز الدولة، لكنَّه عدل عن الإيجاز والمساواة إلى الإطناب؛ للمبالغة في المدح.

ساق المعري النص السابق قاصداً منه تأسيس علاقة جيدة مع (عزيز الدولة) والتضامن معه والتقرب إليه، والثناء عليه، وألفاظ المدح والثناء إنَّما " يستعملها المتكلم للتقرب مِنَ المتلقي للدلالة على الصداقة والتأييد"[٢]، كما أنَّ المدح والثناء "يعد استعمالهما ضرباً مِنْ التأدب غير الرسمي، فهما يقويان درجات الصداقة، ويؤسسان لها"[٣].

والغرض مِنه السخرية والتهكم بـــ (عزيز الدولة)، وذلك بأنْ أغرقه في مبذول الثناء والإعظام، "متناسياً أنَّ هذا العزيز مولى لمنجوتكين مولى العزيز بالله الفاطمي"[٤].

أمَّا المقصد الغائي فهو التأثير في المتلقي لضمان استجابة طلبه، وذلك بسعيه إلى إيجاد جوٍ مناسب، وتحقيقه مقبوليته عند متلقيه، بوسيلة المبالغة في المدح والثناء؛ ليسهم كل ذلك في مقبولية الطلب ومن ثَمَّ تحقيقه، وهو إسقاط ما على أرض أبناء أخيه مِنْ أموال للدولة.

ومِنْ مصاديق الإطناب في رسائل أبي العلاء قوله: "قد سررت بورود كتابه أنواع سرورٍ، فسروراً لوروده وآخر لاستماعه، وثالثاً غمر هذين وهو خبر سلامته. وعجبت مِنْ ألفاظه التي ليست مسجوعة سجع الجاهلية، ولا منثورة نثر كلم العامة، بل هي منظومة نظم اللؤلؤ البحري... وإنَّما أخرت الإجابة إلى هذا الحين عجزاً عمَّا يحق عليَّ، قال الله سبحانه: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا} [النساء:

---

[١] نفسه: هامش ٩٥.
[٢] تشكيل أنواع استراتيجيات الخطاب، د. حمدي منصور: ٨٢.
[٣] نفسه: ٨٣.
[٤] نفسه: ٤٦.

٨٦]، ولا أقدر على أحسن منها، قال جلَّ اسمه: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ} [البقرة: ٢٨٦]"[١].

هذا نص مما كتبه المعري "جواباً لأبي الحسن محمد بن سنان لما جاءه كتابه في أمر كليلة ودمنة، ومما تقدم به السلطان – أعز الله نصره – مِنْ اختصار أمثال"[٢]، يصف فيه سعادته حال ورود كتاب متلقيه، منزهاً ألفاظه مِنْ عيوب الكتابة، معظماً أمره ومتواضعاً له، ومظهراً نفسه بصورة المقصر معه، معتذراً بعد ذلك عن تأخير إجابته.

ويكمن الإطناب في النص السابق في ذكر المعري أنواع سروره وبيانها بالاتساع بالقول؛ لتحقيق فائدة البيان، والفهم، والاستيعاب، وجاء الإطناب هنا على سبيل التفصيل بعد الإجمال "والغرض مِنْ ذلك التشويق للتفاصيل، والعناية بالعام، وتهيئة المخاطب للدخول في التفاصيل دون تشتيت ذهنه"[٣]، "ولا يخفى عليك ما للبيان والتفصيل بعد الإجمال مِنْ وقع في النفس؛ لأنَّه عند الإجمال تتطلع النفس إلى التفصيل، فعندما يأتي التفصيل يكون له وقعه وأثره، حيث أتى والنفس إليه متطلعة وله مترقبة"[٤]، كما أنَّ "للتفصيل بعد الإجمال فائدة عظيمة لإفادتها الكلام فضل تمكنه في ذهن السامع"[٥].

مِنَ المقاصد التي أراد المعري بيانها في النص السابق ما يأتي:

المقصد الأول: إظهار المعري مكانة متلقيه عنده، وكيف تغمره السعادة إذا ما سمع بإسمه، أو جاءه منه رسول.

المقصد الثاني: إظهار المعري متلقيه بصورة المحسن إليه، واعترافه بالتقصير مقابل ذلك الإحسان.

المقصد الثالث: تقديم الاعتذار عن تأخر الإجابة.

---

[١] رسائل أبي العلاء المعري : ٢٨٥ – ٢٨٦.
[٢] نفسه: ٢٥٨.
[٣] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٠.
[٤] البلاغة – المعاني، منهاج جامعة المدينة العالمية: ٢٣٦.
[٥] حاشية العطار على شرح الجلال، حسن بن محمد العطار: ٣٨٣/١.

أمَّا الغرض الخطابي فهو: مدح المتلقي، وذلك بعدما فضله على نفسه في الإحسان، ونزه أسلوبه في الكتابة مِنَ العيوب، ووسمه بالبلاغة.

وغايته الخطابية: الإفصاح، إذ أفصح المعري عن مشاعره تجاه متلقيه، وبيان مكانته عنده، وشعوره بالسعادة إذا ما سمع عنه خبراً، أو اطمأنَّ لسلامته، وما كانت هذه الغاية أنْ تأتي على الوجه المطلوب إلَّا عن طريق الإطناب، وبذلك يكون للغاية أثرٌ في ركوب مسلك معين دون غيره مِنَ المسالك الأخرى.

ثالثاً: مسلك الإبهام:

"يعد الإبهام المسلك الثالث مِنَ المسالك البيانية بعد التصريح ،والتلميح، الذي يميل إليه بعض المتكلمين، ويستعمل فيه وسائل مثل التورية والإلغاز، وقد أدرجت هذه الوسيلة ضمن المسالك البيانية (وإنْ كانت توحي بغير ذلك)؛ لأنَّها مكملة لها وتدخل معها في علاقة توزيع تكاملي"[١].

وعرف العلماء المتقدمون هذا المسلك مِنَ الكلام، فقد "رصد المفسرون الأصوليون واللغويون والبلاغيون ظواهر الغموض المختلفة الناشئة عن خفاء الدلالة أو تعددها نتيجة علاقة الترادف أو الاشتراك أو التضاد"[٢]، ومِنَ الألفاظ التي دلت أو استعملت بمعنى الإبهام عند القدامى والمحدثين هي: "(الغلق) ،و(التعمية) ،و(التعقيد) ،و(التلويح)، و(اللبس)، وهذا الأخير هو الذي استعمله سيبويه ليدل على الغموض الذي ينشأ عن احتمالات تؤدي إلى غموض في المعنى"[٣]، يقول: "ينبغي لك أن تسأله عن خبر من هو معروف عنده كما حدثته عن خبر من هو معروف عندك فالمعروف هو المبدوء به"[٤]، "وسيبويه يؤكد ضرورة أنْ تكون اللفظة التي يبدأ بها الكلام معروفة؛ ليكون واضحاً ،فيدركه المتلقي"[٥].

"والإبهام في علم البديع: هو أنْ يأتي المتكلم بكلام مبهم يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر، وسمى السكاكي ومن تبعه هذا النوع بالتورية"[٦]، "والتورية هي أنْ يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره"[٧]، "وتسمى أيضاً الإبهام ،والتوجيه ،والتخييل، والتورية أولى بالتسمية؛ لقربها مِنْ مطابقة المسمى؛ لأنَّها مصدر وريت الخبر تورية، إذا سترته، وأظهرت غيره ،فكأنَّ المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر"[٨].

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٤.
[٢] العربية والغموض، د.حلمي خليل: ١٥.
[٣] موقف النقد العربي القديم مِنَ الغموض، ثريا عبد الوهاب: ٥.
[٤] الكتاب: ٤٨/١.
[٥] موقف النقد العربي القديم من الغموض : ٥.
[٦] الكليات: ٣٣.
[٧] التعريفات: ٧١.
[٨] المصدر السابق : ٢٧٧.

وحد الكفوي للتورية أشمل الحدود وأوضحها، قال: "أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له حقيقتان، أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، ويريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بالقريب فيوهم السامع أول وهلة أنه يريد المعنى القريب وليس كذلك؛ ولهذا سمي هذا النوع إيهاماً"[١].

لعلَّ أقرب المصطلحات لمفهوم الإبهام وأكثرها شيوعاً مصطلحا (الغموض) و(اللبس)، وسنوجز القول في كلٍّ منهما:

الغموض: "خاصة مِنْ خواص الأسلوب وهو أمرٌ وجد في الآداب القديمة وما يزال يوجد في الآداب الحديثة"[٢]، ويكشف (أمبسون) عن وظيفة الغموض بأنَّه ليس مطلباً بحد ذاته أو أداة مستقلة، ولكن ينبغي في كلِّ حالة أن ينبع الغموض مِنَ المقتضيات الخاصة للحالة، وليس هناك ما هو أقدر على تسويغ وجود الغموض مِنَ الإثارة، وتحقيق المتعة والفائدة"[٣].

ومِنْ أدوات الغموض الفني "استعمال الغريب مِنَ الألفاظ والغامض مِنَ المعاني، وقد يكون أيضاً بشحن النص الأدبي بشيء مِنَ المعارف الدخيلة على البيئة ... وله غاية فنية تختلف باختلاف الموضع الذي يوظف فيه"[٤]، ويكشف (جونسن) عن "الغموض أكثر احكاماً في الشعر عنه في النثر، كون القارئ مدرب على توقيع الغموض في الشعر"[٥].

أمَّا (اللبس) فهو "الإلباس المقصود الذي يلجأ إليه المتكلم في خطابه كلما أراد أن يحمل إلى المتلقي أكثر مِنْ معنى قاصداً مِن ذلك تحقيق تواصل بليغ؛ لأنَّه موجه إلى الخاصة مِنْ جهابذة الفكر دون العامة مِنَ الناس"[٦].

وأمَّا التورية فهي على أربعة أنواع:

"النوع الأول : التورية المجردة: وهي التي لم يذكر فيها لازم مِنْ لوازم المورى به وهو المعنى القريب، ولا لازم مِنْ لوازم المورى عنه، وهو المعنى البعيد.

---

[١] الكليات: ٢٧٧.
[٢] دور الكلمة في اللغة، أولمان: ١٢٥.
[٣] المجاز المرسل والكناية: ١٢٧ – ١٢٨.
[٤] موقف النقد العربي مِنَ الغموض: ٤.
[٥] سبعة أنماط مِنَ الغموض: ٦٤.
[٦] الوظائف التداولية: ٤٣.

النوع الثاني: التورية المرشحة: وهي التي يذكر بها لازم المورى به، وسميت بذلك؛ لتقويتها بذكر لازم المورى به، ثم تارة يذكر قبل لفظ التورية وتارة بعده.

النوع الثالث: التورية المبينة: وهي ما ذكر فيه لازم المورى عنه، قبل لفظ التورية أو بعده.

النوع الرابع: التورية المهيأة: وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ إلَّا باللفظ الذي قبلها، أو باللفظ الذي بعدها، أو تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت في الآخر"[١].

وألف (ابن دريد) في الإبهام (كتاب الملاحن)، و(ابن فارس) (فتيا فقيه العرب)، وقد ضمناهما ضروبا مِنَ الألغاز والألفاظ المعمَّية[٢].

ومِنْ أدوات الإبهام غير التورية (الإلغاز)، والإلغاز هي "أنْ يؤتى بلفظ ولكن يراد مرادفه ويجيء في لفظ المعمى"[٣]، وتحدث ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) عن الإلغاز وذلك قوله: "فإن قيل: فما تقولون في الكلام الذي وضع لغزاً، وقصد ذلك فيه؟، قيل: إن الموضوع على وجه الإلغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه وجعل ذلك فناً من الفنون التي يستخرج بها أفهام الناس وتمتحن أذهانهم"[٤] و"ليس مِن شكٍ في أنَّ مثل هذه الألغاز، لا تضيف طرافة إلى الشعر (الخطاب)؛ إلَّا أنْ يقصد به إلى التعقيد، وأن يتخذ هذا التعقيد إحدى غاياته"[٥]، ومِن المصطلحات الدالة على الإلغاز (المحاجاة أو الأحاجي والأغاليط) "وهي الأغاليط من الكلام، وتسمى الألغاز، واللغز والأحجية شيء واحد، وهو كل معنى يستخرج بالحدس ،والحزر"[٦].

والفرق بين الكلام المعمَّى والملغز: "أنَّ الكلام إذا دل على اسم شيء من الأشياء بذكر صفات له تميزه عما عداه كان لغزا. وإذا دل على اسم خاص بملاحظة كونه لفظا بدلالة مرموزه سمي ذلك معمى. فالكلام الدال على بعض الأسماء يكون معمى من حيث إن مدلوله

---

[١] خزانة الأدب: ٢٤٣/٢ – ٢٤٧.
[٢] ينظر: المزهر، السيوطي: ٤٤٢/١، ٤٨٠، تاريخ آداب العرب: ٢٦٢/٣.
[٣] كشاف اصطلاحات الفنون: ٤٠٩/١.
[٤] سر الفصاحة: ٢٢٦.
[٥] الفن ومذاهبه، شوقي ضيف: ٢٨٢.
[٦] المثل السائر: ٨٤/٣ – ٨٥.

اسم من الأسماء بملاحظة الرمز على حروفه ولغزا من حيث أن مدلوله ذات من الذوات بملاحظة أوصافها"[١].

"والألغاز نوعان: فإنهما تارة يقع الإلغاز بها من حيث مَعانيها وأكثرُ أبيات المعاني من هذا النوع وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع مجلدا حسناً وكذلك ألف غيره وإنما سموا هذا النوع أبيات المعاني لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ولا تفهم من أول وَهْلة وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب"[٢].

نخلص مما سبق في بيان مسلك الإبهام إلى ما يلي:

١- إنَّ كل المصطلحات المشار إليها سابقاً تشترك في دلالتها على خفاء المعنى المقصود وغموضه على المتلقي.

٢- الفرق بين (التورية) و(الإلغاز) هو أنَّ المتكلم ينصب قرينة في كلامه تدل على المعنى المورى، وهذا ما لا نجده في الإلغاز، إنَّما تستخرج المعاني الملغز عنها بالحدس والحزر.

وإذا ما ذهبنا إلى ما نحن في سبيله، وهو لحاظ مصاديق الإبهام (التورية، الإلغاز) في رسائل أبي العلاء، فلعلَّ أبرز ما يمكن إدراجه في ضمن الإبهام هي أقوال أبي العلاء على لسان الشاحج محاولاً معاياة الجمل (أبا أيوب)، فمن ذلك قوله: " العلم يدل على أنَّ (الحسن) – صلى الله عليه وسلم – لم ير الحسين قط، وأنَّ (الحسين) – صلى الله عليه وسلم – لم ير الحسن قط؛ وأن (فاطمة) – رضي الله عنها – لم تر في بيتها علياً، وقد يجوز أن تكون رأته على باب البيت، وأن الخل يجوز أن يكون فيما سلف، كان بحضرة (علي بن الحسين) – رضي الله عنهما – فيتكلم ويسأله عن أشياء من أمر الدين؛ وأنَّ (محمد بن علي الباقر) عليه السلام، وهو والد (جعفر الصادق) لم ير في داره جعفراً قط"[٣]، ثمَّ قال أبو العلاء مفسراً ما ورد مِنْ الإلغاز والتورية في النص السابق : "(إنما الحسن والحسين كثيبا رمل)[٤]، ألغزتهما عن (الحسن والحسين) – صلى الله عليه وسلم – ... ؛لأنَّا لم نعلم أنه – صلى الله عليه

---

[١] خزانة الأدب: ٤٥٣/٦.
[٢] المزهر: ٤٥٠.
[٣] رسالة الصاهل والشاحج: ٢٢٢.
[٤] الصحاح: ٢١٠٠/٥.

وسلم – رأى هذا الكثيب قط. وفيه وجه آخر، وهو أن يكون: لم ير، من قولهم: رآه يراه إذا ضرب رئته. ثم خففت الهمزة"[١].

في النص السابق تورية (مهيأة)، إذْ جيء بلفظين يحتمل كل واحد منهما معنيين أو أكثر، وهما : (الحسن والحسين)، فيحتملان أنَّ المراد بهما إبنا علي – عليهم السلام – وهذا المعنى القريب وهو غير المراد وهو المعنى الموري به، ويحتمل (الحسن والحسين) كثيبا الرمل، وهو المعنى البعيد الموري عنه وهو المراد، وهنا وقعت التورية بين لفظين (يرَ والحسن) و(يرَ والحسين)، لولا كلٍ منهما لما حصلت التورية، فالتورية مهيأة.

وفيه وجه آخر وهو أنَّ المراد بـــ "(يرَ) من قولهم: (رآه – يراه) أي لم يضرب رئته"[٢] وهذا المعنى الموري عنه وهو المراد، وتحتمل (يرَ) معنى (يبصر) وهذا هو المعنى القريب الموري به وهو غير المراد.

وقوله: "والعلي: الفراش الشديد الصلب[٣]. والاشتقاق يدل على أنه العالي. فهذا الذي عنيت بقولي: إنَّ (فاطمة) – صلى الله عليها وسلم – لم تر علياً في بيتها"[٤].

وهنا حمل لفظ (علياً) معنيين: أحدهما قريب ظاهر، وهو إسم الإمام علي – عليه السلام – وهذا غير المراد وهو الموري به، والمعنى البعيد (الموري عنه) وهو المراد، وهو الفراش العالي الصلب، وقد ذكر لازم الموري به وهي (فاطمة) على جهة الترشيح، فالتورية مرشحة.

ثم قال مفسراً: "الخلّ: الرجل المهزول. ويجوز أن يكون المختل الحال. وهذا الذي عنيت بقولي: إنَّ الخل يجوز أنْ يكون فيما سلف، كان يحضر مائدة (علي بن الحسين) – صلى الله عليه وسلم"[٥].

وهنا استعمل أبو العلاء التورية المرشحة، فلفظ (الخل) يحتمل "ما يتخذ مِنْ عصير العنب والتمر"[٦]، وهذا المعنى الموري به وهو المعنى القريب غير المراد، ويحتمل أنَّه الرجل

---

[١] المصدر السابق : ٣٥٢.
[٢] لسان العرب: ٣٨٧/٥.
[٣] لسان العرب : ٩٣/١٥، وينظر: القاموس المحيط: ٣١٤.
[٤] رسالة الصاهل والشاحج: ٣٥٢.
[٥] نفسه: ٣٥٢.
[٦] العين: ١٣٩/٤.

المهزول قليل الحلم[١]، وهو المعنى البعيد الموري عنه، وهو المراد، والتورية مرشحة؛ لأنَّه جاء بلازم منْ لوازم (الموري به)، وهو (المائدة)، فهذا يظهر أنَّ المراد بـــ(الخل) السائل المعروف، وهو ليس كذلك، إنَّما وري به عن المعنى البعيد المراد.

ومِنَ التورية المرشحة قوله: "والجعفر: النهر الكثير الماء[٢]. فهذا الذي عنيت بأنَّ (الباقر) – عليه السلام – لم ير جعفراً في داره قط"[٣].

ولفظ (جعفراً) يحتمل معنى قريبا وظاهرا، وهو اسم الإمام جعفر الصادق – عليه السلام – وهو غير المراد، وقد تقدم لازم مِنْ لوازمه على جهة الترشيح، وهو ذكره (محمد بن علي الباقر)، وهو والد جعفر الصادق، وهذا مِنْ لوازم المعنى القريب الموري به وهو غير المراد. ويحتمل الجعفر: هو النهر الواسع كثير الماء، وهذا المعنى البعيد، وهو المراد وهو الموري عنه.

وللمعري فيما سبق مقاصد أهمها:

المقصد الأول: إنكار من يأخذ الأشياء على ظاهرها وذمه، ونعته إياه بالسفاهة ،والحماقة.

المقصد الثاني: معاياة عزيز الدولة ومَن بمجلسه بما جاء مِنْ أقوال لا ينسجم ظاهرها والواقع، وتستدعي النظر الثاقب والخبرة للوصول إلى دلالتها.

المقصد الثالث: السخرية بعزيز الدولة ومَن بمجلسه ممن ادعوا العلم ،والمعرفة، وذلك بعد تفسيره أقواله إشارة منه أنهم لن يستطيعوا فهمها ومعرفتها.

والغرض من ذلك ، إنكار دعوى عزيز الدولة معرفته بالعلوم وتمكنه منها .

أما الغاية الخطابية فهي فخر المعري بمعرفته شوارد اللغة ،وغريبها، فالتورية والإلغاز "تعد مظهراً مِنْ مظاهر الثقافة العلمية والأدبية، فهما مجلى الثقافتين، وهما بلا ريب في حاجة فكر وسعة ملاحظة، وإحاطة بالحقائق، وقدرة على المماثلة وسيطرة لغوية وحيلة

---

[١] ينظر: تهذيب اللغة: ٣٠٣/٦.
[٢] لسان العرب: ١٤٢/٤.
[٣] رسالة الصاهل والشاحج: ٣٥٣.

على التصحيف وتشابه الحروف..."[١]، وهذا ما يمتلكه المعري ويتقنه ويفتخر بذلك على غيره.

أمّا الإلغاز فمن مصاديقها قول أبي العلاء: "ولو نزل جيش العدويِّ – خذله الله – بظاهر (حلب حرسها الله)، لصادفته القافية على الروي ومنع نومه الرس، وخاف الشجب من الحذو، وفقد الإشباع وفزع إلى التوجيه، وطلب المجرى والنفاذ فوجدهما عزيزين"[٢].

ثم يفسر أبو العلاء ألغاز النص السابق قائلاً: "فأردت بالقافية جماعة يبرزهم السلطان – أعز الله نصره – فيقفون العدو، أي يضربونهم في قفيهم. من قولك: قفوته، إذا ضربت قفاه. فالواحد قاف والجماعة قافية... وألغزتها عن قافية البيت"[٣].

استعمل أبو العلاء المصطلحات العروضية بدلالتها اللغوية موهماً السامع بالمعنى الاصطلاحي لهذه الألفاظ، فلفظ القافية مِنَ ألفاظ المشترك اللفظي، احتملت أكثر مِنْ معنى، معنىً ظاهر وهو قافية الشعر وهي "الكلمة الأخيرة مِنَ البيت"[٤]، وهذا المعنى غير مراد مِنَ الكلام، ومعنى بعيد وهو: مِنْ قولك: قفوته إذا ضربت قفاه و"تقفيته بعصا أي: ضربت قفاه بها"[٥]، وهذا المعنى هو المراد، حيث أخفي وعمِّي عليه بالمعنى القريب، ولم يتوصل إليه إلّا بالتوضيح، وكل الألفاظ مِنْ حوله توهم السامع أنَّ المراد المعنى القريب الظاهر وهو ليس كذلك.

ثم قال: "والروي الماء المروي، ألغزته عن روي الشعر، والماء الروي هو (قويق) المبارك الذي إذا حمل على أنَّه تصغير: قاق، من قول العامة للغراب: قاق، فهو فأل بالسعادة الدائمة لملك هذا المصر ورعيته..."[٦].

---

[١] الألغاز النحوية طبيعتها وقيمتها، سماسم سيبوسي: ٧.
[٢] رسالة الصاهل والشاحج: ٥٣٣.
[٣] نفسه: ٥٣٤.
[٤] مفاتيح العلوم: ١١١.
[٥] العين: ٢٢١/٥.
[٦] رسالة الصاهل والشاحج: ٥٣٤.

وقوله (الروي) يدل على معنيين قريب ظاهر، يدركه المتلقي من أول وهلة، وهو "روي الشعر: وهو الحرف الذي تعقد به القافية"[١]، وهذا المعنى ليس مراد المتكلم، وإنَّما قصد به التعمية على المعنى المراد وهو المعنى البعيد، فالروي: "الماء الكثير المروي"[٢].

ثم قال: "وعنيت بالرس، ما يجده الرجل في قلبه من وجد أو حزن. يقال: وجد رساً ورسيساً. ألغزته عن الرس وهو الفتحة التي تكون قبل التأسيس"[٣].

والمعنى البعيد هو المراد مِنَ الكلام، والرس: "ما يجد الإنسان مِن مس الحمى قبل أنْ تأخذه وتظهر عليه"[٤]، وليس المعنى الظاهر وهو أنَّ المراد بالرس: "فتحة المتحرك قبل التأسيس"[٥].

وكذلك هو الحال بالنسبة للمصطلحات الأخر حيث عمِّي عن الدلالات اللغوية وهي المراد بالكلام ،بالمعاني الاصطلاحية الظاهرة غير المقصود بها هنا طلباً للتعمية والإلغاز على المتلقي.

قال المعري مبيناً ما أُبهم في النص السابق: "وعنيت بالحذو، المصدر من قولك: حذوت المكان أحذوه حذوا، إذا حاذيته. والمكان هو (حلب) حرسها الله. ألغزته عن الحذو في الشعر، وهي حركة ما قبل الردف... وعنيت بالإشباع، المصدر من: أشبعهم الطعام، ألغزته عن الإشباع في الشعر، وهو حركة الحرف الدخيل... وعنيت بالتوجيه، توجيههم في طلب الصلح. ألغزته عن توجيه الشعر. وهي حركة ما قبل الروي المقيد. وعنيت بالمجرى، مجرى الخيل. ألغزته عن المجرى في الشعر، وهي حركة حرف الروي. وأردت بالنفاذ، المضاء في الأمر، ألغزته عن النفاذ في الشعر، وهي حركة هاء الوصل"[٦].

أراد المعري بمسلك الإبهام (الإلغاز) مقاصد معينة لعل مِنْ أهمها:

المقصد الأول: إبراز معرفته بعلم العروض، ومسائله الدقيقة، ومصطلحاته وحدودها.

---

[١] مفتاح العلوم: ١١١.
[٢] المعجم الوسيط: ٣٨٤.
[٣] رسالة الصاهل والشاحج: ٥٣٥.
[٤] تهذيب اللغة: ٢٦٢/٣.
[٥] مفاتيح العلوم: ١١١.
[٦] رسالة الصاهل والشاحج: ٢٣٥ – ٢٣٦.

المقصد الثاني: بيان قدرته على توجيه تلك المصطلحات بما يخدم مقاصده مِنَ الخطاب.

المقصد الثالث: توضيحه الإلغاز يحمل طابع الاستهزاء والاستهانة بعزيز الدولة كونه زعم معرفته العروض ووضع نفسه حكماً بين الشعراء.

المقصد الرابع: كشفه عن سعة اطلاعه على ما كان بين يدي علماء عصره، وإتقانه لغة العرب في عصورها الأولى وإحاطته بغريب ألفاظها.

المقصد الخامس: محاولته الانتصار اللغوي للمسلمين بغية رفع معنوياتهم بعدما حاول المرجفون إحباطها.

ثم يصل المعري إلى غرضه مِنَ الخطاب وهو تعليم المتلقي ما ورد من مسائل عروضية دقيقة، وحد المصطلحات بحدود واضحة كما بين ما تحمل تلك المصطلحات من دلالات لغوية، واشتقاقات صرفية.

أمَّا غايتاه فهما الفخر بسعة علمه، ودقة تصرفه باللغة، كما أنَّه أراد أنْ يتحدى (عزيز الدولة) ومَنْ بمجلسه ممن ادعوا العلم أنْ يحيطوا بما أحاط أو يكشفوا عمَّا أبهم، لذا "كان يحب أنْ يظهر ثروته الأدبية ،والعلمية ،واللغوية في كل موطن"[1]. ومما يعزز مِن عود هذا المسلك ويبرز هويته في خطاب المعري هو أنَّه نصَّ عليه فقصده، وقام بتوضيحه وبيان ما أبهم فيه، وهذا يشير إلى أنَّه ورد عنده بمستوى عالٍ، فضلاً عن أنَّه كفى الباحث مؤونة إزالة الإبهام.

ويتضح لنا مِنَ المقاصد المذكورة سابقاً تناسق وتناغم المسلك الخطابي (الإبهام) ،والمقاصد ،والأغراض الخطابية ،والغايات المراد بيانها به، إذ إنَّ معنيي التحدي، والتعجيز خاصة لمَنْ ادعى العلم لا يمكن أنْ يتحققا ويكون لهما أثر في نفس المتلقي إلَّا بركوب المتكلم مسلك الإبهام.

ونلحظ تعاضد مسلكي (الشرح، والسرد) مع مسلك (الإبهام) في تحقيق المقاصد والغايات الخطابية المذكورة سابقاً. وهذا ما يزيد الخطاب تماسكاً واتساقاً ويجعله أكثر مقبولية عندالمتلقي.

---

[1] إقبال وأبو العلاء المعري: ٣٦٣.

المبحث الثاني

المسالك الموقفية

"اهتم العلماء العرب في دراستهم للغة بظروف الاستعمال ومقامات التخاطب، وأولوا عناية بالغة بأطراف العملية الإبلاغية، فالمتكلم في نقل رسالته يترتب عليه مراعاة حال المخاطب قياساً لحال كل منهما النفسية، والاجتماعية، وقالوا عبارتهم المشهورة (لكل مقام مقال) التي يفهم منها أنَّ الحدث الذي يقصده المتكلم تراعى فيه حال المخاطب وفقاً لما يستدعيه المقام التخاطبي، وكان للبلاغيين قصب السبق في هذا"[١]، وفي أسبقية علماء البلاغة لمفهوم المقام ومراعاته يقول الدكتور تمام حسان: "ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة (المقام) متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم؛ لأنَّ الاعتراف بفكرتي (المقام)، و(المقال) باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"[٢].

وسنتتبع جذور المسلك الموقفي عند البلاغيين؛ كونهم الأقرب لما نقصد، متجاوزين ذلك عند كل من الأصوليين ، والنحويين .

"استعمل البلاغيون مصطلحي (الحال والمقام)؛ للدلالة على سياق الموقف"[٣] ، قال الجاحظ: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة، وإنَّما مدار الشرف على الصواب ،وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المال"[٤]، وينقل في مورد آخر قول بشر بن المعتمر (ت٢١٠هـ)، قال: " قال: ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[٥]، "ومنها يتضح لنا أنَّ الجاحظ قابل بين الحال والمقام، وطبيعة المقابلة تقتضي

---

[١] تلقي الخطاب الشعري، طارق خلايفة: ٤٢.
[٢] اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٧.
[٣] أثر السياق في دلالة الصيغ الصرفية في القرآن، مروة عباس: ٩.
[٤] البيان والتبيين: ١٢٩/١.
[٥] نفسه :١٣١/١.

طرفين مختلفين فالحال غير المقام. ومن جهة أخرى ربط النصان السابقان بين الطبقة والكلام عند معالجة هاتين الفكرتين (الحال والمقام) ومجمل القول أنَّ الكلام يرتبط بطبقات السامع، أي مقامه الاجتماعي (وكلام الناس في طبقات كما أنَّ الناس في طبقات)"[١].

أمَّا السكاكي (ت٦٢٦هـ) فقد كان أكثر وضوحاً وأعمق تفصيلاً ممن سبقه في حديثه عن السياق الموقفي "حيث عنى في كتابه (مفتاح العلوم) بظاهرة السياق أيَّما عناية حتى أنَّ فكرة (مقتضى الحال) كانت تؤطر عمله في كثير مِنْ مباحث المفتاح، فجعل منها أساساً لمعرفة مقصد المتكلم مِن خطابه، وتحديداً له سواء في اجراء الخطاب على أصل الاستعمال ، فيعبر المتكلم عن قصده بحسب مقتضى الحال الظاهر، أو في تجاوز ذلك لمعانٍ ثوان يجري فيها الكلام لا على مقتضى الظاهر، والمقام هو الذي يضمن سلامة المعنى وتحقيق الفائدة لدى السامع"[٢]، " وتتبدى عناية السكاكي بفكرة مقتضى الحال أو المقام بربطه الصياغة اللغوية (الصرفية والنحوية) بالسياق والمقام، مما يجعل مقياس الكلام عند السكاكي في باب الحسن والقبول، بحسب مناسبة الكلام لما يليق به (مقتضى الحال)"[٣]؛ "فإنْ كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده مِن مؤكدات الحكم وإنْ كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء مِنْ ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوة. وإذا كان مقتضى الحال طيّ ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإنْ كان المقتضى إثباته على وجه مِنَ الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إنْ كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عارياً عن ذكره وإنْ كان المقتضى إثباته مخصصاً بشيء مِنَ التخصيصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة مِنَ الاعتبارات المقدم ذكرها، وكذا إنْ كان المقتضى عند انتظام الجملة مع جملة أخرى فصلها أو وصلها والإيجاز معها أو الإطناب أعني طي جملة عن البين ولا طيها فحسن الكلام تأليفه مطابقاً لذلك"[٤]، ثم قال: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال

---

[١] التداوليات، حافظ اسماعيل: ٧٥.
[٢] السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم، باديس لهويمل: ٢ – ٣. العدد (٩).
[٣] نفسه: ٣
[٤] مفتاح العلوم: ١٦٨.

يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[١]، و"يصب هذا النص القيم في صميم اللسانيات التداولية، ويكشف عن أوضاع لسانية مرتبطة بالصياغة اللغوية، وأخرى غير لسانية منها ما يرتبط بالمتكلم ومقاصده ومنها ما يرتبط بالسامع وأحواله"[٢].

"فالخطاب مِنْ وجهة نظر (السكاكي) ليس بمعزل عن الأحوال والملابسات المحيطة بمستعملي اللغة، بل تتحكم في الحدث الكلامي مقاصد المتكلمين وأحوال المخاطبين وطبيعتهم، فهذه العوامل مجتمعة أطلق عليها دارسو التداولية ظروف الاستعمال اللغوي"[٣]، و"واضح أنَّ الحال الذي يقصده السكاكي هو المقام بأوسع معانيه، بحيث يمكن تصنيف المقامات التي ذكرها إلى أنواع، وكل نوع يختص بجانب مِنْ جوانب الصياغة الفنية، ويراعى فيه، وأهم ما يمكن أنْ تصنف إليه تلك المقامات ما يلي:

١- مقامات الكلام بحسب المقاصد، والأغراض، كالتشكر، والشكاية ،والتعزية، والتهنئة والمدح، والذم...وما إلى ذلك.
٢- مقامات الكلام بحسب المخاطب من حيث كونه ذكياً ،أو غبياً وكونه عالماً ،أو جاهلاً.
٣- مقامات الكلام بحسب السياق: فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، وهذا ما تحدث عنه الجرجاني في الملائمة بين الألفاظ...
٤- مقامات الكلام بحسب الموقف، فلكل حدٍ ينتهي إليه الكلام مقام، وهنا يكون الكلام عن الإيجاز ،والإطناب ،والمساوات..."[٤]

"حاصل النظر فيما مضى أنَّ عناية القدامى بالسياق تتقاطع مع الدراسات اللسانية الحديثة التي أولت السياق كبير اهتمام بوصفه مسألة ضرورية وحاسمة في مجال دراسة اللغة ..."[٥]، "ويمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية:

الأولى: أنَّ السياق هو الغرض: أي مقصود المتكلم مِنْ إيراد الكلام...

---

[١] مفتاح العلوم: ١٦٨.
[٢] السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم: ٧.
[٣] تلقي الخطاب الشعري: ٤٢.
[٤] مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، حامد صالح: ٢٥٣ – ٢٥٤.
[٥] نظرية السياق بين التوصيف و التأصيل والإجراء : ٩٦.

الثانية: أنَّ السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام.

الثالثة: أنَّ السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثل الكلام في موضع النظر أو التحليل ويشمل ما يسبق أو يلحق به مِنْ كلام يمكن أنْ يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجهاً استدلالياً"[١].

السياق عند المحدثين من الغرب والعرب

"لقد كانت البداية الحقيقية لنظرية السياق في الغرب متمثلة في الجهود التي بذلها (برونسلا مالينوفسكي)"[٢]، " وخلاصة فكرة (مالينوفسكي) عن السياق تظهر بوضوح في قوله: (الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما ارتباطاً لا ينفصم، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ)"[٣]، ثم "عرفت مدرسة لندن بما سمي بالمنهج السياقي (ontxt ual Appnch)، وكان زعيم هذا الاتجاه (Firth) الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة... ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو (استعمالها في اللغة) أو (الطريقة التي تستعمل بها)"[٤]، و"يصرح فيرث بأنَّ المعنى لا ينكشف إلَّا مِن خلال تنسيق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة"[٥]، "سواء أ كانت هذه السياقات لغوية أم اجتماعية، وهي ما أطلق عليها فيرث فيرث بـــ (سياق الموقف)"[٦].

و رأى (فيرث) أنَّ الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم أنْ يحال النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية ،والصرفية ،والنحوية، والمعجمية وأنْ يعتمد كل تحليل لغوي على المقام (سياق الحال) ووجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وأن يتبين نوع الوظيفة الكلامية"[٧].

---

[١] دلالة السياق، ردة الله بن ردة: ٥٠ ــ ٥١.
[٢] نفسه: ١٦٥.
[٣] نفسه: ١٦٨.
[٤] علم الدلالة: ٦٨.
[٥] نفسه: ٦٨.
[٦] نحو النص أحمد عفيفي:٤٨.
[٧] التداوليات: ٦٥.

"ولعل المبادئ التي صاغها (غرايس) مما يسهم في تحقيق صياغة الكلام لما يوافق الحال"[١]، وتلك القواعد هي:

١- قاعدة الكم...

٢- قاعدة الكيف...

٣- قاعدة العلاقة أو الملاءمة...

٤- قاعدة الكيفية..."[٢].

"ثم جاء (سبيربر) و(ولسن) بنظرية المناسبة، وتناولا نظرية غرايس (في التلويح الحواري) بالنقد والتعديل، إذ ذهبا إلى أنَّه لا ضرورة لقواعد (غرايس) الأربع ... فالصلة وحدها تكفي لتفسير التواصل، وهي تعوض عن جميع القواعد الأخرى"[٣]، وصرحا بـــ "أنَّ مفهوم التأثير السياقي لا غنى عنه في وصف عملية الفهم والاستيعاب"[٤]، فـــ "كلما زادت التأثيرات السياقية زادت الصلة والمناسبة"[٥].

ومِنَ الباحثين العرب المحدثين مَنْ عنوا بالسياق الدكتور تمام حسان، فقد عرفَّ المقام بأنَّه "مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجاباً وسلباً ثمَّ العلاقات الاجتماعية، والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان"[٦]، وعدَّ تمام حسان الغاية الخطابية "عنصراً مِنْ عناصر المقام"[٧]، ومِنْ تلك الغايات "الإنفاق، والتشجيع ،والمصادقة، والتثبيط والشتم ،والتمني ،والترجي، واللعن، والفخر، والتحدي ،والتحضيض ،والاستخفاف..."[٨].

وقد قسم كلٌّ مِنَ الدكتور سعد مصلوح وحامد صالح المقام بحسب السكاكي على مقامات بحسب المقاصد، مقامات الكلام بحسب المخاطب، مقامات الكلام بحسب السياق، ومقامات الكلام بحسب الموقف[٩].

---

[١] نظرية علم النص: حسام فرج: ٢٣.
[٢] الاستلزام الحواري: ٩٩ – ١٠٠.
[٣] نظرية الصلة أو المناسبة: مترجم: ٦.
[٤] نفسه: المؤلفان: ٢١١.
[٥] نفسه: ٢١٢.
[٦] العربية معناها ومبناها: ٣٥١.
[٧] نفسه: ٣٦٥.
[٨] نفسه: ٣٦٥.
[٩] ينظر: مقاييس البلاغة: ٥٤٣، في البلاغة العربية والإسلوبيات: ٧٨.

ويرى الدكتور محمد يونس أنَّه ينبغي أنْ "لا يتوقف اهتمام المتكلم بالمقام الآني للمخاطب، بل يمتد ليشمل التعمق في شخصية المخاطب لمعرفة النمط الذي ينتمي إليه، كي يكون خطابه ملائماً لشخصية مخاطبه فيختار الأسلوب الذي يتناسب معه ،فنغمة الشك مثلاً تتناسب مع الشخصية المنفتحة الناقدة، ونغمة الحذر تنسجم مع الشخصية القلقة التي تشعر بالظلم ،والاضطهاد ،فتنزع إلى اتخاذ موقف دفاعي لا تقبل فيه بالنقد، وغالباً ما يرتبط ذلك بعقدة النقص، ونغمة الحسم تتناسب مع الشخصية المنغلقة الاستبدادية، أمَّا نغمة التيقن، فتتناسب مع الشخصية التي يعوزها التفكير النقدي"[١].

وللبحث عن مصاديق المسالك الموقفية في الرسائل محل الدراسة، سنتناول ذلك على النحو الآتي:

١- مقام الكلام بحسب مقاصد المتكلم وأغراضه، قال السكاكي: "... فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ،ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم..."[٢].

فمن مناسبة الكلام مقام التهنئة قول أبي العلاء: "قد سرَّت الجماعة بالمولود القادم، أجزل الله حظَّه مِنْ اسمه، وأعطاه الغاية مما كني به، وتفاءلتُ له ضروباً مِنَ الفأل، مِنها أنَّه قدم يوم الجمعة فدل ذلك على اجتماع الشمل، وهو يوم عيد ونفقة، فبسط الله يده بالنفقات والجمعة ذات نسك، ودين الله يبلغه مبالغ أهل التقوى بكرمه..."[٣].

تتضح معالم مقام التهنئة في النص أعلاه، عندما يبين المعري سرور متلقيه بمولودهم القادم، داعياً الله تعالى أنْ يجزل على هذا المولود مِنْ فضله، ومتفائلاً له بالخير والرزق والهداية إلى التقوى والعمل الصالح.

ضمن المعري النص السابق المقصد الآتي:

- الدعاء للمولود بالخير والهداية إلى طريق الصلاح ولأهله لمّ الشمل.

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٥ – ١٠٦.
[٢] مفتاح العلوم: ١٦٨.
[٣] رسائل أبي العلاء المعري: ٢٤٨.

وغرضه الخطابي: تهنئة متلقيه بمولودهم الجديد.

أمَّا القصد الغائي: فهو إفصاح المعري عمَّا يجول في خاطره اتجاه متلقيه .

ومِن مناسبة الكلام لمقام الشكاية قول المعري: "لي – أطال الله بقاء السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء – أولاد أخٍ قد أوذموا على أنفسهم مِنْ خدمتي ما ليس بلازم؛ وأصغرهم سناً طفل صغير قد وكل بي في الصبارة، كلما أحس بحمام اليانوسة لديَّ أحياها بالحمم؛ إلى غير ذلك من المآرب، لا يمكن قضاؤها بنفسي"[١]

يشكو المعري ضعفه وأبناء أخيه وفقرهم لعزيز الدولة، فيصور نفسه أنَّه وصل به الحال إلى حدٍّ لا يستطيع أنْ يقضي مآربه بنفسه، فاستعان بأبناء أخيه، فوجد المعين أضعف إذ لا يستطيع مقاومة شدَّة البرد وحسبك ما بهذا المشهد مِنْ دلالة على الضعف والفقر، ثمَّ إنَّ ذكر الطفل بحدِّ ذاته يستدعي معاني الضعف، والفقر ،والعطف ،والرحمة، وهذا ما يجعل الكلام أكثر إثارة وطلباً للرحمة والعطف.

ويوظف المعري الصيغ الصرفية لتحقيق غرضه، فأتى بها منسجمة ومقام الشكاية وما يشعر به مِنْ تظلم وضياع حقوق، قال: " ولهؤلاء القوم أريضة ليست بالأريضة، هي من قلة العمل كالمريضة..."[٢]، فجاء بـــ(الأرض) على صيغة التصغير، ثمَّ شبهها بالمريض، بجامع قلة الناتج مِنَ الاثنين، فكما المريض قليل العمل ومن ثم قلة الناتج كذلك هذه القطعة مِنَ الأرض قليل ناتجها.

فنلحظ أنَّ المعري جمع بين ضعفه لكبر سنه، وفقر أبناء أخيه، وما يعانيه بعضهم مِنْ ضعف لصغر سنهم ، وعدم صلاحية ما يملكون مِنْ أرض للزراعة، فكل ذلك جاء منسجماً ومقام الشكاية ، ولو سيقت هذه المعاني لغير معنى الشكاية ،والاستعطاف نومقامهما لما صلح استعمالها، فيكون بذلك أنَّ "مفهوم الصيغ الصرفية لا يقتصر على كونها مشتقة مِنْ مادة

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج: ٨٤.
[٢] نفسه: ٨٩.

أخرى ولكنَّها تحمل معاني متنوعة منها، الطلب والمبالغة والتعظيم وغيرها، فهي تكسب الكلمة معنى زائداً على معناها المعجمي"[١]

وللمعري فيما سبق مِن خطاب في مقام الشكاية مقاصد أهمها:

المقصد الأول: إظهار معاناته وأبناء أخيه لعزيز الدولة.

المقصد الثاني: بيان رغبته وعزمه في ردِّ الإحسان إلى أبناء أخيه وذلك مِنْ خلال طلبه مِن عزيز الدولة برفع ما على أرضهم مِنْ أموال للدولة؛ كونهم أوذموا في خدمته.

المقصد الثالث: أنَّ الأرض التي رفع الجباة للدولة عليها أموال هي أرض ليست صالحة للزراعة ،ومن ثم أصبحت عاملا مساعدا على إضعافهم مادياً ومعنوياً.

أمَّا الغرض الخطابي مِنْ ذلك فهو، استعطاف عزيز الدولة بإبراز تظلمهم ومعاناتهم التي منها :الضعف ، والفقر.

والغاية مِنْ ذلك تحقيق التأثير في المتلقي مِنْ خلال المقاصد سابقة الذكر.

٢- مقامات الكلام بحسب المخاطب (الإفادة): إذ لا تتحقق الإفادة مِنَ الخطاب ما لم يراعِ المخاطب مقام مخاطبه"[٢]، قال السكاكي: "مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار ... وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[٣]

فمن مصاديق مناسبة الكلام مقام المخاطب، قول أبي العلاء: "وإنَّا لنجد الرّجل موقناً بالآخرة، مصدِّقاً بالقيامة، معترفاً بالوحدانية وهو يحجأ على النّابح بعظمٍ، وعلى الجارية

---

[١] دلالة السياق، عبد الفتاح عبد العليم: ٤٩.
[٢] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء : ١٤٣.
[٣] مفتاح العلوم: ١٦٨.

بعارية نظمٍ[١]، كأنّه في الأرض مخلدٌ... فكيف تكون حال من ينكر حديث الجزاء، ولا يقبل عن الفانية حسن العزاء؟"[٢]

ابتدأ نص أبي العلاء مؤكداً بمؤكدات ثلاثة، وهي(إنَّ، اللام، اسمية الجملة)، علماً أنَّ المرسل على علم بإيمان (ابن القارح) وتوحيده لله، فكان ينبغي أنْ يأتي بالكلام دون تأكيد ولكنّه عدل عن مقتضى الظاهر، فجاء بالكلام على خلاف المقتضى؛ لأنَّه رأى مِنَ المتلقي إمارات تشبه إمارات المنكر للخبر فعامله معاملته، ومِنْ تلك الإمارات، تجاهل يوم القيامة، وفعل ما نُهي عنه المؤمن وغير ذلك.

وقد يكون المرسل أراد المتلقي (المحتمل) الذي قد يكون منكراً ليوم القيامة مشركاً بالله؛ لذا جيء بالخبر مؤكداً ليتناسب ومقام المتلقي، ومن ثَمَّ ضمان تحقيق مقاصد المرسل ونجاعة خطابه، وتحقيق الفائدة مِنَ الخطاب، و"حصول الفائدة لدى المخاطب، يعد مبدءاً مهماً وغرضاً تواصلياً على المتكلم مراعاته، بحسب المخاطب من حيث كونه ذكياً أو غبياً، خالي الذهن أو سائلاً أو منكراً"[٣]، ومفهوم النص السابق جاء تأكيداً وتذكيراً ببعض الآيات الكريمة ذات الدلالة المتفقة وهذا المعنى، كقوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: ٢٥].

وقد ضمن المعري النص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: الدعوة إلى توحيد الله تعالى والإيمان بيوم الجزاء.

المقصد الثاني: ذم واستهجان تجاهل ما أُمر المؤمن بالتفكر به والاستعداد له، كالموت، ويوم الجزاء.

المقصد الثالث: الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله، وإنكار فعل الذين يضنون على السائل مع إيمانهم بأمر الله تعالى في الإنفاق، وهذا المقصد يتضح باستدلال المعري[٤] بالآية

---

[١] حجئت بالشيء: ضننت به، الصحاح: ٤٢/١، العارية: تمليك بلا عوض، التعريفات: ١٤٦/١.
[٢] رسالة الغفران: ٥٢٦.
[٣] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء : ١٤٥.
[٤] ينظر: رسالة الغفران:٢٢٦.

المباركة: {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

أمَّا الغرض مِنْ ذلك فهو التعريض بابن القارح وذمه ؛لأنَّه عامله معاملة المنكر ليوم الجزاء؛ لتجاهله ذلك اليوم وعدم الاستعداد له كما ينبغي.

وغايته الخطابية هي التأثير على المتلقي الحقيقي/المحتمل، وذلك بالدعوة والتوجيه إلى الأخذ بالمقاصد سابقة الذكر.

ومِن مناسبة الكلام مقام المخاطب، ومراعاة المرسل متلقيه في أحواله، قول أبي العلاء: " ولو نزل خميسهم بحيث يظن المرجفون، وهو وافر كامل، لرأيت الطويل العاتر مديداً فيهم، والخفيف المقبوض بسيطاً إليهم. فكثر المتقارب عند ذلك بينهم، وسمعوا الهزج والرجز..."[١]

ثمَّ قال مفسراً ما سبق "وهذه الألفاظ ألغزتها عن أجناس الشعر التي رتبها (الخليل): فأردت بالطويل الرمح، وبالمديد الرمح إذا مد إليهم، وهو فعيل من: مددت، في معنى مفعول، وعنيت بالخفيف السيف، لأن السيوف يقال لها: البيض الخفاف، وأوهمت أني أريد الخفيف من الشعر، وأردت بالمقبوض، الذي قبضة الكف على قائمه. وأوهمت أني أريد المقبوض الأجزاء، وهو الذي ذهب خامسه الساكن في الأصيل ... وعنيت بالبسيط، المبسوط للضرب، لأن في الشعر وزناً يقال له البسيط وذكرت الهزج وأنا أعني به هزج السيوف في الضرب، لأن في اشعر هزجاً، وعنيت بالرجز، ارتجاز القوم في الحرب، لا أني خصصت به الرجز الذي ذكره (الخليل)"[٢].

ذكر المعري النص السابق على سبيل التحدي لعزيز الدولة، بعدما سمع الناس يتناقلون أنَّ عزيز الدولة ينظر في عروض الخليل، ويحكم بين الشعراء، فيعلي مجيدهم ويكرمه، ويعطي المقصر ولا يحرمه، وينقد المنظوم السائد نقد الصيرفي ماله[٣]، فتحداه بما ادعى معرفته (علم العروض)، وجاء بالنص محملاً بالمصطلحات العروضية؛ ليكون التحدي

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج: ٥٤٧.
[٢] نفسه: ٥٤٧ ــ ٥٤٨.
[٣] ينظر: نفسه: ١٠٤.

أشدّ وقعاً على المتلقي ولو لم يكن المتلقي مدعياً معرفة العروض مفتخراً بذلك، لما سوغ للمعري تحديه في هذا المجال.

ثمَّ أنَّ المعري لما كان على علم مِنْ عدم إدراك متلقيه دلالات المصطلحات المقصودة، ذهب مفسراً تلك المصطلحات ومبيناً المراد منها، ليحقق بذلك اعتراف المتلقي بقدرته اللغوية وسعة معرفته، ليصل بذلك إلى هزيمة المتلقي وإبطال دعواه في معرفة الشعر وعلم العروض.

وبذلك يكون الخطاب قد جاء منسجماً ومقام المخاطب مِنْ حيث مراعاة المرسل أحوال متلقيه، فجاء متحدياً إياه بما ادعى معرفته، ثمَّ مراعاته ببيان دلالة المصطلحات بعدما تيقن مِنْ عدم إدراك متلقيه دلالات المصطلحات المقصودة، فجاء "بالشرح والإيضاح بعدما نزَّل مخاطبه منزلة قصار العقول كونه تجاوز الحد في المكابرة والعناد"[1].

مِن خلال النص السابق أراد المعري مقاصد مهمة يمكن إجمالها بالآتي:

المقصد الأول : رفع معنويات المسلمين والحط من معنويات العدو.

المقصد الثاني: توعد جيش العدو بالهزيمة والقتل على يد المسلمين إذا ما غزوا حلب ودخلوا حصونها.

المقصد الثالث: إبطال دعوى المرجفين في تعظيم جيش العدو ،وتهويله .

المقصد الرابع: الفخر على عزيز الدولة بسعة الاطلاع والمعرفة، وابطال دعوى عزيز الدولة في المعرفة بذلك.

أمَّا الغرض مِنْ ذلك فهو: التخويف، تخويف جيش العدو وتحذيره مِنْ غزو حلب؛ لأنَّه إنْ أقدم على ذلك ستكون الهزيمة مصيرهم على يد جيش المسلمين.

وغايته الخطابية هي التأثير، وذلك بالانتصار اللغوي للمسلمين؛ لما للحرب الإعلامية مِنْ أثر كبير في تحديد المصير، وذلك برفع المعنويات عند المسلمين والحط منها عند العدو.

---

[1] علم المعاني: ٣٩.

٣- "مقامات الكلام بحسب السياق:

"والمقصود به الجانب اللغوي المرتبط ببنية الخطاب، وشكله، الذي يضم وحدات لغوية تنتظم فيما بينها (خواص ترتيب الكلام) بحسب مقتضيات التواصل"[١]، إذ "لكل كلمة مع صاحبتها مقام"[٢]، "وهذا ما كان يتحدث عنه عبد القاهر في إطار كلامه عن الملاءمة بين الكلمة وأختها، وبينها وبين المعنى المراد"[٣]، و"وهذا المعنى هو ما عرف بالسياق اللغوي وهو ما يستنتج مِنْ عناصر مقالية داخل النص"[٤] ومما ينبغي الإشارة إليه هنا في الحديث عن المقام هو أنَّ هناك "ثمة علاقة بين السياق والنص فالسياق هو الذي يميز النص الأدبي عن غيره مِنَ الكلام العادي، وذلك عن طريق الوحدة والتماسك، فكل نص لابد أنْ يتسم بالتماسك بين المتواليات في داخله والسياق يقوم بدور الربط بين أجزاء النص عن طريق تراكيب اللغة أو عن طريق السياق الخارجي للنص ... فالنص هو ابن سياقه... ولكي يحقق وظيفته التي تتمثل في احداث التواصل بين منتج النص ومتلقيه لا يحتوي هذا النص على سياقه المقالي فضلاً عن سياقه المقامي"[٥].

"ويتحقق التماسك الدلالي للنص باستعمال أدوات الربط بين مكونات النص (الجمل) وهو عطف الجمل على بعضها"[٦]، "وتقوم أدوات الربط على المستوى النحوي بدورها في تحقيق التماسك الدلالي، ... والربط بهذه الأدوات المنطقية نوعان:

- ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر، مثل الواو في العربية.
- ربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يدخل معنى أخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى، مثل (الفاء) و(ثمَّ) و(أو)، حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين"[٧].

---

[١] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء: ١٤٥.
[٢] مفتاح العلوم: ١٦٨.
[٣] مقاييس البلاغة: ٥٤٣.
[٤] دلالة السياق، عبد الفتاح: ٢٨.
[٥] السياق وأثره في المعنى: ٤١ – ٤٢.
[٦] أسلوبية الانزياح: ٨٢.
[٧] نسيج النص، الأزهر الزناد: ٣٧.

فمن مصاديق مقامات الكلام بحسب السياق في النصوص مدار البحث، قول المعري: "ويعارض تلك المدامة أنهارٌ من عسلٍ مصفًّى ما كسبته النحل الغادية إلى الأنوار، ولا هو في مومٍ[1] متوارٍ، ولكن قال له العزيز القادر: كن فكان، وبكرمه أعطي الإمكان"[2].

يصف المعري على لسان ابن القارح نعيم أهل الجنّة مِنَ الشعراء والأدباء العرب الذين لم يرتكبوا ما نهوا عنه مِنَ المحرمات ،فجزاهم الله سبحانه بذلك بأنْ أدخلهم الجنة ،وأعدَّ لهم ما تشتهي أنفسهم مِنْ نعيم.

استعملت في النص السابق أدوات لربط مكونات النص بعضها ببعض، وهذه الأدوات هي (الواو، لكن، الفاء)، وأنَّ هذه الأدوات بالإضافة إلى تأديتها وظيفة الربط إلّا أنّها أدت وظائف منطقية أخرى، وهي: الجمع المطلق، والاستدراك ،والترتيب، ويمكن أنْ نبين تلك الوظائف بالآتي:

أفادت (الواو) الربط بين أجزاء النص، وأفادت مطلق الجمع بين أمرين أو أكثر كـــ(نفي أن يكون العسل قد جمعته النحل الغادية، أو أنَّه في شمع متوارٍ).

وأفادت الأداة (لكن) الاستدراك دون العطف؛ لأنَّها سبقت بـــ(الواو)، فخرجت عن معنى العطف، وأنَّها ربطت في نص أبي العلاء السابق باللاحق مع استدراك المتكلم لما يقوله إذ إنَّ ما بعد لكن ليس كما قبلها، وبذلك قد تكون ساهمت بوظيفتين: الأولى الربط، وهي وظيفة ظاهرة على شكل الخطاب، والثانية معنوية، وهي استدراك معنى مِنْ معنى آخر.

أمَّا (الفاء) فقد أفادت الربط، وتعاقب الأحداث مع سرعة تنفيذها، فلم يكن هنالك متسع مِنَ الوقت بين صدور فعل الأمر (كن) مِنَ الله سبحانه وبين تنفيذه وتكوين العسل المصفى، فجاء بالعنصرين مرتبين ترتيباً منطقياً، أي صدور فعل الأمر أولاً فتنفيذه دون أنْ يكون هناك وقت بينهما.

وأخذ المعري هذا المعنى مِنَ الآيات التي صرحت بما سبق ذكره من وصف لقدرة الله التامة والكاملة من ذلك قوله تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ

---

[1] الموم: الشمع، العين: ٢٠٢/٨.
[2] رسالة الغفران: ١٥٣.

يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ} [الأنعام: ٧٣]، وقوله تعالى (كن فيكون) هو "إشارة إلى سرعة الحساب والبعث"(١).

وبذلك تكون أدوات الربط المذكورة سابقاً ساهمت في تحقيق اتساق النص وتماسكه، وذلك بضم عناصره بعضها لبعض.

ومِنَ المقاصد التي أراد المعري بيانها والتأكيد عليها في النص السابق هي:

المقصد الأول: ترغيب المتلقي بالعمل الصالح ؛ليفوز بنعيم الآخرة.

المقصد الثاني: التذكير بقدرة الله تعالى التامة والكاملة في صنع الأشياء وفنائها، وفائدة ذلك الترهيب والترغيب.

أمَّا الغرض الخطابي فهو السخرية مِنْ ابن القارح ؛لأن المعري تمنى له دخول الجنة، وصوره بصورة الرجل الصالح المستحق للنعيم بما فعل في الدار العاجلة.

أمَّا المقصد الغائي فهو التأثير في المتلقي الحقيقي/المحتمل بتوجيهه إلى فعل ما أمر به الشارع المقدس واجتناب ما نهى عنه؛ لأنّ "المعري رجل مِنْ أهل الخير والصلاح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"(٢).

ومِنْ عناصر السياق اللغوي (التكرار)، وهو "الإعادة المباشرة، وهو وسيلة مِنْ وسائل تدعيم المعنى ووسيلة للتوكيد أيضاً"(٣)، وهو "عند الجرجاني مِنَ معاني النحو التي تبث في النظم (الكلام) الانسجام والاتساق والتناسق"(٤)، "ويوظف التكرار مِنْ أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص"(٥)، و"شرط قيام التكرار بهذه الوظيفة هو أنْ يكون لهذا الملمح المكرر نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره"(٦).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي: ٢٠/٧.
(٢) مع المعري اللغوي: ٨٩.
(٣) نظرية علم النص،د.حسام فرج: ١٤٠.
(٤) في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل: ٢٣١.
(٥) علم اللغة النصي: ٢١/٢.
(٦) نفسه: ٢١/٢.

ومِنْ مصاديق التكرار في رسائل أبي العلاء ذكر المعري في (رسالة الصاهل والشاحج) "عزيز الدولة بألقابه دون ذكره باسمه إلَّا مرة واحدة، حيث ذكره بألقاب: "(عزيز الدولة وتاج الملة، أمير الأمراء) أو بلقب (عزيز الدولة) نحو (تسع وسبعين مرة) وهي ألقاب لم يشاركه فيها عزيز دولة آخر"[١].

ذكر أبو العلاء ألقاب عزيز الدولة في موارد كثيرة في رسالة الصاهل والشاحج، وأراد في كل مورد معنى من ذكر اللقب غير معنى المورد الآخر، وذلك يتضح باختلاف المقامات التي ورد ذكر الألقاب فيها كمقام الاستعطاف، وذلك في قوله: "لي – أطال الله بقاء السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء – أولاد أخٍ ..."[٢]، وآخر للتحدي كقوله: "وقد بلغني أن للسيد (عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء) مجلساً يجتمع فيه الفقهاء"[٣] إلى غير ذلك مِنْ وظائف التكرار فضلاً عمَّا أسلفنا القول فيه مِنْ وظيفة اتساق النص وانسجامه، وبذلك يكون التكرار قد "أسهم في تحقيق استمرارية النصوص وترابطها على اختلاف موضوعاتها"[٤].

ومِنَ المقاصد التي أرادها المعري بتكراره ألقاب عزيز الدولة هو إظهار مكانة متلقيه عنده، وما يكنه له مِنَ احترام ،وتبجيل، وأنَّ ذكره لم يفارق أبي العلاء ، وهذا يظهر أهمية المرسل إليه عند المرسل؛ ولذا جعل ألقابه تزين كل موضوع طرقه.

والغرض الخطابي مِنْ ذلك هو أنَّ المعري جعل مِنَ المدح والتواضع التقليدي لعزيز الدولة "مدخلاً لفرض نفسه وحمل القارئ على الإقرار له بتبريزه في العلم، والاعتراف بعلو كعبه وسبقه لمعاصريه واسلافه في العلم اللغوي"[٥].

وأمَّا القصد الغائي المراد مِنَ النصوص سابقة الذكر فهو التأثير بالمتلقي؛ لتحقيق ما سيق الخطاب لأجله مِنَ مقاصد، لما تحمله تلك الألفاظ مِنْ "دلالة على التضامن والتقرب للمتلقي، للدلالة على الصداقة والتأييد، والتأدب والتخفيف مِنْ حدة الوجه"[١]

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج، المحققة: ١٥ – ١٦.
[٢] نفسه: ٨٤.
[٣] نفسه: ١٨٩.
[٤] لسانيات النص، ليندة قياس: ١٢٦.
[٥] مع المعري اللغوي: ٧٣.

لكنَّ المعري لم يستطع تكنية عزيز الدولة وإنَّما فقط ذكر ألقابه!! وهذا الأمر له علة مفادها:

١) أنَّ الكنية لا تذكر مِنَ الشخص العادي تجاه الملك؛ لأنَّ "الكنية عَلَم صُدِّرَ بأب أو أم أو ابن أو بنت"[٢]، "فهي أقرب إلى ذات الشخص إنْ لم تكن (هو هو)"[٣]، .

٢) لا يسمح بذكر الكنى في حضرة الملوك بل الألقاب فقط؛ لأنَّ "اللقب أقرب إلى الوصفية منها إلى العلمية"[٤].

ومما تقدم نلحظ أنَّ المعري التزم مسلكاً موقفياً دقيقاً تجاه عزيز الدولة لم يخرقه.

٤- مقامات الكلام بحسب الموقف:

"فلكل حدٍ ينتهي إليه الكلام مقام، وهنا يكون الكلام عن الإيجاز، والإطناب، والمساواة، والمواقف التي تقتضي كلاً منها؛ إذ لا يحسن كل مِنَ الثلاثة إلَّا إذا كان في الموقف الكلامي ما يقتضيه، ولا يعد فضيلة إلَّا حين يكون معللاً، ونابعاً مِنَ المقام ذاته"[٥]، "ويشمل سياق الموقف جميع ما يتصل بأحوال المخاطبين، وحياتهم اجتماعياً، وثقافياً"[٦]، "فالموقف مِنَ العوامل الخارجية عنْ الخطاب، ويعني في دراسة الموقف بتقرير العوامل الاجتماعية التي تكون خلفية المنطوق أو الخطاب، التي ترتبط بظروف إنتاجه وعدد المشاركين وطبيعة شخصياتهم وسلوكهم وطرائق تفكيرهم والمجالات التي يتحدثون فيها وما يصاحب الكلام مِنْ أفعال وحركات جسمية"[٧].

---

[١] تشكيل أنواع الاستراتيجيات الخطابية: ٨٥.
[٢] التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد: ٢٨٤.
[٣] كنى الحيوان دراسة ومعجم، د. أصيل محمد، و أ. د. كاظم داخل، مجلة القادسية، العددان (٣- ٤)، المجلد (٤)، (٢٠٠٥): ٩٣.
[٤] نفسه: ٩٣.
[٥] مقاييس البلاغة: ٥٤٤.
[٦] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء : ١٤٧.
[٧] اللسانيات الخطابية، تارة فرهاد: ٦١.

ويرى السكاكي أنَّه ينبغي "فصل الجمل إذا لم يكن بينهما ما يجمعهما مِنْ جهة العقل أو الوهم أو الخيال، وهذا ما يعد مِنْ صميم قضية السياق الثقافي، والاجتماعي، ودورهما في إنتاج الخطاب ،واستعماله"[١].

ويوضح السكاكي أثر السياق الثقافي في الكلام، وذلك بتقديمه مثالاً مِنَ القرآن وتوضيحه، وهو قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية: ١٧ – ٢٠]، فإنْ لم يكن الإنسان مِنَ الأعراب الذين يعيشون في البوادي، ويربون الإبل والأغنام، أو ممن يعرفون ما يتعلق بحياتهم، لن يستطيع إدراك سر الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض، ويستغرب ذلك"[٢]، "لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها وكذا البواقي لكن إذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء وذلك إذا نظر أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم، ومشربهم، وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة لا محالة على أكثرها نفعا وهي الإبل ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر وأهم مسارح النظر عندهم السماء..."[٣]، و"لذلك يستحسن البدوي هذا الجمع ويتقبله؛ لأنَّ له ما يقابله في خزانة صوره"[٤]، بينما "الحضري حيث لم تتآخذ عنده تلك الأمور الأمور وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه..."[٥]، "مما يؤكد أنَّ لسياق الموقف وما يحف به، أثراً في تحديد المعنى والوصول إلى القصد مِنَ الكلام"[٦].

فمِنْ مناسبة الكلام لسياق الموقف قول أبي العلاء على لسان ابن القارح سائلاً (صخر الغي)[٧] عن محبوبته (دهماء)، قال:"يا صخر الغيِّ ما فعلت دهماؤك؟ لا أرضك لها ولا سماؤك! كانت في عهدك وشبابها رؤدٌ، يأخذك من حبابها الزَّؤد[٨]، فلذلك قلت:

---

[١] السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم: ١١ – ١٢.
[٢] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء : ١٤٧.
[٣] مفتاح العلوم: ٢٥٦.
[٤] المصدر السابق : ١٤٨.
[٥] مفتاح العلوم: ٢٥٨.
[٦] المصدر السابق : ١٤٨.
[٧] صخر الغي: هو صخر بن عبدالله الخيثمي الهذلي، شاعر جاهلي، ينظر: الشعر والشعراء: ٩٠٠/٢.
[٨] الزؤد: الفزع أو الذعر، أساس البلاغة: ٤٠٦/١.

إنّي بدهماء عزّ ما أجد يعتادني من حبابها زؤد![1]

... وحقّ لك أن تنساه"[2].

يسأل ابن القارح (صخر الغي) عن صاحبته، وهو يعذب في النار، فلم يجبه عن سؤاله؛ لأنَّ "كلام أهل سقر ويل وعويل، ليس لهم إلَّا ذلك حويل"[3]، ففزع الموقف وهوله وفظاعته أنساه كل شيء، وحبس أنفاسه، فشغله العذاب بحاله، فجاء الصمت عن الجواب منسجماً والموقف الذي فيه الشاعر والحالة النفسية التي يعيشها؛ بسبب شدة العذاب، وهول الموقف، فالحديث عن الذكريات الجميلة تستدعي الراحة النفسية للمتكلم والهدوء، وأنى له ذلك في جهنم التي أحاط بهم سرادقها وهي تفور، وبذلك يكون الإيجاز جاء منسجماً ومقام الكلام في موقف العذاب الفظيع الذي يجعل مِنْ نفس المعذب نفور مِنْ كل ما يرتبط بالراحة والهدوء بعيدة عنه.

أراد المعري مِنَ النص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: الحط مِنْ حظ الشاعر (صخر الغي) في القريض، قال: "فهذا يدلُّ على ضيق عطنك بالقريض ... والأصمعيُّ لم يرو لك إلَاّ هذه القصائد الثلاث"[4].

المقصد الثاني: نقد أسلوب الشاعر، كونه التزم بفنٍ واحدٍ في بداية كل قصيدة، قال: "فهلَّا ابتدأت كل قصيدة بفن؟!"[5].

المقصد الثالث: إنكار وتقبيح ما كان فعله الشاعر في حياته، والذي لقب بـــ (صخر الغي)؛ لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره[6].

والغرض مِنْ ذلك تحذير المتلقي وتنفيره مِنَ المحرمات؛ لأنَّها تأخذ بصاحبها إلى سوء المصير.

---

(1) الشعر والشعراء: ٦٥٧/٢.
(2) رسالة الغفران: ٣٤٥.
(3) نفسه: ٣٤٤.
(4) نفسه: ٣٤٣.
(5) نفسه: ٣٤٣.
(6) ينظر: نفسه، هامش: ٣٤٣.

أمَّا المقصد الغائي فهو بيان المعري سعة اطلاعه ما دام قد أحصى ما كتب ذلك الشاعر وما نُقل عنه، كما أنَّه نقد منهجه في التزامه فناً واحداً في ابتداء قصائده، واعطاه منزلة بين الشعراء، بأنْ وصفه قليل النتاج وهذا يدل على ضعف شاعرية الشاعر، وقصر نفسه الشعري.

ومِنْ مناسبة الكلام لسياق الموقف قول أبي العلاء: "ورأيت الفرس يخبط بيديه البيضة فلا يكسرها. وما عنيت بيضة الحديد؛ لأنَّ ذلك معروف منها الصلابة. والأوعال في جبالها تراقب الصوم، ولا تراقب الصلاة"(١).

يرفض القارئ النص أعلاه إذا ما حمل على ظاهره؛ وذلك لاستحالة المعنى الظاهر عقلاً؛ لاجتماع ألفاظ تتنافر دلالاتها وتتناقض، ولا يمكن أنْ تلتئم وتتناسق إذا لم يؤول ظاهرها، فنفي كسر البيضة إذا ما خبطها الفرس برجله، وإسناد مراقبة الصوم ونفي مراقبة الصلاة للأوعال، معانٍ لا يمكن قبولها عقلاً، فإذا ما عرف المتلقي إنَّ هذه الألفاظ ضمت لبعضها لغرض المعايات، وقصد بها الإبهام قصداً، وأنَّها ينبغي ألّا تحمل على ظاهرها، بل أنَّ "لها في السمع ظاهر ولها في المعنى باطن"(٢)، وأنَّ المراد مِنَ المعنى هو أنَّ "البيضة: الأرض البيضاء، والصوم ضرب مِنَ الشجر"(٣)، فإذا ما عرف ذلك المتلقي، زال عجبه وإنكاره واستحسن النص وقبله، وأصبح عنده ليس بمعيب.

فظروف السياق الموقفي مِنْ علاقة المعري بعزيز الدولة القائمة على التحدي بمعرفة العلوم والآداب، ومحاولة المعري إبطال دعوى عزيز الدولة بمعرفة عروض الخليل وادعائه العلم ، والاستهزاء به، وفخر المعري بنفسه ومحاولته إظهار قدرته اللغوية في كل موضع مِنَ الخطاب وغير ذلك مِنَ العناصر المكونة للسياق الموقفي؛ جعلت المعري يورد خطابه على سبيل الإبهام؛ لينسجم وموقفه، وإذا لم يعرف المخاطب تلك العناصر الموقفية للنص لا يمكن له فهم المقاصد والأغراض التي سيق لأجلها الخطاب.

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج: ٢٣٠.
(٢) نفسه: ٢١٩ .
(٣) نفسه :٣٦٦ .

أراد المعري أنْ يبين المقاصد الآتية:

المقصد الأول: إيهام المتلقي بالمراد مِنَ المعنى، وتلبيس ذلك عليه.

المقصد الثاني: إلزام المتلقي بالاعتراف بقدرة المعري اللغوية.

أمَّا الغرض الخطابي فهو: معاياة عزيز الدولة والملأ مِنْ حوله، والاستهزاء بهم لدعوتهم معرفة العلوم، ومحاولته إبطال تلك الدعوى، بأنْ يأتي إليهم بغريب الحديث ووحشي الألفاظ، فيحيرون في تأويله وفهمه.

أمَّا المقصد الغائي فهو: فخر المعري بمعرفته العلوم العربية وآدابها، وقدرته على البحث في دلالات الألفاظ وتوجيهها بحسب ما يقتضي السياق، قال: "ولدي بِمنَّ الله من العلوم الغريبة والآداب الشاردة ما يغنيني عن التجمل بطويل القريض"[1]

[1] نفسه: ٢٠٦.

الفصل الثاني

المسالك البنائية

المبحث الأول : المسالك النظمية :

أولا : الأفعال الكلامية .

ثانيا . الدلالة السكوتية .

المبحث الثاني : المسالك التأليفية :

أولا : شروط اكتساب النّص سمة النصيّة .

ثانيا: أنواع المسالك التأليفية .

المبحث الأول

المسالك النظمية

"يقصد بالنظم هنا ضم عناصر الكلام بعضها إلى بعض، وتعليق كل جزء مِنْ أجزاء الجملة بغيرها مِنَ الأجزاء"[١]؛ لأنَّه "لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب مِنْ تلك"[٢]، "ويشمل النظم: الرصف linearization، والتموضع thematizaion، والاستبدال substitution.

يرتبط الرصف بمستوى القولة عادة وإنْ كان بعض اللسانيين يوسع دائرته ليشمل الفِقرة أيضاً. ويقصد به هنا وضع العناصر اللغوية المستعملة في القولة في شكل خطي بحيث تتوالى فيه تلك العناصر مرتبة في استعمالها ترتيباً زمنياً"[٣]، أو "هو اقتفاء الوحدات اللغوية وضم بعضها إلى الآخر، تبعاً لنظام وعرف لغوي معين، ولإفادة مضمون بعينه شاملاً الوحدات المقطعية وفوق المقطعية ..."[٤].

"ويقوم الرصف أساساً على الإسناد predication، الذي هو المكون الأساس للجملة، وهو المنشئ للنسبة الكلامية بين الموضوع والمحمول ..."[٥]، والإسناد هو "الحكم أو الرابط المعنوي والارتباط الذهني الحادث بين طرفي التركيب اللغوي (المسند والمسند إليه) بضم كلمة إلى كلمة على وجهٍ يفيد معنى تاماً"[٦].

"وعندما تتوسع الجملة النواة المؤلفة مِنْ عنصري الإسناد تنشأ علاقات تركيبية جديدة مِنْ قبيل علاقات الإضافة، والنعت، والبدل، والعطف، والتوكيد، وفي كل خطوة مِنْ خطوات التعليق المؤسسة لكل هذه العلاقات يحرص المتكلم على محاولة الملاءمة بين الاختيار على مستوى الاستبدال، والمتطلبات الوضعية للائتلاف"[٧].

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٦.
[٢] دلائل الإعجاز: ١٠٠.
[٣] المرجع السابق : ١٠٦ – ١٠٧.
[٤] الرصف وعلم لغة النص، زينب عادل، مجلة جامعة الأنبار، العدد السابع: ٤.
[٥] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٧.
[٦] علاقات الإسناد ودلالاته، حسن محمد نور، جامعة جازان: ٥.
[٧] المرجع السابق : ١٠٧.

ويميز بعض العلماء بين الخبر والإنشاء مِنْ خلال النسبة الكلامية، قال القزويني: " الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنَّه أمَّا أنْ يكون لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه. أو لا يكون لها خارج، فالأول الخبر، والثاني الإنشاء"[١]، و"النسبة الكلامية هي ما يدل عليه الكلام"[٢]، أو هي "نفس الحكم كقولك زيد قائم لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر. أما كون المخبر عالمًا بالحكم، كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك: زيد عندك، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر"[٣].

"وتقابل النسبة الكلامية نسبة ذهنية موازية، وترتبط النسبتان الكلامية والذهنية بنسبة ثالثة هي النسبة الخارجية عن طريق الإشارة reference"[٤]، فقولنا: "محمد قائم له ثلاث نسب: نسبة كلامية وهي ما يدل عليه الكلام، ونسبة ذهنية وهي ما يحصل في الذهن من النسبة الكلامية، ونسبة خارجية وهي النسبة التي بين الطرفين في الواقع، فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية بأن يكونا ثبوتيين أو سلبيين صدق، وعدم مطابقتها لها –بأن تكون إحداهما ثبوتية والأخرى سلبية– كذب"[٥].

ولخص الدكتور مسعود صحراوي ما توصل إليه العلماء العرب مِنْ مفهوم النسبة الكلامية، في تمييزهم بين الخبر والإنشاء، بقوله: "إنَّ الخبر هو الخطاب التواصلي المكتمل إفادياً الذي يريد المتكلم مِنْ نسبته الكلامية أنْ تطابق نسبته الخارجية، وأنَّ الإنشاء هو الخطاب التواصلي المكتمل إفادياً والذي يريد المتكلم مِنْ نسبته الكلامية أنْ توجد نسبته خارجية"[٦].

أمَّا التموضع: فهو "ترتيب الموضوع والمحمول وفقاً لأولويات التبئير facality، أي تقديم ما ينال عناية المتكلم على غيره مِنَ العناصر اللغوية المستعملة"[٧]، "ثمة مكونات تحضى

---

[١] الإيضاح: ٥٦/١ – ٥٧.
[٢] نفسه: ٥٩/١.
[٣] نفسه: ٦٦/١.
[٤] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٧، وينظر: مناهج البراعة:٢٠.
[٥] الإيضاح:٥٩/١، الهامش.
[٦] التداولية عند علماء العرب: ٨١ – ٨٢.
[٧] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٨.

تحضى بالأسبقية في التبئير وهي المكونات الحاملة للوظائف الدلالية: (الحال)، و(العلة)، و(المكان)، و(الزمان)، ..."[١].

ويمكن حد (التبئير) بأنَّه: "المنظور الذي تقدم مِنه المواقف والأحداث، أو هو الوضع الإدراكي أو المفهومي الذي تقدم مِنْه المواقف والأحداث"[٢]، كما أنَّ مصطلحي (المُبأر، والمُبئر) يعدان مِنْ أهم العناصر المكملة لعملية التبئر، ويراد بالمُبأر "موضوع التبئير الكائن أو الحدث المقدم مِن منظور المبئر..."[٣]، أمَّا (المبئر) فهو "ذات التبئير؛ حامل وجهة النظر؛ البؤرة الحاكمة للتبئير..."[٤].

أمَّا الاستبدال وهو العنصر الثالث المكون لعملية النظم فهو: "عملية تتم داخل النص، إنَّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[٥]، و"يؤدي الاستبدال الوظيفة نفسها التي يؤديها الحذف، إذ يعد وسيلة مِنْ وسائل الاقتصاد في استعمال اللغة، كما يجنب المؤلف تكرار العبارات نفسها..."[٦]

وسنتناول (المسالك النظمية) على النحو الآتي:

أولاً: الأفعال الكلامية.

"يتوسل المتكلم بالأفعال الكلامية في إنتاجه مسلكاً نظمياً؛ ليحقيق بذلك غاياته الخطابية وبلوغ كنه أغراضه التخاطبية، فمن الأفعال الكلامية: الإخبار: (على سبيل الإثبات، أو النفي، أو الترسّل، أو التوكيد)، والطلب بأنواعه: الاستعلائي كالأمر، والنهي، والالتماسي كأنْ يطلب مِنْ صديق أنْ يفعل شيئاً، والتضرّعي كالدعاء والاستغاثة، والاسترحامي كالاستعطاف، والرجائي كالتمني والترجي"[٧]، إذ "تعد أفعال الكلام النتيجة النهائية لعملية النظم، وهي أهم المسالك النظمية التي نحقق بها أغراضنا وغاياتنا التخاطبية"[٨].

---

(١) الوظائف التداولية، أحمد المتوكل: ٤٢.
(٢) قاموس السرديات، جيرالد برنس: ٧٠.
(٣) نفسه: ٧١.
(٤) نفسه: ٧٢.
(٥) لسانيات النص، محمد خطابي: ١٩.
(٦) لسانيات النص، ليندة قياس: ١٢٣ – ١٢٤.
(٧) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١١٤.
(٨) نفسه: ١١٦.

"قام مؤسسا نظرية الأفعال الكلامية أوستن Austin وسيرل Searle بالتعليق على فرضية فنجشتاين witgenstein الشهيرة التي يتحدد بناء عليها (معنى الكلمة بأنَّه استخدمها)، أي العوامل الذرعية هي في النهاية التي تحدد المعنى الحقيقي للكلمات (والوحدات اللغوية الأخرى). فالتلفظ بحد ذاته يمكن تعريفه على أنَّه فعل، أو ممارسة، أو تصرف، ويتوقف عليه بشكل أساسي بناء ما يمكن تحقيقه بواسطة العمل اللغوي... هو مضمون ما أصبح أيضاً خطة الكتابة الشهيرة لدى أوستن. عندما توصف بدقة الشروط التي يتحقق بوجودها النطق والكتابة، يمكن حينئذ حسب هذا الافتراض أن يفهم أيضاً المعنى الحقيقي للأقوال في التخاطب العملي"[١].

لقد فرق أوستن بين نوعين مِنَ الأفعال:

النوع الأول: أفعال إخبارية، وهي ما تصف حالة شيء ما، وحكمها إمَّا أنْ يكون صادقاً أو كاذباً.

النوع الثاني: أفعال إنجازية، وهذه لا تخبر بشيء، ولا تدل على تصديق أو تكذيب، كالوصية والرهان وألفاظ عقد الزواج[٢].

فـــ "اللغة حسب أوستن ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه، وعليه فموضوع البحث يتمحور بالأساس حول ما نفعله بالتعابير التي ينطق بها (أفعال الكلام)"[٣]، فـــ"نظرية (أفعال الكلام) تذهب إلى التأكيد على أنَّ العبارات اللغوية، لا تنقل مضامين مجردة ونمطية، وإنَّما تخلق حسب عدة عوامل منها السياق، بالإضافة إلى ظروف وعوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته"[٤].

"كان أوستن جعل لمقصد المتكلم أهمية كبرى، ورغب بعض محللي الخطاب – مثل (ساكس) وزملائه – في أنْ يبرهنوا على أنَّ قوة المنطوق الإنجازية، هي ما يعمد إليه المستمع، لا ما يقصد إليه المتكلم، وذلك أنَّ أحداً مِنَ المستمعين أو محللي الخطاب، لا يمكنه

---

[١] مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هابينه، ديتر فيهفيجر: ٦٢.
[٢] ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، أوستن: ١٣ – ١٦.
[٣] الاستلزام الحواري، العياشي ادوارد: ٧٧.
[٤] نفسه: ٧٩.

أبداً أنْ يتأكد مِنْ مقصد المتكلم؛ لأنَّه لا يقبل الفحص أمَّا تفسير المستمع فإنَّه يتجلى في استجابته وهذا ما يحدد تقدم التفاعل اللغوي أو نجاحه"[١]، و"يقوم كل فعل كلامي على مفهوم القصدية"[٢]، ف"لا يتكلم المتكلم مع غيره إلّا إذا كان لكلامه قصد"[٣].

"قسم أوستن الأفعال الكلامية خمسة أقسام:

١- أفعال الأحكام، مثل: يبرئ، يقدر، يعيين...

٢- أفعال القرارات، نحو: يأذن، يطرد، يحرم، يحبذ...

٣- أفعال التعهد، مثل: أتعهد، أتعاقد، أضمن...

٤- أفعال السلوك، مثل: الاعتذار، الشكر، التعاطف، المواسات...

٥- أفعال الإيضاح، مثل: الإثبات، الإنكار، المطابقة، الإجابة..."[٤]

"وقد توصل أوستن في آخر مرحلة مِنْ مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل على ثلاثة أفعال فرعية، على النحو الآتي:

أ- فعل القول أو (الفعل اللغوي) ويراد به اطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة...

ب-الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنَّه عمل ينجز بقول ما، وهذا الصنف مِنَ الأفعال الكلامية هو المقصود مِنَ النظرية برمتها...

ت-الفعل الناتج عن القول، وسماه بعضهم (الفعل التأثيري) وهو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومِنْ أمثلة تلك الآثار، الإقناع، والتضليل، والإرشاد..."[٥].

"على أنَّ التطور الأساسي للنظرية تحقق على يد (سيرل) فيما يعرف بالمرحلة الأساسية الثانية للنظرية، فقد ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات

---

[١] النص والخطاب والاتصال، محمد العبد: ٢٢٣.
[٢] التداولية عند علماء العرب : ٤٤.
[٣] أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة: ٨٩.
[٤] نفسه: ٦٩ – ٧٠.
[٥] التداولية عند العلماء العرب: ٤١ – ٤٢.

الأفعال الكلامية"[١]، حيث "استمر (سيرل) (١٩٦٩م – ١٩٧٧م) في تطوير هذا الإسهام الأساسي لنظرية الأفعال الكلامية بالفرضية القائلة بأنَّه مع كل قول يتم أيضاً الفعل الخبري وفعل المرجعية. هذان الفعلان الجزئيان يجمعان بوصفهما فعل القضية (ويفصلان عن فعل الإنجاز النظري لدى أوستن). وبالنسبة إلى العوامل المتبقية بعد اختصار فعل التلفظ عن طريق فصل فعل القضية لدى أوستن فإنَّ سيرل يستخدم لهما مصطلح (فعل القول)"[٢].

قسم سيرل الأفعال الكلامية خمسة أنماط هي:

١- الأفعال الإثباتية (الإخبارية): وهي أنْ نقدم الخبر بوصفه تمثيلاً لحالة موجودة في العالم، ومِنْ أمثلتها، الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات.

٢- الأفعال التوجيهية: هي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل مِنْ تصرفه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه، مِن أمثلتها، الأوامر والنواهي والطلبات.

٣- الأفعال الإلزامية: وكل إلزامي هو تعهد مِنَ المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري، مِنْ أمثلة ذلك، المواعيد، والنذور، والرهان، والعقود، والضمانات.

٤- الأفعال التعبيرية: وهي تعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي والنماذج عن التعبيريات هي الاعتذار ات والتشكرات والتهاني والترحيبات والتعزيات.

٥- الأفعال التصريحية (الإعلانية): وظيفتها إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنه قد تغير،... وأفضل الأمثلة على ذلك: "علن أنكما زوج وزوجة" ..."أنت مطرود..."[٣].

"وبهذا التصنيف الخماسي الذي تقدم به (جون سيرل) بعد عدم اكتمال الرؤية ،ووضوحها لدى أوستن، يكون قد حاول سد الكثير مِنَ الثغرات التي أحاطت بتصنيف (أوستن) ، مثل عدم شمولية هذا التقسيم، وإهماله لبعض الصور الإنجازية التي ضمَّنها

---

[١] آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٧١.
[٢] مدخل إلى علم اللغة النصي: ٦٤.
[٣] العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل: ٢١٧ – ٢١٩.

(سيرل) مجالاته التي قدمها، كما أنَّ هذه التقسيمات غاب عنها وجود فروق دقيقة توضح ماهية كل قسم على حدة مما سمح بوجود خلط وتداخل بين هذه المجالات"[١].

يبدو أنَّ المسالك النظمية تشتمل على محاور معينة منها ما هو في ضمن المحتوى كالأفعال الكلامية، ومنها ما هو في ضمن الإجراء المتمثل بالنظم وهذا الأخير يشتمل على الرصف، والتموضع ،والاستبدال، فالبعد الأول (الأفعال الكلامية) هو بعد تداولي يتعلق بما يشتمل عليه الخطاب مِنْ أمور إنجازية، والبعد الثاني(النظم) هو بعد نصي يتعلق بشكل الخطاب، وسبكه ؛ليساهم ذلك في قوته، فالبعدان متآزران في ضمن هذا المسلك، وهما نتاج فلسفتين، إحداهما فلسفة فنجشتاين التي تهتم بالسياق اللغوي للكلمات، وفلسفة أوستن القائلة بالفعل الإنجازي للكلمات.

وقد تظهر المسالك النظمية بوسيلة (الأفعال الكلامية) في النصوص محل الدراسة على النحو الآتي:

أ- "الإخباريات (Asseritives) : وأفعال هذا المجال الإنجازي هي الأفعال التي تقوم بنقل أو وصف الواقع وصفاً أو نقلاً أميناً، فإذا تحققت الأمانة في النقل أو الوصف فقد أنجزت الأفعال إنجازاً تاماً أو ناجحاً؛ وذلك للتيقن مِنْ أمانة النقل أو الوصف"[٢]، "ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند أوستن وكثيراً مِنْ أفعال الأحكام"[٣].

استعمل المعري هذا الصنف مِنَ الأفعال الإنجازية في رسائله التي أنشأها لغير واحد، متوسلاً بها في سبيل تحقيق أغراضه، وغاياته الخطابية، فمن ذلك قوله: "وهل أقول للسائق والشهيد اللذين ذكرا في الكتاب الكريم قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد[٤] ياصاح انظراني، فيقولان لم تخاطبنا خطاب الواحد ونحن اثنان، فأقول ألم تعلما أنّ ذلك جائز من الكلام وفي الكتاب العزيز وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ألقيا في جهنم كل كفار عنيد[٥]... فهذا

---

[١] الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود: ٢٠٤.
[٢] نفسه: ٢٠٥.
[٣] آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٧٩.
[٤] ق: ٢١.
[٥] ق: ٢٤.

كله يدل على أنّ الخروج من مخاطبة الواحد إلى الاثنين أو من مخاطبة الاثنين إلى الواحد سائغ عند الفصحاء"[١].

يعرض المعري في النص أعلاه إلى بيان حكم مسألة مهمة في الكلام العربي، وهي: الخروج مِنْ مخاطبة الواحد إلى الاثنين، أو مِنْ مخاطبة الاثنين إلى الواحد، مثبتاً ذلك في اللسان العربي ومستدلاً عليه بقوله تعالى: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} [ق: ٢٤]، فقد قال: ألقيا، وإن كان الخطاب لملك واحد وهو مالك خازن النار.

ونقل صاحب الإنصاف رأي الكوفيين في هذه الآية قال: "إنَّهم قالوا للواحد (قِفَا) على التثنية؛ لأن المعنى قِفْ قِفْ، قال الله تعالى: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ } [ق: ٢٤] فَثَنَّى وإن كان الخطابُ لملك واحد وهو مالكٌ خازنُ النار؛ لأن المعنى: أَلْقِ أَلْقِ"[٢]، وصرح السيوطي ب: أنَّ مخاطبة الواحد بلفظ التثنية حقيقة قارة في اللسان العربي، قال: "وأما الواحد المخاطب بلفظ التثنية فقولهم اضربا يريد اضرب ومنه: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ }"[٣].

نلحظ مما سبق أنَّ المعري اتبع مسلكاً نظمياً قائماً على الاستدلال بأصل مِنْ اصول النحو وهو (السماع) في بيان علة تسويغه (مخاطبة الواحد بلفظ الاثنين أو مخاطبة الاثنين بلفظ الواحد)، ليبرهن بذلك على أنَّه اتبع منهجاً علمياً دقيقاً .

وعوداً على ما سيق النص لأجله (الإخباريات) فقد أنجز المعري بفعله الإخباري: جواز مخاطبة الواحد بلفظ الاثنين أو مخاطبة الاثنين بلفظ الواحد، وأنَّ هذا سائغ عند الفصحاء، فالأفعال الإخبارية (تعلم، جائز، سائغ) كان لها أثر إنجازي واضحاً في بيان الحكم وإخبار المتلقي بذلك.

أراد المعري بالنص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: إظهار معرفته الواسعة بالمسائل اللغوية ،وبعد نظره ،وذكائه ،وفهمه لمواد اللغة.

---

[١] رسالة الملائكة: ٢٣ – ٢٥.
[٢] الإنصاف في مسائل الخلاف: ٦٧/١.
[٣] الألغاز النحوية: ٣٣.

المقصد الثاني: إقامة الحجة على مَنْ ينكر وجود هذه المسألة في اللسان العربي، وإرسال الدليل على إثبات وجودها.

المقصد الثالث: بيان قدرته على معالجة المسائل اللغوية الدقيقة والبت في حكمها وإرسال الدليل على ذلك، بما يتوافق ومنهج العلماء قبله.

والغرض مِنْ ذلك: التعليم، وهذا ما نجده في أغلب رسائله، إذ يحرص المعري على حشوها بالعلوم العربية لتكون في ذلك فائدة علمية كبيرة للمتلقي الحقيقي/ الافتراضي؛ ليحقق بذلك غايتين مِنْ غايات التخاطب، هما: الإقناع والتأثير، بالإخبار بالحكم والاستدلال عليه وفق المنهج العلمي.

ب-التوجيهيات: وغرضها الإنجازي هو "محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل مِن تصرفه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه. وتتوفر النماذج على التوجيهات في الأوامر، والنواهي ،والطلبات"[١] و"الاستعطاف، والتشجيع، والإذن، والنصح"[٢].

فمِن مصاديق التوجيهات في رسائل المعري، قوله: "يا أمين الجبَّار الأعظم على الفراديس، ألم تسمع ندائي بك واستغاثتي إليك؟ فقال: لقد سمعتك تذكر رضوان وما علمت ما مقصدك، فما الذي تطلب أيها المسكين؟ فأقول: أنا رجل لا صبر لي على اللواب - أي العطش - وقد استطلت مدة الحساب، ومعي صك بالتوبة، وهي للذنّوب كلّها ماحية، وقد مدحتك بأشعارٍ كثيرة ووسمتها باسمك. فقال: وما الأشعار؟ فإني لم أسمع بهذه الكلمة قطّ إلا الساعة. فقلت: الأشعار جمع شعرٍ، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط... وكان أهل العاجلة يتقربّون به إلى الملوك، والسادات"[٣].

يحاول ابن القارح أن يمدح (رضوان) ملك الجنة بقصائد كما هي عادة الشعراء في الدنيا لدى استعطاف الممدوح واستغاثته"[٤]، بعد أنْ استطالت مدة الحساب عليه واشتد عليه

---

[١] العقل واللغة والمجتمع: ٢١٨.
[٢] آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٧٩.
[٣] رسالة الغفران: ٢٥٠ ــ ٢٥١.
[٤] دراسة الطابع القصصي في رسالة الغفران، هومن ناظميان، العدد ٩ ــ ٢٠١٣: ٨.

العطش، فلم يعد له صبر على الانتظار، فحاول استعطافه واستغاثته بالشعر كما يفعل أهل الأرض لملوكهم، محاولاً التأثير عليه ومِنْ ثم السماح له بدخول الجنة، لكن ابن القارح فشل في إنجاز فعله القضوي (الاستعطاف)؛ وذلك لعدم "وجود إجراء عرفي مقبول" وهذا أحد شروط الملائمة التي ينبغي توافرها لضمان نجاح إنجاز الفعل[١].

فـ"(رضوان) لا يعتني بابن القارح ولا يولي لمدائحه وزناً؛ لأنَّه لا يعرف الشعر ولا يهمه... وهكذا يخيب ابن القارح مِنْ استرضاء (رضوان) بإنشاده قصائد، فيبذل قصارى جهوده لاستعطاف ملك آخر يدعى (زفر) ولكن دون جدوى"[٢]، يقول: "فتركته وانصرفت بأملي إلى خازن آخر يقال له (زفر) فعملت كلمة ووسمتها باسمه... فما نجع ولا غيَّر"[٣].

كما أننا نلاحظ أنَّ الفعل التوجيهي (الاستفهام) أدى معنى غير معنى الاستفهام الظاهر، وهذا ما يعرف في نظرية الأفعال الكلامية بـ"الأفعال غير المباشرة: وهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدى على نحو غير مباشر بفعل إنجازي آخر"[٤]، فقول ابن القارح "ألم تسمع ندائي بك واستغاثتي إليك" فهو هنا لا ينتظر ولا يريد مِنْ (رضوان) مِنْ جفاء وعد الاكتراث له وقبول طلبه، مع كل ما قدمه مِنْ مدح وثناء واستعطاف بوسيلة الشعر، وهي الوسيلة السامية في الدار العاجلة.

ويمكن أنْ نوضح ما أراد المعري بيانه مِنْ مقاصد وأغراض بالآتي:

المقصد الأول: ذم ما يقوم به الشعراء مِنْ التودد ،والمدح ،والتملق للملوك ،والسلاطين؛ لما لذلك مِنْ أثر في ذهاب ماء الوجه والمروءة لأجل الدنيا الفانية.

المقصد الثاني: ليس للإنسان سبيل يتخلص به مِنْ أهوال يوم الحساب ،وشدة الحر، والعطش إلَّا العمل الصالح في الدنيا، وإلَّا فلا طاقة له للصبر على ما في ذلك اليوم مِنْ شدائد جسام؛ لضعفه وقلة صبره، وتلك حقيقة كان قد أقرها الله تعالى بقوله: {وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا} [النساء: ٢٨].

---

[١] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٤٤.
[٢] دراسة الطابع القصصي في رسالة الغفران : ٨.
[٣] رسالة الغفران: ٢٥١.
[٤] آفاق جديدة في البحث الغوي : ٨١.

المقصد الثالث: التنبيه والإقرار على أنَّ وسائل المدح ،والثناء ،والاستعطاف التي ينجز بها الناس ما يريدون في الدنيا لن يتمكنوا أنْ يحققوا بها شيئاً في الآخرة، فمدح الملوك واستعطافهم ومِنْ ثم تلبية مطالب الشاعر إنَّما كان ذلك في الدنيا، وليس للإنسان إلى الجنة مِنْ سبيل إلّا بالعمل الصالح.

أمَّا الغرض الخطابي فهو توجيه المتلقي إلى كسب الآخرة بالدنيا، واتقاء يوم الحساب وما فيه مِنْ عذاب لا طاقة للإنسان على الصبر عليه، وقد أدى المعري هذا المعنى التوجيهي بتصويره يوم الحساب وما فيه مِن هول، وعذاب، لما في ذلك مِنْ ترهيب للمتلقي أوترغيبه بما هو أنفع.

والمقصد الغائي هو بيان المعري رأيه في مسألة عقدية وهي (الشفاعة) أي شفاعة الإنسان للإنسان، فهو ينكر هذه المسألة، ويصرح بأنَّه لا يدخل الجنة إلّا مَنْ أذن الله تعالى له دون غيره، قال على لسان (رضوان) مجيباً ابن القارح بعد أنْ طلب منه السماح له بالدخول إلى الجنة، فيصفه (رضوان) بضعف الرأي منكر عليه طلبه، قال: "إنَّك لغبين الرأي! أتأمل أن آذن لك بغير إذن من رب العزة؟ هيهات هيهات! وأنَّى لهم التناوش من مكان[١] بعيد فتركته وانصرفت بأملي إلى خازن آخر"[٢].

فبعد ما منع ابن القارح مِنْ الدخول في الجنة ذهب ليتوسل بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – والأئمة الطاهرين، فطلب أن ينظر في عمله، فلما نظر وجد أنَّه قد ختم له بالتوبة، فشفع له، فلما وصل إلى الصراط أمرت (الزهراء) – صلى الله عليها – جارية مِنْ جواريها بأنْ تجيزه، فلما أجازته وصار إلى باب الجنة، قال له (رضوان) لا سبيل لك إلى الدخول إلَّا بجواز[٣].

---

[١] سبأ: ٥٢.
[٢] رسالة الغفران: ٢٥١.
[٣] ينظر: نفسه: ٢٦٠ – ٢٦١.

ت–الإلزاميات: "هذه الأفعال هي الأفعال التي تعبر عن التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل"[١]، "وتتوفر نماذج على الإلزاميات في المواعيد، والنذور والرهان والعقود، والضمانات" [٢].

"وما منع سيرل من دمج الالتزاميات والتوجيهات بالرغم من أنَّ المطابقة من العالم إلى الكلمات مشتركة بينهما، منعه أمران: الأول: اختلافهما مِن حيث الهدف فـ(الالتزاميات) تهدف إلى التزام المتكلم بفعل شيء ما دون أنْ يحاول بالضرورة التأثير على غيره لكي ينجز أمراً ما، وفي المقابل يتمثل هدف (التوجيهات) في محاولت التأثير على المتلقي ليفعل شيئاً ما، وليس بالضرورة إلزامه بذلك الأمر، والأمر الثاني : يتمثل في أنَّ الفاعل في الالتزاميات هو المتكلم، وفي التوجيهات هو المتلقي أو مَن يقع على عاتقه أداء الفعل"[٣].

فمن الأفعال الالتزامية قول أبي العلاء: "وإذا شبهنا الطاغية بالضرب الأول من البسيط، وظهر من الدروب ناقضاً للسلم، فـ (عزيز الدولة) – أعز الله نصره – يلحق به الطيَّ أو الخبل. فإنَّه إذا طوي تغيرت هيئته، وذهب أيده. والطي الذي وضعه (الخليل) هو ذهاب الرابع مِنَ السباعي. ونحن نعني به المصدر من قولك: طواه الله، أي أهلكه... و(السيد عزيز الدولة) – أعز الله نصره – لا يرضى له بالطي في موضعين، بل يطويه في أربعة مواضع؛ ليكون التغيير له أشد، وحاله عند من عرفها أنكر"[٤].

أنجز المرسل فعل الوعيد بما يدل على الزمن المستقبل مِنَ الأفعال، حيث استعمل الفعل المضارع لإنجاز فعل الوعيد وذلك قوله: "يلحق به الطي" و"يطويه"، فالمرسل أنجز فعل الوعيد "للطاغية" بأنَّه إنْ قدم على غزو حلب سيهلكه عزيز الدولة وهو "مخبول مطَّرب العقل... فينكره أدنى الأحياء وأعز القرابين"[٥]، ويشبه هذا التغيير بالبيتين مِنَ الشعر اللذين يطوى أحدهما في موضعين والآخر في أربعة، فيكون ما طوي في أربعة مواضع "بعيداً عن الأول في شكله وغير ملائم له في وزنه"[٦]، فوجه الشبه بين طي الشعر و(الطاغية) هو ما

---

[١] الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ٢١١.
[٢] العقل واللغة والمجتمع: ٢١٨.
[٣] المرجع السابق: ٢١٢.
[٤] رسالة الصاهل والشاحج: ٥٨٠.
[٥] نفسه: ٥٨٢.
[٦] نفسه: ٥٨١.

سيؤول إليه حالهما مِن شدة التغيير بعد الطي، وهذا يدل على المبالغة في تعذيب الطاغية وهلاكه إنْ أقدم على غزو حلب.

نلحظ أنَّ عنصر (الاستبدال) وهو أحد عناصر المسالك النظمية، قد أدى وظيفة الربط والتناسق بين عناصر النص، فقد استبدل المرسل اسم (باسيل) زعيم الروم بـــ (الطاغية) صيانة للسان عن ذكره، وتحقيراً له أمام ذكر عزيز الدولة، ورغبة عن ذكرهما معاً.

لعل مِن أهم المقاصد التي أراد المعري بيانها ما يأتي:

المقصد الأول: تخويف العدو وترهيبه،وذلك بذكره هلاكهم على يد سيف الدولة وجيشه إذا ما قدموا لحلب، وحسبك ما في هذا الوعيد مِنْ مبالغة، فإذا كان زعيم الروم الذي هو أشدهم منعة سيؤول إلى هذا المصير، فكيف بغيره ممن لا حماية لهم؟، فمما لا شك فيه أنَّ هلاكهم سيكون أيسر وقتلهم أكثر على يد عزيز الدولة وجيشه.

المقصد الثاني: الانتصار اللغوي للمسلمين؛ لما في ذلك مِن أثرٍ في رفع معنويات المسلمين، وإحباط معنويات جيش العدو.

والغرض مِن ذلك تعليم المتلقي ما ورد في النص مِن مصطلحات عروضية وبيان حدودها، وقدرة المرسل في توظيف ،وصرف دلالات الألفاظ إلى ما يحقق به غاياته ،ومقاصده الخطابية كما أنَّ ذلك يدل على رغبة المعري في إظهار قدرته اللغوية ،وسعة علمه.

وأمَّا الغاية الخطابية التي أراد المعري تحقيقها هي مواجهة الموجة الإعلامية التي أشيعت على ألسن (المرجفين) والتي زعموا فيها أنَّ زعيم الروم لن يهزم، ولن يستطيع أحد أنْ يقف بوجهه أو يصده عن غزو حلب[١].

فأراد المعري أنْ يرد على (المرجفين) بسلاحهم (الحرب الإعلامية)؛ لكونها أمضى إلى النفوس، وأشد أثراً في رفع معنويات المسلمين ،والحط من معنويات العدو.

[١] ينظر: رسالة الصاهل والشاحج: ٥٢٨.

ث–التعبيرات: يرغب الإنسان في التعبير عمَّا في نفسه مما لا يمكن للآخر أنْ يطلع عليه، خاصة إذا ما شعرت نفسه بالانفعال أو الرغبة تجاه شيء ما، كما أنَّه يرى أنَّ مِنَ الواجب عليه أنْ يعبر عن تلك المشاعر والعواطف كلما حركته، ومِنْ تلك الأفعال: الشكر، والاعتذار، والانتقاد، والموافقة، والمعارضة، والتهنئة[١].

"وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أنْ يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات. وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية"[٢]، وشرط الصدق عند سيرل "في التعبيرات يتغير مع تغير نمط التعبير، فالاعتذار صادق إذا كان المتكلم يشعر فعلاً عمَّا يعتذر عنه، والتهاني صادقة إذا كان المتكلم يشعر بالبهجة حقاً لما يهنئ المستمع عليه"[٣].

قال المعري معبراً عن حزنه بعد سماعه نبأ وفاة والدته – رحمها الله – :"ولكل نبأ مستقر، ووردتها بعد سامة، ورود كعب بن مامة[٤]، (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)[٥]، وله الحمد ممزوجاً به الدمع، مستكاً له مِنَ الوجد السمع، وصلى الله على سيدنا محمد وعترته صلاة يثقل بها لساني حزناً، وترجح في المحشر قدراً ووزناً"[٦].

"كتب المعري (هذه الرسالة) إلى خاله أبي القاسم علي بن سبيكة عند طلوعه مِنَ العراق ووجد أمَّه توفيت ولم يعلم قبل مقدمه بذلك"[٧].

عبر المرسل عمَّا في نفسه مِن حزن، وأسى، بعد تلقيه نبأ وفاة والدته، وهذا شعور قارٌ عند كل إنسان تجاه والديه؛ لما بين الإنسان ووالديه مِن تلازم في الأرواح، كما أنَّ الأم المهد الأول الذي يأخذ الإنسان منه الحب والحنين، فضلاً عن ذلك توجيه القرآن الكريم للإنسان إلى الإحسان لوالديه وبرهما والدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، قال تعالى: {وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا} [الإسراء: ٢٤]، ثم

---

[١] ينظر: نظرية الأفعال الكلامية، أوستن:٩٦.
[٢] آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٨٠.
[٣] العقل واللغة والمجتمع: ٢١٩.
[٤] هو كعب بن مامة بن عمر بن ثعلبة الإبادي، كريم جاهلي يضرب به المثل في حسن الجوار، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة :٤٥٤/١ .
[٥] البقرة: ١٥٦.
[٦] رسائل أبي العلاء المعري: ٨٧.
[٧] نفسه: ٨٧.

إنَّك لا تجد ريباً في صدق مشاعر المرسل وحزنه، وقد نصب المرسل على صدق شعوره أدلة،منها:

الدليل الأول: أنَّه جعل نبأ وفاة والدته – لشدة وقعه عليه وأثره فيه – مِن المصائب العظام التي ينبغي على الإنسان أنْ يسترجع عند سماعها؛ امتثالاً لأمر الله سبحانه، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦].

الدليل الثاني: أنَّه يشبه وقع الخبر عليه كوقع خبر هلاك جار (كعب بن مامة) عليه، و(كعب) كان يؤثر جاره على نفسه ويفتديه بها، حتى ضرب بذلك المثل: "أجود مِن كعب بن مامة"[1].

الدليل الثالث: قوله "وله الحمد ممزوجاً به الدمع"، فذرف الدمع ينم عن صدق المشاعر وقوتها، وأثر الخبر، وعظم مصيبته على المرسل، كما أنَّ ذرف الدمع ليس للإنسان إليه مِنْ سبيل إلّا إذا صدقت مشاعره حزناً أو فرحاً.

الدليل الرابع: إنَّ شدة وقع المصيبة على المرسل جعلت مِن ذرف الدمع أمراً مصاحباً له في كل فعل وقول، كحمد الله بعد سماعه الخبر الذي مُزج بالدمع، والصلاة على النبي وعترته التي ثقل بها لسانه حزناً، وترجح في المحشر قدراً ووزناً، وإحالته مشاعره إلى يوم المحشر الذي يرى أنَّ صلاته الموسومة بالحزن ستثقل في ذلك اليوم قدراً ووزناً، كفيلاً بصدق مشاعره؛ لأنَّ في ذلك اليوم ستبلى السرائر، وليس للنفاق هنالك مِن سبيل.

نخلص مِن ذلك إلى أنَّ النسبة الكلامية وهي (تعبير المعري عن حزنه لفقد والدته) مطابقة للنسبة الخارجية وهي (نبأ الوفاة)، كما أنَّ هناك نسبة ذهنية موازية للنسبة الكلامية في ذهن المرسل أثناء تعبيره عن النسبة الكلامية.

أراد المعري بمسلك النظم مقاصد متعددة يمكن أن نوجزها بالآتي:

المقصد الأول: التأكيد على بر الوالدين والإحسان إليهما وعدم نهرهما في الدنيا، والدعاء لهما بالمغفرة والعاقبة الحسنة في الآخرة.

---

[1] مجمع الأمثال : ١٨٣/١ .

المقصد الثاني: بيان مكانة الأم بأنها مصدر للخير، والأمل، والعطف، وفقدها يجعل المحن والمصائب تتسارع على الإنسان، فلا أمل للخير بعدها، قال المعري: "ولا آمل بعدها خيراً، ولا أيد في المحن إلّا إيضاعاً وسيراً"[١].

المقصد الثالث: التذكير بحتمية الموت، فقوله: "ولكل أجل كتاب" يحيل إلى الآية الكريمة: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد: ٣٨]، كما أنَّه يقر بأمر الله وأنَّه لا اعتراض على ذلك، فقد وعد الله الإنسان بالموت وهذا مما لا سبيل إلى ردِّه، كما أنَّ كل شيء سيؤول إلى الفناء.

أمَّا غرضاه فهما التعزية ،والمواساة، فقد كتب هذه الرسالة لتعزية خاله، وبيان ما لوالدته مِنْ مقام ومكانة عنده، ففقدها عنده وحزنه عليها "كحزن أهل الجنة لفقد نعيمهم"[٢]، ثم أنَّه يشبه تعلقه بها وحاجته إليها، بتعلق وحاجة الرضيع لأمه، قال:

مَضَتْ وقَدِ اكتهلْتُ فخلتُ أنّي رضيعٌ ما بلغتُ مدى الفطامِ[٣]

وتخصيصه مدة الرضاعة بالذكر والتشبيه؛ كون تلك المدة مِن أوضح مراحل الحياة التي تبين التصاق الطفل بأمه وحاجته إليها ورغبته في البقاء بجوارها طول الوقت، وبالمقابل أيضاً أنَّ الأم في مدة الرضاع تكون أكثر عناية برضيعها، وأشد حرصاً على تلبية طلباته ومحاولة إرضائه، فتسهر لأجله، وتمنع نفسها مِن ملذات الحياة في سبيل سعادته وسلامته، ولذلك نجد القرآن الكريم عندما وصف هول يوم القيامة وبالغ في الوصف قال: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج: ٢]، وتقديمه لذهول المرأة عن رضيعها؛ لكونه الأقوى والأصدق مِنْ غيره مِنَ العلائق بين الناس، فإذا نقضت العلاقة الأقوى والأصدق فمن باب أولى سينتقض ما دونها.

---

[١] رسائل أبي العلاء المعري :٨٨.
[٢] نفسه : ٨٩.
[٣] ديوان سقط الزند:١١٥ .

أمَّا غايته الخطابية فهي التأثير في المتلقي بالوعظ، والنصيحة بالإحسان للوالدين وبرّهما، والامتثال في معاملتهما بما أوصى الله تعالى به مِنَ الرحمة بهما والإحسان إليهما وعدم زجرهما.

ج- الإعلانيات: أو (التصريحات) عند سيرل : "هي الأفعال التي ينشأ عن التصريح بها إحداث تغيير في الوضع القائم، أي إنَّ القول بأمر ما هو إحداث لذلك الأمر"[١]، و"أفضل الأمثلة على ذلك: (أعلن أنكما زوج وزوجة)، و(أنت مطرود)، و(أنا مستقيل)"[٢]، و(السمة المميزة لهذا الصنف مِنَ الأفعال أنَّ أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أديت أنا فعل تعينك رئيساً للوفد أداءً ناجحاً فأنت رئيس الوفد"[٣].

ومِنَ الإعلانيات قول أبي العلاء على لسان ابن القارح: "فلمّا صرت إلى باب الجنّة، قال لي (رضوان): هل معك من جوازٍ؟ فقلت: لا. فقال لا سبيل لك إلى الدخول إلّاّ به فبعلت بالأمر، وعلى باب الجنَة من داخلٍ شجرة صفصافٍ، فقلت: أعطني ورقةً من هذه الصَّفصافة حتى أرجع إلى الموقف فآخذ عليها جوازاً، فقال: لا أخرج شيئاً من الجنَّة إلاّ بإذنٍ من العليِّ الأعلى، تقدَّس وتبارك"[٤].

في النص نلحظ أنَّ (رضوان) – أمين الجبار الأعظم على الفراديس – قد أنجز فعلين لهما أثر في الخارج باستعماله فعلين تصريحيين هما: طرد ابن القارح ومنعه مِنَ الدخول إلى الجنة، والآخر منعه مِنْ أخذ ورقة مِنْ شجر الصفصاف، ورفضه طلبه بهذا الشأن، ومِنْ ثم إرجاعه خالي الوفاض، حائر في أمره ماذا يفعل؟

لعل مِنْ أهم العوامل التي ساعدت على نجاح إنجاز الفعلين (الطرد، والمنع)، عامل السلطة، حيث تميز (رضوان) باكتسابه سلطة تمكنه مِن تحقيق الأفعال التصريحية بنجاح، وسلطة (رضوان) سلطة مكتسبة لا ذاتية، فهي مكتسبة مِنْ سلطة الله سبحانه المطلقة، فهو مكلف بمنع مَنْ لا تتوافر فيه صفات أهل الجنة بالدخول فيها.

---

[١] الأفعال الإنجازية في العربية: ٢٠٨.
[٢] العقل واللغة والمجتمع: ٢١٩.
[٣] آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٨٠.
[٤] رسالة الغفران: ٢٦١ – ٢٦٢.

نلحظ في النص السابق أنَّ عناصره اللغوية رصفت ورتبت في استعمالها ترتيباً زمنياً، فضلا عن قيام حرف العطف (الفاء) بوظيفتين مهمتين، الأولى: وهي الربط، حيث كرر حرف (الفاء) في النص السابق ثماني مرات؛ ليؤدي بذلك ربط أول النص بآخره ويجعله بذلك متماسكاً ومنسجم الأجزاء، والوظيفة الثانية وهي الأهم التي قام بها حرف العطف (الفاء): وهي ترتيب العناصر اللغوية ترتيباً منطقياً بحسب الزمن، كما أنها دلت على توالي الأحداث دون أنْ تكون هنالك مدة زمنية طويلة بين حدث وآخر، وهذا المعنى ينسجم والموقف الذي فيه ابن القارح، مِنْ نفاذ الصبر ورغبته في الإسراع بالدخول إلى الجنة خوفاً مِنْ تغيير المصير، " فابن القارح هنا يستعجل الفوز ويتعجل الدخول خوفاً مِنْ المصير الذي ينتظره رغم توبته فهو خائف"[١].

أراد المعري بمسلك النظم المقاصد التالية:

المقصد الأول: الدعوة والتأكيد على حفظ الأمانة، وأوضح مثالاً لذلك هو عمل الخليفة بأمر المُستخلِف على أكمل وجه، وبصدق، وأمانة.

المقصد الثاني: العمل الصالح في الدنيا هو السبيل لنجاة الإنسان مِنْ هول يوم المحشر، والتمتع بنعيم الجنة، وليس لدخول الجنة غير ذلك مِنْ سبيل.

المقصد الثالث: إنَّ ذكر المعري شجرة الصفصاف دون غيرها مِنَ الشجر يدل على معنيين: الأول: تحريم كل ما في الجنة على مَنْ لا يستحق الدخول إليها، حتى ورقة الشجر التي لا تثمر ولا تؤكل، والمعنى الآخر: التأكيد على حفظ الأمانة وعدم المساس بها ولو لما لا فائدة منه كورقة الصفصاف.

أمَّا الغرض مِنْ ذلك فهو الترهيب مِنْ أهوال يوم المحشر، لعل الإنسان في ذلك يتوجه إلى ما يخلصه مِنْ أهوال ذلك اليوم بالعمل الصالح.

والمقصد الغائي جزم المعري وقطعه بأمر مفاده: أنَّه لن يدخل الجنة إلَّا مَنْ أذن الله له، وأنَّ الشفاعة مِنَ الأولياء والصالحين إنْ لم يأذن الله تعالى ليست بنافعة.

---

[١] البنية العميقة في رسالة الغفران: ٦٧.

ثانياً: الدلالة الكلامية والسكوتية.

"إنَّ البنية الدلالية للخطاب أعقد وأغنى مما يمكن أنْ نتصور... فقولك عبارة ما لا يعد ذلك شيئاً أمام ما يمكن أن نستنتجه مِن تلك القولة، وإذا كانت بعض الافتراضات والتضمنات في تلك القولة تعد مِن قبيل الدلالة الكلامية، فإنَّ بعض أنواع المعنى مثل ما يعرف في علم أصول الفقه بمفهوم الموافقة، والمخالفة يمكن إدراجه بالدلالة السكوتية. والمقصود بها ما يستلزمه اللفظ بالحكم دون النطق به"[١].

ويمكن أنْ نميز بين الاستلزام الحواري والموافقة والمخالفة بما يأتي:

١- "إنَّ الاستلزام الحواري متغير دائماً يتغير بتغير السياقات التي يرد فيها"[٢]، أمَّا الموافقة والمخالفة فمعناها ثابت وإن تغيرت السياقات، فهو إمَّا موافق لحكم المنطوق أو مخالف له.

٢- إنَّ الاستلزام الحواري يشمل كل ما يفهم مِن المنطوق ، سواء تعلق ذلك المعنى المفهوم بالحكم أم لا، أمَّا الموافقة والمخالفة فلا يستلزم مفهومهما إلَّا ما كان موافقاً أو مخالفاً لحكم المنطوق، فهو أعم وأشمل مِنَ الدلالة السكوتية.

٣- الموافقة والمخالفة أوضح مِنَ الاستلزام وأيسر على المتلقي مِنَ الوصول إليهما، وليس الحال كذلك في الاستلزام، فالأخير لابدَّ مِنْ مراعاة بعض القواعد والمعايير التي أطلق عليها (جرايس) مبدأ التعاون بين المتكلمين للوصول إلى المعنى المستلزم مِنَ المنطوق، والمبادئ هي[٣]:

١) مبدأ الكم.
٢) مبدأ الكيف.
٣) مبدأ المناسبة.
٤) مبدأ الطريقة.

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١١١ – ١١٢.
[٢] آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٣٣.
[٣] نفسه: ٣٤.

وسنوضح مفهومي الموافقة والمخالفة بعرض بعض مصاديقهما في رسائل أبي العلاء لنبين بذلك أهم المقاصد والغايات التي سيق لأجلها هذان المفهومان.

تعرف الدلالة السكوتية عند الأصوليين بأنَّها " خلاف المنطوق وهو ما دلَّ على اللفظ لا في محل النطق بأنْ يكون حكماً بغير المذكور وحالاً مِنْ أحواله... وهي تنقسم إلى مفهوم الموافقة والمخالفة؛ لأنَّ حكم غير المذكور إمَّا موافق لحكم المذكور نفياً أو إثباتاً أو لا"[١].

١- الموافقة: "هي ما يوافق حكمه المنطوق فإنْ كان أولى سمي فحوى الخطاب كدلالة {فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ} [الإسراء: ٢٣] على تحريم الضرب؛ لأنَّه أشد، وإن كان مساوياً سمي لحن الخطاب، أي معناه كدلالة {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا} [النساء: ١٠] على تحريم الإحراق؛ لأنه مساوٍ للأكل في الإتلاف"[٢].

وعرفها التهاوني بأنَّها: " أن يكون المسكوت عنه وهو المسمّى بغير محلّ النطق موافقاً في حكم المذكور المسمّى بمحل النطق"[٣]، "ومِنْ أمثلتها، (خمس رضعات يحرمن) التي تستلزم أنَّ الست فما فوقها تحرم أيضاً على سبيل الموافقة مِن باب أولى، وتستلزم أيضاً أنَّ الأربع فما دونها لا تحرم"[٤].

مما يمكن إدراجه في ضمن الموافقة هو وصف المعري نعيم الجنة، مِنْ ذلك قوله: "وتجري في أصول ذلك الشجر، أنهار تختلج من ماء الحيوان، والكوثر يمدُّها في كلّ أوانٍ؛ من شرب منها النُّغبة فلا موت، قد أمن هنالك الفوت. وسعدٌ من اللبن متخرِّفات، لا تغيَّر بأن تطول الأوقات. وجعافر مِنَ الرحيق المختوم، عزَّ المقتدر على كلّ محتوم"[٥].

نلحظ أنَّ الجملة الشرطية "مَن شرب منها النُّغبة فلا موت" تستلزم معنى موافقاً للحكم المنطوق وهو (الخلود)، والمعنى المستلزم هو أنَّ مَنْ يشرب أكثر مِنْ غرفة أو يشرب رفهاً أحق بالخلود وأبعد عن الموت؛ وذلك مِنْ باب الأولوية، فإذا كانت غرفة واحدة تكسب صاحبها الخلود وتجنبه الموت، فشرب الأكثر أولى بخلود صاحبه.

---

[١] كشاف اصطلاحات الفنون: ١٦١٧/٢.
[٢] الإتقان: ١٠٣/٣.
[٣] المصدر السابق : ١٦١٧/٢.
[٤] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٢.
[٥] رسالة الغفران: ١٤١ – ١٤٢.

كما أنَّ قوله: "وسعدٌ من اللبن متخرِّفات، لا تغيَّر بأن تطول الأوقات" يستلزم معنى موافقاً لحكم المنطوق، وهو (عدم فساد اللبن وتغير شكله ورائحته لطول المدة)، والمعنى المستلزم هو أنَّ قصر الوقت أولى بحفظها مِنَ الفساد والتغير، لأنّ السائل الذي لا يفسده طول الوقت، فقصير الوقت أولى بحفظه مِنَ التغير.

اتبع المعري مسلكاً نظمياً قائماً على الوصف، ربطت أجزاؤه ،وعناصره اللغوية مع بعضها؛ لتؤدي معنى مشتركاً وهو وصف نعيم الجنة، فوحدة الموضوع وهي (الوصف) أسهمت بشكل فاعل في رصف وربط العناصر اللغوية المكونة للنص، فالعناصر اللغوية كلها تحيل إلى مرجعية واحدة وهي وصف الجنة، مما ساهم ذلك في اتساق النص.

أوضح المعري مقصده مِنَ الخطاب وهو: وصف نعيم الجنة الذي أُعدَّ لمن آمن بالله تعالى وعمل صالحاً واجتنب ما نُهي عنه، وقد أخذ هذا الوصف مِنَ القرآن الكريم مِنْ قوله تعالى: {مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ} [محمد: ١٥]، كما أنَّ قوله: "والولدان المخلدون في ظلال تلك الشجر قيام وقعود"[١]، قد أخذ ذلك مِنْ قوله تعالى: {۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا} [الإنسان: ١٩].

أمَّا غرضه الخطابي فهو: ترغيب المتلقي وتشويقه لنعيم الجنة الذي أعدَّه الله تعالى لمنْ اتقى وعمل صالحاً، كما أنَّ الوصف يتضمن معنى التوجيه، توجيه المتلقي إلى عمل الصالحات؛ ليحسن مثواه .

والمقصد الغائي هو تعبير أبي العلاء عن معاناته وآلامه في الحياة الدنيا، وتوقه إلى الآخرة؛ ليتخلص مِنَ المعاناة ويتمتع بنعيم الجنة إذا ما رحمه الله تعالى بذلك، ولهذا "رفض الحياة رفضاً مبدئياً صريحاً، وآمن بالموت مخلصاً مِن المعاناة والآلام"[٢].

كما أنَّه بوصفه وتوقه لنعيم الآخرة يرد ضمناً على مَنْ اتهمه بالكفر وإنكار الآخرة فقد "اتهمه الكثيرون بجحد النبوات، وعدم الإيمان بالبعث والنشور"[٣].

---

[١] رسالة الغفران: ١٤١.
[٢] أبو العلاء المعري، أحمد تيمور باشا: ١٦١.
[٣] المصدر السابق : ١٦١.

ومِن مصاديق (الموافقة) في النصوص محل الدراسة قول المعري: "ولا يُفلِتُ مِنْ مخالب الأيام أسدٌ ورد، وليس منْ طعامه السحم ولا المرد[١]، ولكنه يفترس كل شارق، صيداً لا يغتاله فعل سارق... كأنَّ مقلتيه جذوتا حريقٍ، بل ناراً فريق، إذ أحسته العانة[٢] ولت نافرة"[٣].

أورد المعري هذا النص على سبيل تذكير متلقيه بفناء الأشياء، وأنَّه ما مِنْ مخلوق إلَّا والموت مدركه، فبعد أنْ ذكر موت الإنسان (الأنبياء، الملوك، الفرسان، الكرماء، الشجعان..." أخذ يذكر مصارع بعض الحيوانات كالأسد، والفأر، والجراد...، مبتغياً بذلك تخفيف ألم الفراق عند متلقيه وتعزيته على فقد ولده.

يكمن مفهوم الموافقة في النص المذكور سابقاً في قوله: "لا يفلت مِن مخالب الأيام أسد..." فلما كان الموت مدرك الأقوى، فليس للأضعف إلى الهروب والنجاة مِنَ الموت مِن سبيل، من باب الأولوية، أي أنَّه إذا كان إدراك الأقوى ممكناً، فالأضعف أكثر إمكاناً وأيسر تحققاً لفعل الإدراك بحكم الأولوية.

ونلحظ أنَّ المعري استعمل الاستعارة المكنية في إظهار قوة الموت ،وتهويله، إذ شبهه بحيوان مفترس له مخالب، بجامع القوة بين المشبه والمشبه به، فكما الأسد لا يفلت مِن مخالبه شيئاً، كذلك الموت لم ينج منه شيئاً.

نخلص مِنْ هذا إلى أنَّ المسالك الخطابية قد تتآزر مع بعضها في تحقيق بعض الغايات، والمقاصد الخطابية، فمنها مثلاً: استعمل مسلكي النظم ،والتلميح؛ لتحقيق مقاصد خطابية مهمة يمكن إجمالها بالآتي:

المقصد الأول: تذكير المتلقي بالموت، وحثه على مداومة ذكره.

---

[١] السحم: نبت، لسان العرب:٢٨٢/١٢، والمرد: ثمر الأراك الغضُّ منه، الصحاح: ٥٣٨/٢.
[٢] العانة: جماعة الحمير، معجم ديوان الأدب: ٣٤٢/٣.
[٣] رسالة في تعزية ابن أبي الرجال: ٤٩ – ٥٠.

المقصد الثاني: المبالغة في وصف الموت وقوته، إذ لم يستطع أن ينجو مِنه شيئاً، والمعري هنا يحيل إلى الآية الكريمة: {أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ }[النساء: ٧٨]، والآيات الآخرى التي ذكرت حتمية الموت وفناء الأشياء.

المقصد الثالث: إرشاد المتلقي وتوجيهه إلى الاستعداد لمصيره الحتمي، فمن يعمل صالحاً فلنفسه ،ومَن يكفر فلن يضر الله شيئاً.

أمَّا الغرض مِن ذلك فهو: تعزية المتلقي بوفاة ولده، وغايته التأثير بالمتلقي لبث التصبر في قلبه وتخفيف ألم الفراق والفقد عليه.

٢- المخالفة: هي "ما يخالف حكمه المنطوق... وهو ما دلَّ عليه اللفظ لا في محل النطق"[١]، وعرفت بأنَّها : "أنْ يكون المسكوت عنه مخالفاً للمذكور في الحكم إثباتاً أو نفياً"[٢]، وتكون المخالفة على أقسام منها: المخالفة في الصفة، والعدد الخاص، ومفهوم الشرط، والغاية[٣].

"وترتبط الدلالة السكوتية بنظرية التقييد، ونظرية الاستبدال، ويمكن أنْ نصوغ ضابطاً هنا للتقييد في ضوء محور الاستبدال:

(كلما قوي التضاد بين البدائل الممكنة قويت الدلالة السكوتية)، وتصل مداها عندما يصبح البديل واحداً فقط وهو البديل النقيض، أو البديل السالب...، فمن أمثلة ذلك (في الغنم السائمة زكاة) الذي يستنتج منه أنَّ المعلوفة لا تجب فيها زكاة؛ لأنه قيد الغنم بالسوم، وسكت عن المعلوفة، ولما كانت السائمة مناقضة للمعلوفة كان حكمها مخالفاً"[٤].

فمِنْ مصاديق المخالفة في رسائل أبي العلاء المعري قوله: "ولأشيرنَّ عليك يا ثُعالُ بالمكرمةِ من الفعل: إنْ كان لك صديق في الجالية فوصهِ ألّا يكون في أوائل الرفقة ولا

---

[١] الإتقان: ١٠٦/٣.
[٢] كشف الأسرار، عبد العزيز بن أحمد: ٢٥٦/٢، وينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية: ٤٢٦.
[٣] ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ١٦١٨/٦.
[٤] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١١٢ – ١١٣.

الأواخر، ولكن يكون متوسطاً بين الأول والآخر، فإنَّه إذا كان أولاً لم آمن عليه أن تدركه نائبة كما أدركت فاء عدةٍ وزنةٍ... وتلك النائبة هي الخرم[١] الموجود في أوائل الأشعار"[٢].

أورد المعري النص أعلاه على لسان الشاحج ناصحاً الثعلب وموجهاً إياه، بأنَّه إن كان له صديق في الجالية فليوصه بأنْ لا يكون في الأطراف، أي في أول الرفقة أو آخرها، بل عليه أنْ يكون متوسطاً بين أول المسير وآخره؛ ليأمن عليه مِنْ شر العدو؛ لأنَّ الأطراف أكثر عرضة للخطر منها في الوسط كون الأطراف أول ما يوصل إليها إذا ما قصدهم العدو بأذى.

ثم يشبه المعري هذا المعنى ويستدل عليه بما يحصل لأوائل الأشعار مِنْ حذف، فحذف بعض الحروف مِنْ بعض الألفاظ "إنَّما يكثر حذف الأطراف والأوائل، وإنْ حذف متوسط فحذفه شاذ"[٣].

نلحظ أنَّ قول أبي العلاء: "إذا كان أولاً لم آمن عليه أنْ تدركه النائبة" يتضمن معنى يخالف حكمه حكم المنطوق، فحكم المنطوق هو نفي الأمان عن الصديق إذا ما كان في أول الرفقة أو آخرها، أي الأطراف، وهذا يستلزم مفهوماً مخالفاً لهذا الحكم، وهو أنَّه إذا كان في الوسط سيكون أكثر أمناً لبعده عن الخطر.

وتضمن النص مفهوماً آخر للمخالفة وهو قوله: "إنْ كان لك صديقاً في الجالية فوصهِ"، فهذا المنطوق يتضمن مفهوماً مخالفاً له في الحكم، والمفهوم هو: أنَّه إنْ لم يكن لك صديق فلا حاجة للوصية، وهنا جاء مفهوم المخالفة على سبيل الشرط، فمنطوق الشرط أثبت الوصية، ومفهومه رفعها.

حمَّلَ المعري خطابه السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: التنبيه على دور الاستشارة، وضرورة طلبها خصوصا إذا ما تعلقت بحفظ الأرواح والمصلحة العامة للمجتمع، كالتي هو في سبيل الحديث عنها (جفلة عزيز الدولة).

---

[١] الخرم: هو اسقاط أول متحرك من الوتد المجموع إذا كان الجزء صدر البيت، ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ٥٤٠.
[٢] رسالة الصاهل والشاحج: ٤٤١ – ٤٤٢.
[٣] نفسه: ٤٤٢.

المقصد الثاني: دعوة الجالية إلى التكاتف ووحدة الصف والتعاون فيما بينهم؛ فإنَّ ذلك كفيل بالعبور بهم إلى برِّ الأمان، وتجاوز خطر الغزو عليهم.

أمَّا الغرض الخطابي فهو تعليم ما ورد في النص مِنْ حدِّ "الخرم"، وبيان المعري رأيه فيه مِنْ أنَّه يصيب أطراف الأشعار، وأمَّا حذف وسطها فهو شاذ، وقد اعتمد في رأيه هذا على ما استقراه مِنْ أشعار العرب في الجاهلية والإسلام(١).

أمَّا غايته فهي التأثير' عن طريق إرشاد المتلقي إلى أنْ يكون عمله ،وتفكيره منطقيا حتى في أحلك الظروف، وأصعبها، فهو يريد مِنَ الجالية أنْ يكون سيرهم مرتباً ترتيباً منطقياً بحيث يصعب على العدو النفاذ إليهم.

ومِنْ مصاديق المخالفة قول أبي العلاء على لسان ابن القارح مخاطباً زهير بن أبي سلمى، قال: "أفأطلقت لك الخمر كغيرك من أصحاب الخلود؟ أم حرَّمت عليك مثلما حرّمت على (أعشى قيس)؟ فيقول (زهيرٌ): إنَّ (أخا بكرٍ) أدرك (محمّداً) فوجبت عليه الحجَّة؛ لأنّه بعث بتحريم الخمر، وحظر ما قبح من أمر، وهلكت أنا والخمر كغيرها من الأشياء، يشربها أتباع الأنبياء"(٢).

نلحظ أنَّ قوله: "أدرك (محمداً) فوجبت عليه الحجة" يتضمن ويستلزم مفهوماً مخالفاً بحكمه حكم المنطوق، فحكم المنطوق هو وجوب الحجة على مَنْ أدرك النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وليس هذا الحكم للمفهوم، فالمفهوم هو أنَّ مَنْ لم يدرك محمداً – صلى الله عليه وآله وسلم – لا حجة عليه، وكان قد أقرَّ هذا المعنى في القرآن الكريم مِنْ قبل، وذلك في قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا} [الإسراء: ١٥].

كما أنَّ قوله: "أم حرمت عليك مثلما حرمت على أعشى قيس"، يستلزم أنَّ (أعشى قيس) ليس مِنْ أهل الجنة، بدليل تحريم الخمر عليه وإباحته لهم، فلو لم يكن مخالفاً لهم في المصير لما خالفهم في حكم شرب الخمر.

(١) ينظر: رسالة الصاهل والشاحج: ٤٤٢ – ٤٤٥.
(٢) رسالة الغفران: ١٥.

وهنا استطاع المعري باستعماله الدلالة السكوتية (الموافقة والمخالفة) أنْ ينجز " خطابين في آنٍ واحد؛ لأنَّ المرسل إليه يفهم مِنَ الخطاب الأول ما يدل على خلافه"[1]، أو ما يوافقه في الحكم.

مِنَ المقاصد التي اشتمل عليها الخطاب السابق ما يأتي:

المقصد الأول: التأكيد على مسألة منطقية إسلامية وهي أنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله، فلا يحاسب الإنسان على عمله إلَّا بعد ما ينهى عنه ويُحذَّر.

المقصد الثاني: ذم واستنكار شرب الخمر، وبيان مصير مَنْ لم ينته عنه، بأنَّه سيكون مصيره جهنم خالداً فيها أبداً.

المقصد الثالث: تحذير المتلقي مِنْ عمل المنكرات.

والغرض مِنْ ذلك: الحث على ترك كل ما ساء مِنَ الأعمال، مما يتعارض والعقل، والشارع المقدس، لما لذلك مِنْ أثرٍ سيءٍ في تحديد المصير الذي لا طاقة للإنسان في تحمله، وترغيب المتلقي في العمل الصالح ؛لكونه السبيل الذي يأخذ بيد صاحبه إلى دار النعيم؛ ليصل المعري بذلك إلى غايته الخطابية وهي التأثير في المتلقي، الحقيقي/المحتمل، بما سبق مِنْ مقاصد خطابية سيقت على شكل مسلكين خطابيين هما: السرد والنظم، إذ جاء المسلكان متآزرين مع بعضهما في سبيل تحقيق المقاصد المشار إليها سابقاً.

[1] استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية: ٤٢٦.

المبحث الثاني

المسالك التأليفية

"المقصود بالتأليف هنا بناء النص سواء صغر حجمه ككتابة الرسالة، أم كبر ككتابة مسرحية أو كتاب . ومع أننا لا نجد في المعاجم ما يخبرنا بأنَّ معنى التأليف وضعاً يختلف عن معنى النظم، بيد أنَّ الاستعمال يجعل كلمة (تأليف) أنسب لبناء النص مِنْ كلمة (نظم)، ولذلك استعملنا (النظم) لبناء الجملة و(التأليف) لبناء النص"[١].

و"تعد (كفاية التأليف) أرقى أنواع الكفايات التخاطبية؛ لأنَّ اكتسابها لا ينحصر في التمكن مِنَ معرفة العناصر المعجمية ،والقواعدية، والبلاغية ،والأسلوبية للغة المستعملة، بل يشمل أيضاً مهارات منطقية ومنهجية عليا يحتاج تعلمها عادة إلى تعليم مدرسي... ومِن ثم فإنَّ مسلك التأليف هو مسلك خطابي خاص بمَنْ يأنسون في أنفسهم الكفاية في بناء النص"[٢].

ويشتمل هذا المبحث (المسالك التأليفية) على محورين:

المحور الأول: ونتناول فيه الشروط التي ينبغي توفرها في قطعة مِنَ النثر حتى تكتسب سمة (النصية)، أما المحور الثاني : فنتناول فيه أنواع المسالك التأليفية.

أولاً: "إنَّ الحد الأدنى الذي يعطي لقطعة مِنَ النثر سمة (النصية) تتطلب توفر شرطين في الأقل:

١- التنظيم: ويتحقق بما يشتمل عليه النص مِن تقسيم وتفريع، وهو أمر يختلف باختلاف نوع النصوص وحجمها، فالكتاب – مثلاً – يقسم عادة إلى فصول (أو أبواب وفصول)، ثم تقسم الفصول إلى مباحث والمباحث إلى فقرات أمَّا المقالات، فيكتفي فيها عادة بمقدمة وخاتمة ووسط"[٣].
٢- "الاتساق والتماسك: يحتل اتساق النص وانسجامه موقعاً مركزياً في الأبحاث ،والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب... والاتساق هو ذلك التماسك

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١١٧.
[٢] نفسه: ١١٧.
[٣] نفسه: ١١٨.

الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص/خطاب ما"[١]، أو هو "الترتيب الذي يأخذه النص في بنيته الداخلية العميقة، وهو يختلف باختلاف نوعه، فقد يكون الترتيب زمانياً ينتقل فيه مِنَ الحدث الأقدم إلى الأحدث، أو منطقياً تتسلسل فيه المقدمات لتقود إلى نتائج مناسبة"[٢]، والتماسك هو أحد معايير (دي بوجراند) النصية، وهي: "السبك، والالتحام، والقصد، ورعاية الموقف، والقبول، والتناص، والإعلامية"[٣].

وأعني به (الالتحام)، وهو "الطريقة التي تتسم بها ربط التراكيب على مستوى البنية العميقة للنص، التي ربما لا تظهر على مستوى السطح"[٤].

أمَّا (التماسك) فهو "الربط العضوي بين أجزاء النص على نحوٍ تبدو فيه تلك الأجزاء متوقفة بعضها على بعض كالبنية الواحدة أو العضو الواحد"[٥]، ويعرف (التماسك) عند (دي بوجراند) بـــ (السبك) وهو "الكيفية التي يتم بها ربط العناصر اللغوية على مستوى البنية السطحية بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق"[٦]، وقدم بعض الباحثين "مفهوم الانسجام بديلاً لمفهوم الاتساق على أساس أنَّ الانسجام يكون في الذهن ولا يكون في الخطاب... وميز بين نوعين مِنَ الانسجام: انسجام إحالي يعتمد على أدوات الربط الإحالي، وعلى العلاقات الإحالية بين الجمل، وانسجام علاقي يعتمد على أدوات الربط النسقي وعلى العلاقات المعنوية بين الجمل"[٧]، في حين يرى محمد خطابي أنَّ "الانسجام أعم مِنَ الاتساق ،كما أنه يغدو أعمق منه منه ،بحيث يتطلب بناء الإنسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده... بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلاً (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن (الانسجام)"[٨].

---

[١] لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٥.
[٢] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١١٨ – ١١٩.
[٣] النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ – ١٠٥.
[٤] لسانيات النص، ليندة قياس: ٢٣، وينظر: البلاغة العربية والأسلوبيات: سعد مصلوح: ٢٢٧.
[٥] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١١٩.
[٦] لسانيات النص، ليندة قياس: ٢٢، وينظر: البلاغة العربية والأسلوبيات: ٢٢٨.
[٧] مبدأ الانسجام: شوقي البوعناني: ١٢٣.
[٨] لسانيات النص ، محمد خطابي : ٥ – ٦.

ومِنَ الباحثين مَنْ جمع بين مفهومي (السبك) و(الحبك) تحت مصطلح (التماسك)، ومِنْ أوائل أولئك، إبراهيم الفقي، فعرَّف التماسك النصي "بأنَّه العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة مِنْ ناحية أخرى"[١].

"يتضح مما سبق إذن أنَّ التماسك النصي ذو طبيعة دلالية مِنْ ناحية، وذو طبيعة خطية مِنْ ناحية أخرى، وأنَّ الطبيعتين تتظافران معاً لتحقيق التماسك الكلي للنص"[٢].

وسوف نقف على أهم أدوات التماسك ،والاتساق، ووسائلهما التي استعملها المعري ليحقق بذلك نصوصاً متماسكة الشكل متسقة المضمون؛ ليبلغ بذلك مقاصده ،وغاياته الخطابية.

أ : التماسك النحوي:

١-الإحالة:

"يقصد بها وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها مِنْ حيث التأويل؛ إذ لابدَّ مِنَ العودة إلى ما تشير إليه مِنْ أجل تأويلها. وتسمى تلك العناصر عناصر محلية، وهي : الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، فهذه الكلمات تعود إلى عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى مِنَ النص"[٣]، والإحالة عند (دي بوجراند) "هي العلاقة بين العبارات، والأشياء، والأشياء، والأحداث، والمواقف في العالم الذي يُدل عليه بالعبارات"[٤].

"وتتعلق دلالة (العناصر الإشارية) بالمقام الإشاري؛ لأنَّها غير ذات معنى، ما لم يتعين ما تشير إليه، فهي أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر، وهي تقوم بوظيفة تعويض الأسماء وتتخذ محتوى ما تشير إليه"[٥]، و"تقوم الإحالة بوظيفة الربط بين الكلمات في في النص. وما يميز هذا النوع مِنَ الإحالة هو خضوعها لقيود دلالية مِنْ خلال"[٦]، "وجوب

---

[١] علم اللغة النصي: ٩٦/١.
[٢] نفسه: ٩٨/١.
[٣] نظرية علم النص: حسام أحمد: ٨٣.
[٤] النص والخطاب والأجزاء: ٣٢٠.
[٥] نسيج النص: ١١٦.
[٦] لسانيات النص، ليندة قياس: ٩٨.

تطابق الخصائص الدلالية بين المحيل والعنصر المحال"[١]، "وتنقسم الإحالة على نوعين رئيسين: الإحالة المقامية، والإحالة النصية. وتتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية، وإحالة بعدية"[٢].

وسنبين في المثال الآتي ما للإحالة مِنْ أثر في تماسك الكلام ،واتساقه.

قال أبو العلاء: "وربما كان ابن أخدر في غداة قد بعُد بها عن الأذاة، حتى إذا العطش حرَّقه وأمره بالمورد ليطرقه، ورد آملاً برد الماء يطفئ به ما استعر من لهب الإظماء. وقد سبقه إلى الشريعة أخو قوسٍ ما يلتمس بها من أوس. بصُر بها في المنبت وكأنَّها حظوة نبال، فوقعت الحظوة بها في البال، فجعل يتعهدها على انفراد، ويحمل إليها رياً في الشعوب ليصل بها إلى المراد"[٣].

يورد المعري هذا النص على لسان الصاهل "تأسية للشاحج على ما يلقاه في دأبه مِنْ أين"[٤]على يد الإنسان، فيصور النص هنا كيف أنَّ حمار الوحش يهرب إلى ما بَعُدَ مِنَ الأرض؛ ليأمن مِنْ قتل الإنسان ، لكنه سرعان ما يحرقه الظمأ؛ فيذهب للورد فإذا بالصائد قد كمن له عند الشريعة، فيرميه بسهمٍ، ثم يتعقبه آملاً ملئ مزادته، ليرجع بها إلى أطفاله الذين فني قوتهم.

نلحظ في النص السابق أنَّ العناصر الإحالية (الضمائر) بنوعيها الظاهرة والمستترة، لها أثر بارز في تشكيل نسيج النص، حيث ساهمت الإحالات الضميرية بأنواعها في الربط بين أجزاء النص؛ فجعلته متماسكاً متسقاً.

وتعد الضمائر "العصب الرئيس الساري في بناء النص؛ ومِنْ خلاله يتبدى تماسكه، وبها ومِنْ خلالها أيضاً يمكن تلقيه، وبدونها يغدو النص مفككاً، فالضمائر تقوم بدور الربط بين أجزاء النص بشكل عام"[٥].

---

[١] لسانيات النص، محمد خطابي: ١٧.
[٢] نفسه: ١٧.
[٣] رسالة الصاهل والشاحج: ١٣٥ – ١٣٦.
[٤] نفسه: ١٥٢.
[٥] التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء: ٩٠.

والضمائر في النص السابق أحال بعضها إلى عنصر سابق (قبلية)، وبعضها الآخر إلى عنصر لاحق (بعدية)، أنَّها تنوعت بين الضمائر المتصلة والمنفصلة. فكل تلك الأنواع مِنَ الإحالات الضميرية تضافرت لتعطي للنص سمة التماسك، والاتساق.

ويمكن أن نوضح ما سبق مِنْ أنواع الإحالة، ودورها في تماسك النص ،واتساقه بالجدول الآتي:

نوع الضمير	ضمير الإحالة	العناصر المحيلة	المحال عليها	نوع الإحالة
١- الضمائر	هو	بَعُدَ	ابن أخدر	قبلية
المستترة وعددها	هو	ورد	ابن أخدر	قبلية
(٨)	هو	يطفئ	ابن أخدر	قبلية
	هو	يلتمس	أخو قوس	قبلية
	هو	بَصُر	أخو قوس	قبلية
	هو	فجعل	أخو قوس	قبلية
	هو	يحمل	أخو قوس	قبلية
	هو	يصل	أخو قوس	قبلية
٢- الضمائر المتصلة	الهاء	بها	عداة	قبلية
وعددها (١٣)	الهاء	حرَّقه	ابن أخدر	قبلية
	الهاء	أمره	ابن اخدر	قبلية
	الهاء	يطرقه	ابن اخدر	قبلية
	الهاء	به	برد الماء	قبلية
	الهاء	سبقه	ابن اخدر	قبلية
	الهاء	يلتمس بها	القوس	قبلية
	الهاء	بصرر بها	القوس	قبلية
	الهاء	وكأنَّها	القوس	قبلية
	الهاء	يتعهدها	الحظوة	قبلية
	الهاء	إليها	الحظوة	قبلية
	الهاء	بها	الحظوة	قبيلة

نلحظ في الجدول السابق أنَّ الضمير (الهاء) المتصل كان له الحظ الأوفر في ربط أجزاء النص وعناصره، مما أدى إلى تماسكه شكلياً، واتساقه دلالياً، فقد تكرر ثلاث عشرة مرةً، وضمير التاء فقط أحال إلى عنصر بعدي، في حين أحالت الضمائر الأخرى التي بلغ عددها عشرين عنصراً، إحالة قبلية داخلية (داخل النص)، بدى مِنْ خلالها النص كوحدة واحدة متماسكة الأجزاء متسقة المعنى.

لعل أهم ما يلحظ في النص السابق هو غياب الضمائر المنفصلة، فلم نجدها في النص على كثرة الضمائر المستترة والمتصلة، وهذا الأمر يؤكد ويعضد ما ذهبنا إليه مِنْ وسم النص بالتماسك والاتساق، فغياب ضمائر الفصل يزيد النص تماسكاً واتساقاً.

أراد المعري بذلك أنْ يظهر مبالغة الإنسان في ظلمه للحيوانات بأصنافها كلها، أليفها ووحشيها، القريبة منه والبعيدة على حد سواء، فهو يلاحقها بالأذاة أنى لقيها، حتى في موارد ينبغي أن تغلب الرحمة فيها على غيرها مِنَ القتل والصيد، كورود الحيوان إلى الماء، لكن الإنسان لا يتورع عن ذلك، ويفعل كل ما ترشده إليه غريزته، وليس إلى ما ينهى عنه العقل، أو يرشد إليه من مجيب، وهذا ما أراده المعري مِنْ قصدٍ.

أمَّا الأغراض فهي تقبيح ظلم الحيوانات وإنكاره، والدعوة إلى الرفق بها، وهذا ما عُرِفَ عن أبي العلاء، فقد مكث أكثر مِنْ خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديناً، ولا ما تولد مِنَ الحيوان رحمةً وتخوفاً مِنْ إزهاق النفوس[1].

أمَّا غايته الخطابية فهي تأسية الجالية على ما يلقونه مِنْ أين أثناء جفلتهم مِنْ غزو الروم، فأراد تأسيتهم بدعوتهم إلى التصبر والوحدة والمساعدة فيما بينهم لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمراً.

نلحظ مما سبق أنَّ الإحالة أسهمت في بيان الغاية الخطابية وتحقيقها (تأسية الجالية) بالإحالة الخارجية (إحالة خارج النص) وهي ذكره بعض المظالم التي ليست أقل مما تعرضت له الجالية مِنْ ظلم، وبإيراد بعض المظالم وذكرها يكون قد قلل مِنْ وطأة ما وقع على الجالية مِنْ ظلم وأين، فذكر مظالم الآخر الأشد والأكثر هولاً تُخففُ مِنْ شدة مظلمة السامع.

---

[1] أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري : ٣٨ .

ومِنْ مصاديق الإحالة قول أبي العلاء: "وقد بلغني أنّ رجلاً (بالبصرة) يُعرف (بشاباس)، تزعم جماعة كثيرة أنَّه ربُّ العزّة، وتجبى إليه الأموال الجمّة، ويحمل إلى السّلطان منها قسماً وافراً، ليكون بما طلب ظافراً، وهو إذا كشف، ساقط لاقط، يبذه إلى الفضل الماقط، والماقط الذي يكرى من بلدٍ إلى بلد. وحدِّثت أنّ امرأة (بالكوفة) يدعى لها مثل ذلك"[١].

يذكر المعري في النص السابق بعض الأباطيل، ودعاوى الضلال مِنَ الأساطير التي يعتقد بها بعض الناس، يذكرها على سبيل التهكم، والاستهزاء ،والسخرية بمَنْ يعتقد بها؛ وذلك لأنَّها مِنَ الأمور التي لا ينبغي أنْ يركن إليها الإنسان العاقل بصورة عامة، والمؤمن بصورة خاصة ؛لأنَّ الشرك مِنْ أشد ما نهى الله تعالى الإنسان عنه، قال تعالى: {وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨]، فضلاً عن تقبيح العقل وإنكاره لفعل الشرك.

نجد الإحالة في النص السابق قد جاءت باسم الإشارة (ذلك)، واسم الإشارة (ذلك) قد جاء بدلاً من الكلام السابق له، فأحال إحالة داخلية قبلية لنص سابق عليه مباشرة، مما أسهم ذلك بوضوح في ربط أجزاء النص دون إعادته مرة أخرى، فضلاً عن إفادة الإحالة إيجاز النص، والتخلص مِنَ الإسهاب بالتكرار، الذي يؤدي إلى شعور المتلقي بالملل، ولذلك "عملت الإحالة الإشارية التي برزتْ على مستوى النص العلائي على ربط أول خيط لهذا النص بأخره، كما أسهمت أيضاً في تعيين المشار إليه مِنْ خلال النظر في البنية الأفقية لنص أبي العلاء فحققت بذلك صفة اختزال النص واختصاره"[٢].

أراد المعري بالنص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: ذم الشرك بالله وتقبيحه.

المقصد الثاني: إنكار الاعتقاد بالخرافات وتصديق قائليها، فضلاً عمَّا يدخل في حقل الشرك والضلال منها.

---

[١] رسالة الغفران: ٤٩٤.
[٢] لسانيات النص بين النظرية والتطبيق: ١١٩.

المقصد الثالث: ذم وقوف الحاكم إلى جانب الضلال وأهله لمصالح دنيوية وشخصية وإنكاره، ومساعدته أهل البدع والمنافقين دون ردعهم والوقوف بوجههم، وإنهاء ما يقومون به مِنْ تضليل الناس وحرفهم عن الصواب.

المقصد الرابع: ذم النفاق وأهله وتقبيحه، وذلك بأن يظهر الإنسان بوجه الإحسان والصلاح وهو خلاف ذلك.

المقصد الخامس: إظهار انتشار البدع، والخرافات ،والأساطير في ذلك العصر، وأنَّ لها سوقاً ليس للحقيقة مثله.

أمَّا الأغراض الخطابية التي أراد المعري إيصالها إلى متلقيه فهي النصيحة ،والتوجيه والإرشاد، وذلك بتوحيد الله تعالى والإيمان به، ونبذ الأساطير والخرافات.

أمَّا الغاية فهي التأثير في المتلقي بتنفيره مِنَ الشرك، ولذلك لم يكرر ما قاله تشريفاً للسان مِنْ ذكره، وبهذا تكون الإحالة قد ساهمت في تحقيق الغاية مساهمة فاعلة.

٢-الوصل

وهو (العطف) عند النحويين، قال ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ): " والغرضُ من عطف الجمل رَبْطُ بعضها ببعضٍ، واتصالُها، والإيذانُ بأنّ المتكلم لم يُرِد قَطْعَ الجملة الثانية من الأُولى، والأَخْذَ في جملةٍ أخرى ليست من الأُولى في شيءٍ. وذلك إذا كانت الجملةُ الثانيةُ أجنبيّةٌ من الأولى غير ملتبِسة بها، وأُريد اتّصالُها بها، فلم يكن بدٌّ من الواو لرَبْطها بها"[١].

والمعنى نفسه عند البلاغيين، فالوصل عندهم "عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه"[٢].

وفي النظرية اللسانية الحديثة يُعدُّ الوصل مِنْ أدوات التماسك النصي ذات الأهمية الكبيرة، وهو عند هؤلاء: "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[٣]، "فإذا كان إعادة اللفظ والإحالة المشتركة والحذف تحافظ على بقاء مساحات المعلومات فإنَّ

---

[١] شرح المفصل: ٢٧٨/٢.
[٢] الإيضاح: ٩٧/٣.
[٣] لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٣.

الربط (الوصل) يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء في هذه المساحات"[١]، وعند الزناد أنَّ "كل جملتين متتاليتين في النص ثانيهما تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط"[٢].

وركز الباحثان (هالداي، ورقية حسن) على أربعة أنواع مِنَ الوصل، وهي[٣]:

١- الوصل الإضافي: ويتم الربط بواسطة الأداتين (واو)، (أو)، وعلاقات التماثل وغيرها...

٢- الوصل العكسي: الذي يعني على عكس ما هو متوقع، ويتم بواسطة أدوات منها: (bat, yet).

٣- الوصل السببي: وتندرج ضمنه علاقات خاصة بين الجمل كالنتيجة والسبب.

٤- الوصل الزمني: وهو علاقة بين إطروحتي جملتين متتابعتين زمنياً.

ويمكن أنْ نبين وظيفة (الوصل) وأهميتها في تماسك النصوص بقول أبي العلاء: "أصف وكلّ وصفي صحيحٌ، وأحلف وحلفي تسبيح. حتى استجهلني الذي لا يعلم، وتكلم في تظليلي مَنْ تكلم؛ لأنَّي ما اقتنعت بتفضيله على الأحداث، دون سكان الأجداث، ولا غلَّبته على الغابر دون الكابر"[٤].

يبين المعري في النص أعلاه ما تعرض له مِنْ اتهام بعض الحاسدين والحاقدين إياه بالظلالة والكفر؛ لأنَّه لم يوافق ما يريدون، فهو يصفهم هنا بالجهل؛ لأنَّهم لم يفهموا كلامه، وأوَّلوه على غير وجهه الذي أراده ، فوصف قولهم هذا عليه بالكذب: "إنِّي لمكذوبٌ عليه كما كذبت العرب على الغول؛ وإنَّها عمّا يؤثر لفي شغول"[٥]، فكان كلّ همه أنْ يبين للناس، وخاصة أهل القرار الذين يسألون عن حاله أنَّه رجل مكذوب عليه، ولا صحة لما يتداوله الناس مِنْ أقوال الخصوم، الذين أكد في غير مرة أنَّه محسود منهم[٦].

---

[١] النص والخطاب والإجراء: ٣٤٦.
[٢] نسيج النص: ٥٧.
[٣] لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٣ – ٢٤.
[٤] رسائل أبي العلاء المعري : ٥٠ -٥١.
[٥] رسالة الغفران، ٣٨٩.
[٦] الظاهرة الدينية في نثر المعري، محمد حليم: ٦.

أسهمت أداة الوصل (الواو) في نص أبي العلاء السابق "في نسج الخيوط التي يتوصل بها الفكر إلى تنظيم العناصر المكونة للنص"[١]، حيث حققت هذه الأداة (الواو) التي تكررت خمس مرات، استمرارية النص، وربط أجزائه ببعضها، والامتداد المتلاحم لعناصره؛ "لذا نجد أنَّ عناصر النص وجمله قد ارتبط فيها السابق باللاحق مِنْ خلال حرف العطف (الواو)، وأنَّ أفعاله اتسقت دلالياً"[٢]، كما أنَّ للعلاقة السببية بين بعض الجمل أثرا واضحا في تماسك النص واتساقه، "وهذه العلاقة مِنَ العلاقات التي تعطي معقولية لكيفية تتابع قضايا النص وتسمها دائماً بسمة المنطقية، ووجودها يؤدي إلى قوة البناء المنطقي للنص"[٣]، فقول أبي العلاء: "تكلم في تظليلي من تكلم؛ لأنِّي ما اقتنعت بتفضيله"، نجد أنَّ الجملتين متماسكتان؛ لوجود السببية بينهما، فلما كانت الجملة الثانية سبباً للأولى، جعلت هذه العلاقة المنطقية بين الجمل تماسكاً وانسجاماً تاماً.

مِنَ المقاصد التي أراد المعري بيانها بالنص السابق ما يأتي:

المقصد الأول: التأكيد على ضرورة فهم أقواله فهماً صحيحاً، لا يبعد عمّا وضع لأجله القول.

المقصد الثاني: إنكار أقوال الذين (لا يعلمون) مِنَ المشككين بعقيدته والحاسدين له والكاذبين عليه، ومن ثَمَّ هو ينكر التشكيك بعقائد الآخرين، ورميهم بما ليس فيهم مِنَ الصفات، ووصفه مَنْ يقوم بهذا العمل بأنَّه مِنَ الجاهلين.

أمَّا الغرض الخطابي مِنْ ذلك فهو الردُّ على الكاذبين عليه، وتبرئة نفسه مما ألحقه بها الذين لا يعلمون.

أمّا القصد الغائي الذي أراده المعري هو "توضيح مدى معاناته مِنَ الحاسدين والمتقولين عليه، كما أنَّه يوضح مدى الخوف الذي يعتريه، فدأب يوضح تلك المعاناة خاصة، في رسائله للقادة والولاة؛ لكي يسلم مِنَ الظن الذي أحاط به مِنَ الجهات كلها"[٤].

---

[١] لسانيات النص، ليندة قياس: ١١٦.
[٢] نفسه: ١١٦.
[٣] نظرية علم النص: ١٤٣.
[٤] الظاهرة الدينية في نثر المعري: ٦.

لقد أسهم الوصل في بيان المقاصد الخطابية التي أراد المعري إيصالها إلى متلقيه، وهي التأكيد على إنكار ما يرميه به الناس كالتشكيك بعقيدته، ورميه بالكذب، وحسدهم له، وبيان مدى استيائه مِنْ تلك الدعاوى الباطلة؛ لذا نجده يذكر ذلك في غير رسالة[١]، إشارة منه لشدة استيائه وإنكاره لتلك التهم.

فعطف الجمل على بعضها ووصلها ببعض يزيد مِنْ معنى التأكيد على إنكاره لتلك التهم، والمداومة في رفضها، والرد على قائليها في كل مناسبة تقتضي ذلك.

٣-الاستبدال:

"هو عملية تتم داخل النص، إنَّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[٢]، و"يعمل الاستبدال على مد/ توسيع السيطرة الدلالية لجملة ما بالنسبة للجملة الثانية، كما أنَّه وسيلة مِنْ الوسائل التي يستخدمها الكاتب لتجنب تكرار نفس التعبير، أو هو وسيلة مِنْ وسائل الاقتصاد في الاستخدام، حيث تسمح لمستخدمي اللغة بحفظ المعنى مستمراً في الذاكرة النشطة دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى"[٣].

"ويعد الاستبدال، شأنه في ذلك شأن الإحالة، علاقة اتساق إلَّا أنَّه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي – المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، ويعتبر الاستبدال، مِنْ جهة أخرى عملية داخل النص، على أنَّ معظم حالات الاستبدال النصي قبلية... لذلك يعد الاستبدال مصدراً أساسياً مِنْ مصادر اتساق النص"[٤].

ويُقسم الاستبدال على ثلاثة أنواع[٥]:

١- استبدال اسمي: ويتم باستعمال عناصر لغوية اسمية مثل (آخر، آخرون، نفس).

٢- استبدال فعلي: ويمثله استعمال الفعل (يفعل).

---

[١] ينظر: رسالة الغفران: ٣٨٩، رسائل المعري: ٥٠ – ٥١.
[٢] لسانيات النص، محمد خطابي: ١٩.
[٣] علم لغة النص، عزة شبل: ١١٤.
[٤] لسانيات النص، محمد خطابي: ١٩، وينظر: نحو النص، أحمد عفيفي: ١٢٢ – ١٢٣.
[٥] نحو النص: ١٢٣ – ١٢٤.

٣- استبدال قولي: ويتم باستعمال (ذلك، لا).

ويمكن أنْ نوضح ما سبق مِنْ أثر الاستبدال في تماسك النصوص، مِنْ المثال الآتي:

قال أبو العلاء: "وأمَّا أقراني فأولئك حملة عصيّ، يجلسون بالمكان القصيّ، فإنْ أخطأت ذلك، فقرني ضلٍّ بن ضلّ أو هيٌّ بن بيّ وكلاهما ليس بشيء"(١).

يعتذر المعري مِنْ مخاطبه؛ لأنَّه وضع نفسه بمكاتبته في منزلة لا يتأهل معها أنْ يخاطب المُرسَل إليه، فالمعري يرى أنَّ المكاتبة ينبغي أنْ تكون بين الأكفاء، ولا يحسن تبادلها إلَّا بين النظراء، وضرب لتأكيد رأيه هذا، وبيان منزلته الوضيعة مع منزلة مُخاطَبه السامية حكايتين:

الأولى: تهنئة الفأرُ الأسدَ بصيده بعدما انعقدت ألسنة الوحوش عن تهنئته خوفاً ورهبة؛ فغضب الأسد لجرأة الفأر وأمر هرّ بجانبه أنْ ينزل به الأذية والشر.

والحكاية الثانية: تهنئة العصفور أحد جوارح الطير العظيمة بعد أنْ جاء بصيدٍ لفراخه، فقاطعه الجارح وعمد إلى تجريحه، وأشار إلى بازٍ بأنْ يختطفه ويترك أفراخه يتامى"(٢).

فالمعري في النص السابق ينكر مع إنكاره ذاته أنْ يكون له أقران يدانون ممدوحه في مرتبة السنية، فقال: "وأمَّا أقراني فحملة عصيّ"(٣).

فأقرانه ضعفاء لا يقوون على الحركة إلَّا بالتوسل بعصيَّهم، وليس لهم مكان مع أشراف القوم، بل مع العبيد في المكان القصيّ، فهو يخشى مِنْ مخاطَبه أنْ يلحقه بمصير الفأر والعصفور؛ لأنَّه يرى في مخاطَبه سمات الأسد والجارح العظيم، ولا يرى في نفسه إلَّا كمنزلة الفأر أو العصفور، الذين فعلا المحظور فأُخِذا به.

نجد في النص السابق أنَّ الاستبدال (القولي) ساهم بشكل فعّال في اتساق النص ،واستمراره، وتواصله في ذاكرة القارئ دون الحاجة إلى إعادة التصريح بالقول السابق مرة

(١) رسالة الهناء: ٨٢.
(٢) نفسه: ٨٠- ٨١
(٣) نفسه: ٥٢.

أخرى، فقوله: "أخطأت ذلك" فالعنصر (ذلك) يحيل إلى المثالين الذين ضربهما لتأييد قوله: أنَّ المراسلة ينبغي أنْ تقع بين الأكفاء، فكلمة (ذلك) جاءت بدلاً مِنْ قوله "فإنْ أخطأت مكاني هذا وعدوت منزلتي وتجاوزت قدري كما فعل الفأر والعصفور، فما أجدرني أنْ ألقى مِنْ سوء الجزاء مثل ما لقيا"[١].

فالاستبدال هنا أفاد تحقيق إيجاز النص وتماسك أجزائه، واتساق معناه.

يقصد المرسِل تعظيم شأن مَنْ كتب إليه، والاعتراف بإنكار ذاته ونظرائه مقابل مخاطَبه، فالمعري لا يجد كفؤاً لمخاطَبه إلَّا (سهل بن هارون)، لذا هو يطلب الصفح ممن كاتبه؛ لأنَّه بمراسلته مَنْ هو أعلى شأناً وأرفع مقاماً، قد فعل المحظور.

والغرض مِنْ ذلك مدح المرسَل إليه والثناء عليه، فهو لعظم سنيته لا نظير له في أبناء عصره، وبذلك يؤكد المعري على حفظ المقامات والألقاب والمسميات بين المتخاطبين.

أمَّا مقصده الغائي فهو بيان المعري منزلته بين أبناء عصره عامة والعظماء خاصة، فلو لم تكن للمعري منزلة رفيعة وشأن عظيم لما أبيح له مكاتبة كبراء عصره. فالمعري " وإنْ لم يبلغ شأناً في السياسة رفيعاً كمخاطَبه، إلَّا أنَّ شأنه الثقافي وصورته الاجتماعية لا يرقى إليها الشك"[٢].

نلحظ مما سبق أنَّ الاستبدال قد أسهم بشكل فاعل في بيان قصد المعري ،وغايته مِنْ الخطاب، وذلك بما تضمنه الاستبدال مِنْ معنى تعظيم المخاطَب، وتصغير المرسِل نفسه أمام مخاطَبه، فالمعري يرى أنَّ مخاطبه لا نظير له في أبناء عصره؛ ولذا فهو يقلل مِنْ قيمته أمامه؛ لأنَّه يراه أعظم مِنه منزلة وأرفع درجة، فلما كان المخاطَب بهذه المنزلة الرفيعة؛ تحاشى المعري ذكر نفسه أو أحد مِنْ أقرانه أمام مخاطَبه للمبالغة في تعظيم المتلقي والإسراف في تواضع المرسِل؛لأنه لم يذكر نفسه أو أحد أقرانه، أمام متلقيه وإنَّما أشار إليهم تعظيماً للمذكور (المخاطَب).

---

[١] رسالة الهناء: ٨٥.
[٢] شعرية الرسالة الإخوانية، أحمد السماوي: ٦.

٤-الحذف:

"يمكن حذف كلمة أو عبارة في بعض السياقات بدلاً مِنْ تكرارها، فترد البنية بتمامها ... هذه الوسيلة تسمى الحذف"[١]، و"الحذف علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أنْ الحذف علاقة قبلية، والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلَّا يكون الأول استبدال بالصفر، أي أنَّ علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً"[٢]، "ولا يتم الحذف إلَّا إذا كان الباقي في بناء الجملة مغنياً في الدلالة كافياً في أداء المعنى"[٣]، "ويعد الحذف واحداً مِنَ العوامل التي تحقق التماسك النصي"[٤]، ومِنْ أنماط الحذف "الحرف، الكلمة ثم العبارة، ثم الجملة ثم الأكثر مِنْ جملة"[٥].

ومِنْ مصاديق الحذف في رسائل أبي العلاء قول أبي العلاء: "وبلغ وليّه السلام الذي لو مرَّ بسلمةٍ وارية لغدقت، أو سلَمة[٦] عارية لأورقت، فحمل فؤادي مِنَ الطرب على روق اليعفور[٧]، بل فوق جناح العصفور، فكأنَّما رفعني الفَلَكُ أو ناجاني الملك"[٨].

يمدح المعري متلقيه (أبا القاسم المغربي) واصفاً إياه بالذكاء وغزارة العلم والأدب: "إنْ كان للآداب – أطال الله بقاء سيدنا – نسيم يتضوع، وللذكاء نار تشرق وتلمع فقد فخمنا على بعد الدار أرج أدبه، ومحا الليل عنا ذكاؤه بتلهبه"[٩]، ثمّ إنَّه يبين مكانة متلقيه عنده، وافصح عن سعادته عند لقائه.

وجاء الحذف في النص السابق بحذف العناصر الآتية: (مرَّ، حمل، والضمير (الهاء) العائد على الفؤاد، كأنَّما)، وأصل النص (لو مرَّ بسلَمة وارية لغدقت، أو مرَّ بسلِمة عارية لأورقت، فحمل فؤادي مِنَ الطرب على روق اليعفور، بل حمله فوق جناح العصفور، فكأنَّما

---

(١) علم لغة النص، عزة شبل: ١١٥.
(٢) لسانيات النص، محمد خطابي: ٢١.
(٣) نحو النص: ١٢٤.
(٤) علم اللغة النصي: ١٩٢/٢.
(٥) نفسه: ١٩٢/٢.
(٦) السلِمة: الحجارة. والسلَمة: ضرب مِن دق الشجر، العين: ٢٦٥/٧.
(٧) روق: قرن. واليعفور: الظبي أو ولد البقرة الوحشية، تهذيب اللغة: ٢١٢/٢، وينظر: جمهرة اللغة: ١٣٣٠/٣.
(٨) رسائل أبي العلاء المعري: ٢٨ – ٢٩.
(٩) نفسه: ٢٦.

رفعني الفلك، أو كأنَّما ناجاني الملك)، وإنَّما حُذفت تلك العناصر لذكرها في الجمل التي قبلها، فبدا الحذف في النص السابق أكثر وضوحاً؛ لخلو البنى اللاحقة مِنَ العناصر المحذوفة[١] .

لقد أدى الحذف في النص السابق وظيفة السبك؛ إذ حقق استمرارية النص على الرغم مِنْ عدم تكرار اللفظ، "وإذا كان المحذوف مع وجود الدليل عليه كالمذكور، فإنَّه يطبق عليه مثل الذي يطبق على النص الكامل العناصر"[٢].

أراد المعري بالنص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: تعظيم المتلقي، وذلك بعدما صرح المعري بتواضعه أمامه، فهو منه "كالماء تحت السماء، وموقع السيل مِنْ مطلع سهيل"[٣].

المقصد الثاني: إنَّ المتلقي أديبٌ وذو علم غزير، وذكاء حاد.

المقصد الثالث: التعبير عن حبه للعلم، والأدب، وأهلهما.

والغرض الخطابي هو المدح، وذلك بعدما فضل متلقيه على نفسه في المكانة، والعلم ،والأدب، والذكاء، وتواضع له.

أمَّا غايته فهي الإفصاح؛ إذ أفصح المعري عن سعادته بلقاء متلقيه، ومودته له، لما عرف به مِنَ الذكاء الحاد والعلم الغزير.

لقد أسهم (الحذف) في تحقيق المقاصد الخطابية، وذلك بعدما أقرَّ المعري لمتلقيه بالعلم الغزير، والأدب ،والذكاء، وعامله معاملة العلماء العارفين بقواعد اللغة، وأصولها، القادرين على ردِّ المحذوف منها، المدركين لمقاصد المتكلم بها، فبعدما صرَّح له بذلك، أوجز له الخطاب؛ "لأنَّ الكاتب يقوم بالحذف عندما يدرك أنَّ قارئه سيدرك المحذوف ولن تعوقه عملية الحذف عن القراءة، بحيث يتواجد المحذوف مفهومياً في الكلام، وإنْ كان غير موجود لفظاً،

---

[١] ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج : ٨٨.
[٢] نفسه: ٨٩.
[٣] رسائل أبي العلاء المعري : ٥٤ .

فيسهم التواجد المفهومي في استمراره كعنصر فاعل دلالياً، ويسهم الحذف اللفظي في خلق السرعة القرائية"[١].

وأسهم الحذف في تحقيق الغاية الخطابية، وهي سعادة المرسِل بلقاء متلقيه؛ وذلك لأنَّ الحذف ينسجم وشعور المرسِل نفسياً؛ لأنَّ مَنْ غمرته السعادة أوجز في التعبير عما يريد بأقل الألفاظ.

ب : الاتساق المعجمي

"يقصد بالاتساق المعجمي: العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية، وهي علاقة معجمية خالصة لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها، وعناصر السبك أو الاتساق المعجمي هي[٢]:

١- التكرار:

"ويتمثل في تكرار لفظ أو عدد مِنَ الألفاظ في بداية كل جملة مِنْ جمل النص قصد التأكيد"[٣]، و"التعبير المتكرر يبقى على نفس المرجع وهذا يعني أنَّه يستمر بالإشارة إلى الكيان ذاته في عالم النص، وعندئذ يتدعم ثبات النص بواسطة هذا الاستمرار الواضح. فيخلق تعد التكرار أساساً مشتركاً بين الجمل مما يسهم في وحدة النص وتماسكه"[٤].

و"التكرار زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة، فإنَّه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما مِنْ بداية النص حتى آخره، وهذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص، مع مساعدة عوامل التماسك النصي الأخرى"[٥]، وحتى "يوظف التكرار مِنْ أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص. يشترط لتحقيق هذه الوظيفة شرطا أساسيا، وهو أنْ

---

[١] نظرية علم النص: ٨٩.
[٢] نظرية علم النص: ١٠٦.
[٣] نسيج النص: ١١٩.
[٤] علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٥.
[٥] لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٤.

يكون لهذا الملمح (العنصر) المكرر نسبة ورود عالية في النص تميزه عن نظائره. وأنْ يساعدنا رصده على فك شفرة النص وإدراك كيفية أدائه لدلالته"[١].

فمِنْ مصاديق التماسك المعجمي بعنصر (التكرار) ذكر المعري كلمة (الجنة) في (رسالة الغفران) نحو: (٩٤) مرة، منها (٩٠) مرة في ضمن رحلته المفترضة إلى عالم الآخرة، و(٤) مرات، في ضمن جوابه على رسالة (ابن القارح)، وذكرها بصيغة الجمع (الجنان) (١٨) مرة، كما وذكرها بأسماء أخرى كالفردوس (٦) مرات، وعقبى الدار (مرة واحدة)، والخلود (٧) مرات، منها (٢) مرتين جاءت في ضمن الشواهد التي أتى بها، فيكون مجموع الموارد التي ذكرت فيها مع مشتقاتها هو (١٢٦) مورداً، وهذا ما يميزها عن غيرها مِنَ الألفاظ المكونة للنص، ويعطيها سمة ليس لغيرها مثلها، كما يدل على أهميتها وتركيز المتكلم عليها دون غيرها.

ومِنْ تلك الموارد التي ذكرت فيها، قول المعري: "فقد غرس لمولاي الشيخ الجليل، إن شاء الله، بذلك الثناء، شجر في الجنة لذيذ اجتناء"[٢]، وقوله: "ولو خالط مناً من عسل الجنان، وما خلقه الله، سبحانه، في هذه الدار الخادعة"[٣]، وقوله: "وينظر الشيخ في رياض الجنَّة فيرى قصرين منيفين، فيقول في نفسه: لأبلغنَّ هذين القصرين، فأسأل لمن هما؟ فإذا قرب إليهما رأى على أحدهما مكتوباً: هذا القصر (لزهير بن أبي سلمى المزني)[٤] وعلى الآخر: هذا القصر (لعبيد بن الأبرص الأسديّ)[٥] فيعجب من ذلك ويقول: هذان ماتا في الجاهليّة، ولكّن رحمة ربنّا وسعت كلَّ شيء"[٦].

لقد أسهم (التكرار) في تحقيق التماسك النصي، وذلك بامتداد العنصر المكرر (الجنة) مِنْ بداية النص حتى آخره، فضلاً عن كون العنصر المكرر كان البؤرة التي دار الحديث

---

[١] نظرية علم النص : ١٠٧.
[٢] رسالة الغفران: ١٤٠.
[٣] نفسه: ١٦٤.
[٤] زهير بن أبي سلمى: هو زهير بن ربيعة بن قرط. والناس ينسبونه إلى مزينة، وإنَّما نسبه إلى غطفان، مِنْ فحول الشعراء في الجاهلية، الشعر والشعراء: ١٣٧/١.
[٥] هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم... وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً مِنَ المعمرين، الشعر والشعراء: ٢٥٩/١.
[٦] رسالة الغفران: ١٨٢.

حولها، عن طريق الوصف، ومكان الأحداث المسرودة، وحقق تكرار العنصر (بنسبة عالية) استمرارية النص، وربط أجزائه وعناصره المتباعدة، وهذا ما جعله يبدو كأنَّه قطعة واحدة.

ومِنْ أهم المقاصد التي أراد المعري في تكريره (الجنة) هي:

المقصد الأول: إنَّ رحمة الله تعالى قد تشمل حتى مَنْ يعتقد الناس أنَّه مِنْ أهل النار، وبذلك يكون التنبؤ بمصير الإنسان في الآخرة أمراً غير مرغوب فيه، بل منهيّ عنه.

المقصد الثاني: رغبة المعري في التعبير عن أشواقه المكبوتة، بعدما طال حرمانه، واشتد ألمه مِنَ مآسي الحياة، فأخذ يُمَنِّي نفسه الراحة والفوز بالنعيم الذي لا يزول[١].

المقصد الثالث: ترغيب المتلقي بالعمل الصالح؛ لتكون الجنة جزاء له، وذلك مِنْ خلال "تحفيزه وإثارته والدفع به لرؤية شيء لم يسبق للعين البشرية أنْ رأته"[٢].

المقصد الرابع: أراد المعري أنْ يبرهن للمتلقي الحقيقي/المفترض أنَّه ملمٌّ أعظم الإلمام بلطائف النحو، ومذاهب النحويين، بل في كثير مِنْ علوم العربية[٣].

أمَّا الغرض الخطابي فهو التعليم، تعليم المتلقي ما ورد في (الغفران) مِنْ مسائل نحوية وصرفية، وعروضية، وغير ذلك مِنْ المسائل اللغوية، فالمتلقي "يخرج مِنْ تلك الرحلة بكثير مِنْ الفوائد اللغوية، ومنهج المعري هذا يجد فيه الدارسون في كل عصر نمطاً تعليمياً قصد المعري به طلابه الأقربين، كما قصد غيرهم مِنْ طلاب العلم"[٤].

وغايته الخطابية فخره بما حوت ذاكرته مِنْ علم غزير في المجالات شتى، كأنَّ المعري "أراد أنْ يقول: إنَّ أهل العلم ممن سبقوه لم يأتوا بما أتى"[٥].

ونلحظ مما سبق أنَّ (للتكرار) أثرا واضحا في تحقيق المقاصد، بتكرار عنصر السبك (الجنة) رُغِّب المتلقي بالعمل الصالح، وعَبَّر المعري عمَّا يتمنى الحصول عليه والفوز به.

---

[١] ينظر: نثر أبي العلاء المعري، صلاح رزق: ١٣٦.
[٢] رسالة الغفران، دراسة أسلوبية: ٤٨.
[٣] ينظر: مع المعري اللغوي: ٢٤.
[٤] نفسه: ٢٣.
[٥] نفسه: ٢٣.

كما أنَّ (للتكرار) أثرا في تحقيق الغاية الخطابية، بذكر المعري الشواهد مِنْ أقوال الشعراء في الجاهلية والإسلام، وسرده ما دار بينهم مِنْ حديث في الجنة حول مسائل لغوية متنوعة، ومن ثَمَّ الخلاص إلى تأييد رأي دون آخر.

٢- التضام:

"هو توارد زوج مِنَ الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك مثل: (ولد، بنت) أو (جلس، وقف) فالعلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض"[١]، ويطلق بعض الباحثين على هذا المفهوم مصطلح (التضاد)، وهو "أنْ يتم الربط مِنْ خلال توقع القارئ للكلمة المقابلة، فالكاتب يساعد القرَّاء على الإبحار داخل النص مِنْ خلال سلاسل الكلمات المترابطة التي تخلق التماسك في النص، وهذا يحدث في سلاسل مترابطة طويلة قد تقع داخل حدود الجملة أو خارج حدودها في جملة أخرى"[٢]، "وإضافة إلى علاقة التعارض أو التضاد هناك علاقات أخرى مثل: الكل، الجزء، أو الجزء – الجزء، أو عناصر مِنْ نفس القسم العام، كما أنَّ إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس أمراً هيناً، لكنَّ القارئ، يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية، معتمداً على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات"[٣].

ومِنْ مصاديق التضام قول المعري: "ولم يكفه ما فعل في البهائم الأهلية حتى عمد للوحش الباهلة. يا نار، أما يقتصر شرارك على أن يحترق به جارك، حتى يسافر إلى أبعد؛ ما أعظم أذاتكّ"[٤].

أورد أبو العلاء هذا القول على سبيل التعجب والإنكار مِنْ ملاحقة الإنسان الحيوان بالقتل ، ومبالغته في ذلك، فهو يشبّه هؤلاء بالنار التي تحرق وتأكل كلّ ما تصل إليه، فكذلك الإنسان لم يسلم منه حيوان، أهليٌ هو أم وحشي، قريب هو أم بعيد، حيث يتتبعون تلك الحيوانات ويصطادونها لتكون لهم طعاماً.

---

[١] لسانيات النص: محمد خطابي: ٢٥.
[٢] علم لغة النص: عزّة شبل: ١٩.
[٣] لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٥.
[٤] رسالة الصاهل والشاحج: ١٣.

نلحظ في النص السابق أنَّ بعض ألفاظه ترابط مع بعضها مِنْ خلال علاقة التضاد. والتضاد "علاقة دلالية ناتجة عن تتابع قضيتين، كل منهما تحمل عكس معنى الأخرى... فقد تجمع تلك العلاقة بين قضيتين صغيرتين لتكون قضية كبرى"[١]، فالعناصر المتضادة (البهائم الأهلية/البهائم الوحشية) و(الجار القريب/الجار البعيد)، فما أنْ يذكر أحد اللفظين حتى يتوقع السامع اللفظ الآخر المقابل له، ولهذا فالتلازم بين تلك الألفاظ زاد النص انسجاماً وتناسقاً، حيث الألفاظ متتابعة، تطلب إحداها الأخرى، واستعمال الكاتب التضاد هنا هو للتأكيد على شمولية المعنى، وهذا يبين مبالغة الإنسان في أذاة الحيوان.

وبذلك يكون تتابع الألفاظ وتواردها على شكل سلسلة متتابعة مِنَ الكلمات أدى إلى الإسهام بشكل واضح في خلق تماسك النص، وترابط أجزائه.

قصد المعري إنكار ملاحقة الإنسان للحيوان بالأذاة، وهو هنا ينكر ظلم الإنسان للحيوان برمته، بأيِّ شكل مِنَ أشكال الظلم كالصيد وغيره، ولأيِّ صنفٍ مِنْ أصناف الحيوان.

والغرض مِنْ ذلك توجيه المتلقي إلى الرحمة بالحيوان والرفق به، والابتعاد عن إزهاق النفوس، "وقد ترك جماعة مِنَ الزهَّاد والعبَّاد أكل الحيوان تقرباً إلى الله تعالى ورحمته[٢]، ولعل المعري في طليعة هؤلاء.

أمَّا غايته الخطابية فهي التأثير، والرغبة في تغيير سلوك الفرد وتوجيهه اتجاه الحيوان بالدعوة إلى الرحمة به، وإنكار إلحاق الظلم به، والتحذير مِنْ ذلك؛ لما فيه مِنْ آثار سلبية كبيرة، لعلَّ انتقام الخالق أولها؛ لذا نجد المعري يصرح بأنَّه لو لم تكن للنار فائدة مع ظلمها؛ لانتقم خالقها منها، قال:" لولا ضوءٌ لك ظهر في العنك؛ لانتقم خالقكِ منكِ"[٣].

---

[١] نظرية علم النص، حسام أحمد: ١٤٢ – ١٤٣.
[٢] أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري: ٣٨.
[٣] رسالة الصاهل والشاحج: ١٣٠.

ثانياً: أنواع المسالك التأليفية:

١- المسلك السردي:

السرد هو "الحديث أو الإخبار (كمنتج وعملية وهدف وفعل وبنية وعملية بنائية) لواحدة أو أكثر مِنْ واقعة حقيقية أو خيالية (روائية) مِنْ قبل واحد أو اثنين أو أكثر (غالباً ما يكون ظاهراً) مِنَ الساردين وذلك الواحد أو الاثنين أو أكثر ظاهرين غالباً مِنَ المسرود لهم"[١]، "ويتخذ كلام السارد أشكالاً خطابية منها:

أ- الحكي: حيث يسرد أحداثاً ويخبر عن وقائع وأفعال. إنَّه محكي الأحداث.

ب-الخطاب: حيث ينتج خطاباً، أي يتلفظ بكلام يخبر عن أفكاره، ولا ينقل أحداثاً أو يسرد وقائع..."[٢]."ويميز (لينتفلت) بين السرد والحكي والقصة على النحو التالي:

أ- السرد: هو الفعل السردي المنتج، للعمل الذي ينتمي إلى جنس السرد.

ب-الحكي: هو النص السردي الذي لا يتكون فقط مِنَ الخطاب السردي الذي يتم مِنْ خلال الراوي، ولكنه أيضاً الأقوال التي تتلفظ بها الشخصيات.

ت-القصة: وهي المادة الحكائية أو العالم المسرود (مِنْ خلال خطاب الراوي) أو المذكور مِنْ خلال خطاب الشخصيات"[٣]."ويميز الشكلاني الروسي (توماتشفسكي) بين نوعين مِنَ السرد هما:

الأول: السرد الموضوعي: وفيه يكون الراوي مطلعاً على كل شيء، حتى أفكار الأبطال نفسها.

الثاني: السرد الذاتي: وفيه نتتبع الحكي مِنْ خلال الاعتماد على تفسير المتلقي (المروي له) لكل أحداث الحكي، ونلمحه وهو يحاول تقديم التفسيرات المتعددة لأحداث الحكي"[٤]، "ويتكئ فن الحكي بصفة عامة على دعامتين:

الأولى: أنْ يحتوي على قصة ما، تضم في طياتها أحداثاً محددة،

---

[١] المصطلح السردي، جيرالد برنس: ١٤٥.
[٢] تحليل النص السردي، محمد بو عنزة: ١١٣.
[٣] السرديات والتحليل السردي، سعد يقطين: ٨٤ – ٨٥، وينظر: قاموس السرديات: ١٨٦ – ١٨٧.
[٤] جماليات السرد القرآني: ٣.

الثانية: أنْ يتم تعيين الطريقة التي يتم بها حكي تلك القصة، وهذه الطريقة تسمى سرداً"[١].

" إنَّ وظيفة السارد وظيفة خطيرة وأنَّ ما يمكن أنْ يعبِّر عنه السارد بسرده أكثر بكثير مما يظن أو يعتقد فهو يتحكم في عالم القصة أو الرواية، العناصر، والشخصيات، والزمان والمكان، والعقد، والحوار، وغير ذلك، أي إنَّه ينسج عالماً جديداً مِنْ خياله"[٢].

لعلَّ مِنْ أهمّ العناصر المكونة للخطاب السردي هي ما يأتي:

١- الراوي: يقول رولان بارت: "لا يمكن أنْ يوجد سرد بدون سارد وبدون مستمع أو قارئ"[٣]، "فالراوي هو الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها.

٢- المروي: وهو كل ما يصدر عن الراوي.

٣- المروي له: وهو الذي يتلقى ما يرسله الراوي"[٤].

٤- "الحدث: سلسلة مِنَ الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق مِنْ خلال بداية ووسط ونهاية، نظام نسقي مِنَ الأفعال"[٥].

٥- "الزمن: وهو الزمن الحقيقي أو المتخيل الذي تدور فيه أحداث القصّة المروية"[٦]، "ولا "ولا يكون بالضرورة مطابقاً للزمن الذي يقدم مِنْ خلاله السارد القصة"[٧].

٦- المكان: "يمثل المكان مكوناً محورياً في بنية السرد بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان وذلك أنَّ كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين"[٨].

٧- الشخصية: "يمثل مفهوم الشخصية عنصراً محورياً في كل سرد، بحيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات و(مِنْ ثمَّ كان الشخص محور التجربة الروائية)"[٩]،

---

[١] جماليات السرد القرآني : ٢
[٢] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٢١.
[٣] التحليل البنيوي للسرد: ١٦.
[٤] جماليات السرديات التراثية، مي أحمد: ٢٢.
[٥] المصطلح السردي: ١٩.
[٦] معجم السرديات: ٢٣٠.
[٧] تحليل النص السردي: ٨٧.
[٨] نفسه: ٩٩.
[٩] نفسه: ٣٩.

و"تبنى الشخصية اطراداً زمن القراءة مِنْ خلال الأفعال التي يقوم بها أو الصفات التي تصف بها نفسها، أو تستدلها مِنْ شخصيات أخرى أو مِنْ طرف السارد"[١].

"ويمكن تقسيم السرد مِنْ حيث الحمل الدلالي على:

أ- السرد الفارغ: وهو أبسط أنواع السرد، ويتسم بالسطحية والمباشرة والاعتماد على ذكر الأحداث المتوالية دون الخوض في بواطن الأمور، وخلفياتها ،وتشعباتها.

ب-السرد المبطَّن: وهو ما يحتوي على افتراضات، ويُشحن بحكم وتجارب وقد يعبر عن مواقف فلسفية، أو أفكار، أو سياسة، أو اجتماعية.

ت-السرد الإيحائي: وهو الذي تكتنز فيه الألفاظ بإيحاءات نفسية واجتماعية، وهو شائع جداً في القصص والروايات، حيث ينتقي المؤلف المفردات المشحونة بظلال عاطفية متوسلاً بالتجسيم والتشخيص لخلق أثر نفسي في المتلقي.

ث-السرد الرمزي: وهو ما يقوم على الإيماء، والكناية، وربَّما التورية، والإبهام... وعادةً ما يلجأ إلى السرد الرمزي عند التعبير عن المكبوت والممنوع، كالتعبير عن مواقف الكاتب في الظروف الاستبدادية القمعية"[٢].

سنبين فيما يأتي توظيف المعري المسلك السردي في بعض رسائله مبتغياً بذلك تحقيق مقاصده وأغراضه الخطابية.

لعلَّ مِنْ أوضح مصاديق السرد (المبطن)، (رواية الغفران)، "وهي جزء مِنْ رسالة الغفران حيث يتخيل فيه المعري أنَّ ابن القارح (وهو بطل رواية الغفران) قد غفر الله له، وأدخله الجنة، حيث يصحبه المعري في رحلته إلى الجنة ويصف ما شاهده فيها، ويجعله يقابل شخصيات أدبية، أو أخرى غير أدبية ماتت قبل عصر الإسلام"[٣].

بدأ السارد (رحلة الغفران) بوصف ما في الجنة مِنْ أشجار وأنهار مِنْ لبن وخمر، وولدان مخلدون، وصيَّر السارد ابن القارح بطلاً لرحلته تلك، وهو يصحبه في رحلته إلى عالم الآخرة واصفاً ما شاهده اثناء رحلته.

---

[١] تحليل النص السردي: ٤٠.
[٢] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٢٢ – ١٢٣.
[٣] أطراف الخطاب السردي، محمد رياض: ٢.

بدأت الرواية بداية هادئة، فليس فيها فعل أو حركة، إنَّما بدأها بالوصف[١]: " فقد غرس لمولاي الشيخ الجليل – إنْ شاء الله – بذلك الثناء، شجر في الجنة لذيذ اجتناء، كلُّ شجرة منه تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلٍّ غاط"[٢]، ثمَّ يقول بعد ذلك: "والولدان المخلدون في ظلال تلك الشجر قيام وقعود... وتجري في أصول ذلك الشجر أنهار تختلج مِنْ ماء الحيوان"[٣]، "فالوصف في السرد حتمية لا مناص منها؛ إذ يمكن كما هو معروف، أنْ نصف دون أن نسرد، ولكن لا يمكن أبداً أنْ نسرد دون أنْ نصف"[٤]، كما أنَّه "لا يمكن للوصف أنْ ينهض بوظيفته السردية حتى يشمل المناظر الطبيعية"[٥].

إنَّ (سردية التعجب) في رواية الغفران تُعدُّ سمة مميزة لها، "فالسعي لملاقاة شخصية مِنْ غير الزمان الذي نعيش فيه والإصرار على تحصيل كل الأسباب التي تحقق ذلك المسعى، إنَّما تعبِّر في حقيقة الأمر عن أثر بنية الحدث بكل ما هو عجيب ومفارق للواقع وهذا ما يعرف بسردية التعجب"[٦].

و "قد يتسلح السارد بأنواع مِنَ السلطات منها سلطة تجاوز الواقع ،وسلطة الإبداع ،وسلطة التأليف"[٧].

فمِنْ مظاهر سلطة السارد هنا في (رواية الغفران) "جرأته إذ تناول موضوعاً لا يجرؤ على الخوض فيه أحد، وذلك لما له مِنْ حساسية مفرطة لدى المؤمنين باليوم الآخر والحساب، فهو لا يتورع عن صنع جنة ونار، ليضع هنا أو هناك ما شاء مِنَ الشعراء والأدباء"[٨]، كما أنَّنا نلحظ أنَّ السارد ذو سيطرة تامة مطلقة على شخصياته، فهو موجه وعالم بما ستقوم به شخصياته مِنْ أفعال وأقوال: "ولو رأى تلك الأباريق (أبو زيد) لعلم أنَّه كالعبد الماهن أو العبيد"[٩]، كما أنَّ إحالة بعض أقوال (الراوي) إلى شخصياته، ومن ثَمَّ ظهور عدد مِنَ

---

[١] ينظر: البنية القصصية في رسالة الغفران، حسين الواد: ٣١.
[٢] رسالة الغفران: ١٤٠.
[٣] نفسه: ١٤١.
[٤] خصائص الخطاب السردي، عبد الملك مرتاض: ٢.
[٥] نفسه: ٢.
[٦] العجائبي في المخيال السردي، سميرة بن جامع: ٥٥.
[٧] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٢١.
[٨] أطراف الخطاب السردي في رسالة الغفران: ٥.
[٩] رسالة الغفران: ١٤٤.

الحكايات المتولدة، ويعتمد في الإحالة على ضمير الغائب، وهذا الضمير يمكن اعتباره مظهراً مِنْ مظاهر تدخل القاص أو ما يطلق عليه تسلطاً أو حكماً[١]. وذلك نحو قول السارد: :"فيقول فيقول (نابغة بن جعدة): ما جعلت الشّين قطُّ رويّاً... فيقول مولاي الشيخ الأديب المغرم بالعلم: يا أبا ليلى، لقد طال عهدك بألفاظ الفصحاء، وشغلك شرابٌ ما جاءتك بمثله (بابل) ولا (أذرعات)"[٢]

يظهر السارد للقارئ بتقديمه شخصيات يلتقي بها بطل روايته ابن القارح، قال: "ثمّ إنّه – أدام الله تمكينه – يخطر له حديث شيءٍ كان يسمَّى النُّزهة في الدار الفانية، فيركب نجيباً من نجب الجنّة خلق من ياقوتٍ ودرٍّ... فيسير في الجنَّة على غير منهج... فإذا رأى نجيبه يملع بين كثبان العنبر تمثل بشعر للأعشى، فيهتف هاتفٌ: أتشعر أيّها العبد المغفور له لمن هذا الشَّعر؟ فيقول الشيخ: نعم: حدّثنا أهل ثقتنا، عن أهل ثقتهم... أنَّ هذا الشّعر لميمون بن قيس فيقول الهاتف: أنا ذلك الرَّجل، مَنَّ الله عليَّ بالدخول إلى الجنة، فيلتفت الشيخ هشاً بشاً"[٣].

إنَّ ترتيب السارد للعلاقات الزمنية في النص أعلاه، تحيل إلى الزمن الماضي وذلك بقوله: "كان يسمى النزهة في الدار الفانية"، كما أنَّه استعمل الفعل الماضي (كان) للتعبير عمَّا يحيل إليه زمن السرد، وهذا ما يسمى بالزمن السردي السابق أو الاسترجاع في السرد، وهو: "توقف الراوي عند نقطة زمنية معينة في حاضر السرد، وكل عودةٍ إلى الماضي تمثل بالنسبة للسرد استرجاعاً لماضيه الخاص"[٤].

نلحظ هيمنة السارد على شخصياته، وإحاطته بما عندهم، بل حتى بما يفكرون به وما يخطر لهم؛ لذا نجده يقول عن بطله: "ويخطر له حديث شيء" فهو عارف بما عنده عليم به.

مُلئت رحلة الغفران بالحركة بما قام به بطل الرحلة ابن القارح مِنْ لقاءات مع شخصيات أدبية وأخرى غير أدبية، حيث جاب الجنة والنار بالبحث والحديث مع تلك الشخصيات، والحوار معهم، ومحاولته معرفة بمَ غفر لك منهم ومَنْ لم يغفر له، عبَّر عن كل ذلك بالفعل

---

[١] ينظر:جماليات السرديات :١٢٢.
[٢] رسالة الغفران : ٢٠٩.
[٣] نفسه: ١٧٥ -١٧٧.
[٤] تشكيل الزمن السردي في السيرة الذاتية السعودية، أسامة محمد: ١١.

المضارع، وهذا يجعلنا نطلق على هذا النوع مِنَ السرد بـــ (السرد اللاحق)، فهو يتحدث عن أمور لم تقع بعد.

كما زادت لقاءات بطل الرواية مع الشخصيات الروائية[١] كـــ (علقمة، والمازني، والشيباني) الخطاب السردي حركة وحيوية بعرض الانفعالات، والعواطف، وهذا ما يزيد أثر الخطاب على المتلقي[٢].

عند تجول ابن القارح في الجنة، نلحظ أنَّ السارد يظهر بعض الشخصيات للقاء ابن القارح بصورة مفاجئة، دون سابق إشارة لذلك الظهور، مِنْ ذلك لقائه بـــ (زهير بن أبي سلمى، وعبيد بن الأبرص)، وحديثه معهما حول دخولهما الجنة وبمنْ غفر لهما وقد ماتا قبل الإسلام[٣]، ومِنْ مواطن السرعة في تتابع الأحداث، وحذف أجزاء مِنْ زمن الرواية، قول المعري: "فيركب بعض دواب الجنة ويسير، فإذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة"[٤]، وعنصر المفاجئة في الرواية، هو: "الانتقال مِنْ حدث إلى آخر بسرعة وعلى بغتة، وهذا الانتقال يبعث في الحكاية ديناميكية ،ويشيع فيها نشاطاً ،وتجدداً"[٥]، ويترك السارد مع بطله محطات استراحة في أثناء الرحلة، حيث يعم السكون وتنعدم الحركة في تلك المحطات، ولعلَّ مِنْ أوضح تلك المحطات، مواطن منادمة ابن القارح بعض شخصيات الرواية، كدعوته زهيراً: "فيدعوه الشيخ إلى المنادمة، فيجده مِنْ ظراف الندماء، فيسأله عن أخبار القدماء"[٦]، حيث نجد نجد أنَّ الحركة في تلك المجالس عدمت وعمَّ فيها السكون.

ثمَّ يبين السارد ما تعرَّض له بطله مِنْ مصاعب أثناء رحلته، فعندما انتهى إلى الصراط "قيل له هذا الصراط فاعبر عليه"[٧]، فوجد نفسه أنَّه لا يستطيع، فطلب مِنَ الزهراء – صلى الله عليها– أنْ تجيزه، فقالت: "(الزهراء) لجارية مِنْ جواريها أجيزيه، فحملته وجازا كالبرق

---

[١] ينظر: رسالة الغفران: ١٩٦، ٢٠٦.
[٢] تحول الخطاب الروائي، مشتاق سالم: ١٢٦.
[٣] ينظر: رسالة لغفران: ١٨٢.
[٤] نفسه: ٢٨٩.
[٥] جماليات السرديات: ٣٧.
[٦] رسالة الغفران: ١٨٤.
[٧] نفسه: ٢٦٠.

الخاطف، فيصل إلى باب الجنة، فيُمنع مِنَ الدخول إليها ويبقى في ذلك المكان وقد انقطعت به السبل، فإذا بإبراهيم –صلى الله عليه– فيجذبه جذبة يحصله بها في الجنة"[١].

يبين السارد حال بطله ويصوره بصورة الهزيل الضعيف الذي يتوسل بكل مَنْ حوله بغية الشفاعة له، وهنا نجد أنَّ السارد لم يظهر للقارئ، وأعطى البطل مساحة واسعة وظهور واضح، وذلك مِنْ خلال تعبيره ونقله ما حصل له أثناء عبوره على الصرط، لذا نجد الكلام مستند إلى بطل القصة ابن القارح (فجذبني، تعلقت، فشفع لي)، فالبطل جاء معلوماً في هذه المحطة ظاهراً، أمَّا المؤلف فلم يظهر للقارئ.

ثمَّ بعد أنْ يبدو لابن القارح أنْ يطلع على أهل النار، وينظر إلى ما هم فيه، ويحزن على دخول بعضهم إليها، كعنترة العبسي[٢]. تبدأ الأحداث بالاضمحلال ويعود الهدوء إلى الرحلة بعودة البطل إلى الجنة "يتكئ على مفرش مِنَ السندس ويأمر الحور العين أنْ يحملن ذلك المفرش، فيضعنه على سرير مِنْ سرر أهل الجنة"[٣]، "إنّ ابن القارح هنا لا يتحرك وإنَّما يحمل وحركة الرحلة بإسرها تنزع إلى الهدوء وتضمحل في اللازوال"[٤].

لقد تأسست رحلة المؤلف إلى عالم الآخرة على شخصية ابن القارح (بطل الرواية)، حيث استندت إليه أحداث الرواية مِنْ لقاء الشخصيات في الجنة وغيرها، كما أنَّ السارد رتَّبَ تلك الأحداث ترتيباً منطقياً؛ إذ جاءت متتابعة تكمل بعضها بعضاً، وبذلك التتابع يتضح للقارئ سيطرة وهيمنة المؤلف على شخصياته بتوجيهها وظهورها وخفائها، كما أنَّه جعل مِنْ شخصية ابن القارح شخصية محورية ومركزية لبناء تلك الرواية،.

أراد المعري بمسلك السرد أربعة مقاصد يمكن إجمالهما بالآتي:

المقصد الأول: وصف الجنة وما فيها مِنْ نعيم .

المقصد الثاني: وصف النار وما فيها مِنْ شدة العذاب الذي لا طاقة للإنسان به، ترهيباً له وتنفيراً مما يأخذ به إلى ذلك المثوى.

---

[١] نفسه: ٢٦٠ – ٢٦١.
[٢] ينظر، رسالة الغفران : ٢٨٩.
[٣] نفسه: ٣٧٨.
[٤] البنية القصصية في رسالة الغفران: ٤١.

المقصد الثالث: ترغيب المتلقي الحقيقي/المحتمل بالعمل الصالح؛ ليحسن له الجزاء وتكون الجنة هي المأوى .

المقصد الرابع: تنفيره مِنْ عمل السيئات وإبعاده عمَّا حُرِّم على المؤمنين، حتى لا يكون ممن كُتبَ عليهم الخلود في النار.

أمَّا الأغراض الخطابية فهي السخرية مِنْ ابن القارح؛ لضعف معرفته وقلة علمه، فـ"المعري أرسل ابن القارح إلى عالم الآخرة ليسخر منه ويتهكم به لضعف معرفته وقلة اطلاعه، لذا نجد السارد المهيمن أكبر مِنَ الشخصيات مطلعاً حتى على دقائقها[1]، ومِنَ الأغراض أيضاً وعظ المتلقي الحقيقي والمحتمل وإرشاده مِنْ خلال وصف أهل الجنة وما هم فيه مِنَ النعيم، وكذلك ذكره ما يعانيه أهل النار مِنَ العذاب؛ لحث المتلقي على ترك ما نُهي عنه مِنَ الأعمال السيئة.

وغايته التأثير في المتلقي وذلك بترغيبه بالأعمال الصالحة، وذكره ما يتمتع به أهل الجنَّة مِنْ نعيم جزاء لهم بما صبروا وعملوا الصالحات، وحثَّه على الابتعاد وترك السيئات، وهذا المعنى يتضح مِن ذكره ما يعانيه أهل النار مِنْ عذاب شديد.

نخلص مما سبق في حديثنا عن مسلك السرد إلى أمور ثلاثة، يمكن بيانها بالآتي:

أولاً: تناغم مسلك السرد مع المقاصد الخطابية ،والأغراض، والغاية، فبه سرد الأحداث في الجنَّة ووصف ما فيها مِنَ النعيم، وما يتمتع به فريق أهل الجنة، يكون قد بين مقصدي (الوصف، الترغيب)، وبوصفه حال فريق السعير، وما هم فيه مِنَ العذاب يكون قد بين مقصده، وهو حث المتلقي على ترك السيئات.

وكذلك هو الحال بالنسبة لأغراض الوعظ والإرشاد والتوجيه، فبالسرد والوصف اتضح كل ذلك، حيث ضمن المعري مقاصده وأغراض خطابه الذي جاء سرداً لأحداث خيالية جرت في الجنة والنار، ووصفه لكل منهما.

---

[1] أطراف الخطاب السردي: ٩.

ثانياً: قد يتآزر أكثر مِنْ مسلك خطابي في سبيل تحقيق مقاصد وأغراض وغايات معينة، كما هو الحال في المثال مدار البحث، إذ تعاضد وتآزر كل مِنْ مسلك السرد والوصف والاستدلال في تحقيق المقاصد والأغراض المشار إليها سابقاً، ونريد بـــ (الاستدلال)–في هذا المثال– سوق المعري آيات مِنْ القرآن الكريم؛ لتأكيد ما يتمتع به فريق الجنة، أو ما يعانيه فريق السعير، كقوله: " بدليل قوله: {مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ} [محمد: ١٥]"[١].

ثالثاً: هنالك علاقة وثيقة بين المسالك مِنْ جهة والمقاصد ،والأغراض، والغايات الخطابية مِنْ جهة أخرى، وهي علاقة الوسيلة بالغاية.

ومِنْ مصاديق المسلك السردي (الرمزي) قول أبي العلاء: "وإذا جاءت التهنئة مِنْ غير نظير، فإنَّها تعتقد مِنَ المحاضير، كمثل الأسد لمَّا ظفر بفرس لبعض الملوك لم تسمُ إلى ركوبه نفس الصعلوك، فحمله إلى العريسة، وأخذ الكفاية مِنَ الفريسة. واجتمعت إليه أصناف الوحوش مهنئات، خشعاً مِنَ الهيبة – متجنئات، فقائل لا يخرج عن الإيجاز، وصامت لا يجتريء على المجاز... قال فرنب وهو – في المقالة – مذنب... (بورك للملك في العطية السنية، وما بلغ مِنَ الأمنية) فنظر الأسد نظر مغضب... فأوحى بالعجل – إلى هرٍّ، في البرِّ، أنْ ينزل – بالبرّ الناطق ما سنح مِنَ الشرّ. فجعل يصيح في مخالب الضيون (ما ذنبي! أوكل في جوار الجبار: أسامة! فقال له بعض الأجناد: (أهلت نفسك لخطاب: ما كنت له بأهلٍ فعددت مِنْ أصحاب السفه والجهل"[٢].

أورد المعري هذه الحكاية لتأييد ما ذهب إليه مِنْ رأي وهو: أنَّ التهنئة ينبغي أن تكون بين الأكفاء، كما أنَّ الحكاية تحمل في طياتها معنى الاعتذار، بتصغير السارد نفسه وتعظيم المسرود له، فجعل مِنْ الاسد رمزاً لمخاطَبه (المسرود له)، ومِنَ الفأر (الذي عمل المحظور بتهنئة الأسد) رمزاً للسارد.

بدأ السارد بذكر ما يؤهل (الأسد) بأنْ يكون بطلاً للحكاية وهذا ما يتوافق وما لهذا الحيوان مِنْ سمات الشجاعة، والقوة في الواقع، فجعله يتعدى حمى بعض الملوك ويأخذ فرسه التي لا

---

[١] رسالة الغفران: ١٥٣.
[٢] رسالة الهناء: ٧٩ – ٧٩.

يستطيع أنْ يصل إليها غير القوي الشجاع، فليس للصعلوك المتشرد إليها مِنْ سبيل، كما صوره بصورة الملك الذي تخشاه عشيرته لهيبته وسطوته، فجعل أصناف الوحوش خاشعة له مطيعة لأمره، كما أنَّه لا أحد يجرؤ على مس جاره بسوء، فالفأر لمجاورته الأسد لم يجرؤ القط ولا السرعوب أنْ يمسَّه بأذى، إلَّا بعد ما فعل المحظور فأمر القط بقتله.

"واتخذ كلام السارد عن تلك الأحداث شكلاً خطابياً وهو (الحكي) حيث يسرد أحداثاً ويخبر عن أفعال إنَّه محكي الأحداث"[1].

وتظهر سلطة السارد بتسييره أحداث الحكاية، والتحكم في كل عناصرها الظاهرة والمضمرة.

ونلحظ أنَّ الحكاية جاءت في سرد أحداثها على نمطٍ سردي لاحق، والسرد اللاحق "هو الذي يكون زمنه تالياً لزمن الحكاية – وهذا هو الموقع المألوف للسرد إذ مِنَ الطبيعي أنْ تكون الحكاية سابقة للفعل السردي، ويكفي مثلما يقول (جونان) استخدام الزمن الماضي لجعل السرد لاحقاً بالحكاية"[2]؛ لذلك نجد أنَّ الراوي عبر عن أحداث الحكاية بالأفعال الماضية: (ظفر، فحمله، أخذ، اجتمعت...).

يجعل السارد في كل جزء مِنْ حكايته ما يشير إلى قوة بطله وسطوته، فنراه يسبق الفعل (جعل) بـــ (الفاء)، إشارة منه إلى سرعة استجابة الهرّ لأمره خشية ،وهيبة، دون تردد أو تأخير في قتل مَنْ كان جاره بالأمس، وتحت حمايته. كما أنَّه جعل بطله يقوم بالصيد ونقل الفرس بنفسه، ولم يسند ذلك إلى ما حوله مِنْ جنود (أصناف الوحش) الذين لا يعصون له أمراً، إشارة منه إلى أنَّ بطله قام بفعل لا يستطيع غيره أن ينجزه، مِنْ أصناف الوحش ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

ثمَّ تُسند الحركة في الأحداث الروائية إلى شخصيات أخرى، كالهرّ والفأر، وفي مقابل ذلك يتمتع البطل بالراحة بعد ما أمر الهرّ بإلحاق الأذى بالفأر، لتطاوله في مخاطبة مَنْ هو أعلى منه شأناً، وأرفع درجة.

---

[1] تحليل النص السردي، محمد بو عزة: ١١٣.
[2] معجم السرديات: ٢٣٢.

كما وظَّف الراوي مفهوم (القطع) وهو "تجاوز الراوي بعض مراحل القصة دون الإشارة بشيء إليها"[١]، فنجده يوجز بعض الأحداث، كصيد الأسد الفرسَ ونقلها إلى عريسته، وكذلك عدم تشخيص المهنئين مِنْ أصناف الوحش، وإنَّما جاء التركيز فقط على ما سيقت له الحكاية، وهو تأكيد أنَّ مخاطبة غير النظير تُعدُّ مِنَ المحاضير، وقد تلقي بصاحبها إلى التهلكة.

لقد أنسن السارد في حكايته الحيوان فجعله قادراً على ما للإنسان مِنْ أفعال كالنطق وغيره، وبهذا تسنى للسارد أنْ يركب الصورة، ويحشد لها مِنَ العناصر ما يخدمها"[٢] ، وبالتالي تحقيق ما سيقت لأجله مِنْ مقاصد والتي مِنْ أهمها:

المقصد الأول: النهي عن مكاتبة غير النظير.

المقصد الثاني: ضرورة حفظ مقامات المتلقين ،ومسمياتهم عند مخاطبتهم.

المقصد الثالث: إقرار المعري بأنَّ للخطاب مقامات ينبغي على المتكلم (المخاطِب) معرفتها ومراعاتها عند خطابه، فـ (لكل مقام مقال)، فكما تختلف وتتباين مقامات المخاطَبين كذلك هو الحال بالنسبة للخطاب.

والغرض مِنْ ذلك مدح المتلقي ما دام قد جعله في مقام الأسد مِنَ الشجاعة ،والهيبة مع مَنْ حوله مِنْ أبناء جنسه، ومِنْ خلال ذلك توصل السارد إلى تحقيق غايتين خطابيتين هما:

كسب ودّ المخاطَب ما دام قد فضله على نفسه، وإرضاء الذات ما دام قد حقق لنفسه مخاطبة هذا الكبير[٣]، فهو يجد في نفسه أهلاً لمخاطبة الكبار والعظماء؛ لما له مِنْ شأن ثقافي واجتماعي لا يرقى إليه الشك[٤].

إنَّ التباين الكبير بين منزلتي المرسِل والمتلقي جعل المرسِل يسلك مسلكاً سردياً بغية إيصال مقاصده الخطابية، فمسلك السرد قلل مِنْ حدة وجه المرسِل اتجاه متلقيه، ومن ثَمَّ تقبله.

---

[١] بنية النص السردي: ٧٧.
[٢] شعرية الرسالة الإخوانية: ١٩.
[٣] ينظر: نفسه: ١٢.
[٤] ينظر: نفسه: ٦٠.

وبذلك يكون لمسلك السرد أثر واضح في تحقيق المقاصد الخطابية المشار إليها سابقاً، ف بسرد الأحداث نهى عن مكاتبة غير النظير، وضرورة حفظ المقامات عند التخاطب.

كما أنَّ له الأثر في تحقيق الغرض مِنَ الخطاب وهو المدح بعد أنْ رمز إلى متلقيه بـــ (الأسد) بجامع القوة والهيبة في كليهما.

وعن طريق مسلك السرد تحققت الغايتين الخطابيتين، وهما كسب ودّ المخاطَب، وإرضاء الذات بمخاطَبة العظماء.

نخلص مِنْ ذلك إلى نتيجة مفادها: أنَّ بعض المسالك تتآزر مع بعضها لتحقيق بعض المقاصد والغايات، كما في المثال محل الدراسة، حيث تعاضد (السرد، والوصف) في إيصال المقاصد المشار إليها سابقاً.

٢: مسلك الوصف

الوصف هو: "ذكر الشيء بما فيه مِنَ الأحوال والهيئات"[١]، أو هو "الخطاب الذي يسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه"[٢].

ويرتبط الوصف بالسرد ارتباطاً وثيقاً مِنْ حيث إنَّ "النص السردي جماع خطابات... ومِنْ هذه الخطابات الوصف"[٣]، "فالوصف في السرد حتمية لا مناص منها له، إذ يمكن كما هو معروف أنْ نصف دون أنْ نسرد، ولكن لا يمكن أبداً أنْ نسرد دون أنْ نصف"[٤].

"ويقسم الوصف عادة إلى الوصف الموضوعي: وهو وصف يسعى لإظهار الموصوف كما هو في الواقع وغايته التوضيح ورسم صورة للموصوف مضاهية لحقيقته. والوصف الأدبي: وهو وصف يمتزج فيه الموصوف بالرؤية الذاتية للواصف"[٥].

---

[١] نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٤١.
[٢] وظيفة الوصف في الرواية: ١٣.
[٣] الوصف في النص السردي، محمد نجيب: ٣٨/١.
[٤] خصائص الخطاب السردي: ٢، وينظر: فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر: ١٠٨.
[٥] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٢٤.

"وينبغي أنْ تعرف أنَّ أجود الوصف ما يستوعب معاني الموصوف، حتى كأنَّه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك"[١]، كما أنَّ "أبلغ الوصف وأكثره تأثيراً ما يلتقط الأثر الذي يتركه الموصوف في مَنْ حوله"[٢]، "ويرتبط الوصف بغايتين خطابيتين هما الإفصاح والتأثير، وتتعدد أغراضه لتشمل المدح أو الذّم، أو الهجاء ،أو التقبيح ،أو الترغيب، أو الترهيب ،أو التنفير"[٣].

فمِنْ مصاديق الوصف في ما نحن في سبيله (رسائل المعري) قول أبي العلاء: "ولو كنت بالغاً في الأدب أطوريَّ، لكنت في تلك الحضرة كالقطرة تحت الصبير، والحصاة إلى جانب ثبير. فما بالي وأنا مثقل استعان بذقن، وطفل بهش إلى يفن، وذليل عاذ بقرملة، وعبد هتف بأمة"[٤].

يصف المعري نفسه أمام مخاطبه مشبهاً ومقارناً، فهو كالقطرة تحت السحاب، وكالحصاة إلى جانب الجبل، وحسبك ما بين طرفي التشبيه مِنْ فوارق كثيرة وكبيرة، فالقطرة لا تكاد تذكر أمام السحاب، فهي لا تساوي شيئاً، فحجم السحاب وارتفاعه يجعل مِنَ القطرة إذا ما قورنت به كالمعدوم، وكذلك هو الحال بالنسبة لمقارنة الحصاة بالجبل، فلعظم الفارق بين الجبل والحصاة، لا سبيل إلى المقارنة والقياس بينهما، وقد اختار هذا النوع مِنَ الوصف؛ ليعبّر لممدوحه أنَّه لا يعد نفسه شيئاً أمامه، بل إنَّه كالمعدوم أمام مخاطَبه، وقد عمد إلى المقارنة مشبهاً نفسه بـــ (القطرة، الحصاة) ومخاطَبه بـــ (الصبير، ثبير)؛ لأنَّ "المقارنة مِنْ أنجع الوسائل التي يلجأ إليها الأدباء لرسم صورة الموصوف"[٥] .

ثمَّ يصور الكاتب ما يعانيه مِنْ كبر السن، وفقر الحال، وضعف الجسم، فهو بأمس الحاجة إلى مَنْ يعينه على رفع ما يعانيه، لكنَّه لم يجد مَنْ يفعل ذلك؛ لأنَّ مَنْ حوله هم أشدّ منه فقراً وضعفاً؛ لذا نجده يشبه نفسه بالرجل الذليل الذي يستعين بآخر مثله أو كالذليل الذي لا يملك إلَّا (قرملة) وهي الشجر الضعيف الذي ينفضخ إذا وطئ، فهو لفقره لا يملك حتى ما يعينه على السير مِنَ الشجر القوي الذي يتوكأ عليه، فالكاتب هنا يصف نفسه ليعبّر عمّا يشعر به مِنْ

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٢٨، وينظر: العمدة: ٢٩٤/٢.
(٢) المصدر السابق :١٢٩.
(٣) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : ١٢٧.
(٤) رسالة الصاهل والشاحج: ٨١.
(٥) المصدر السابق : ١٢٤.

مآسٍ وأحاسيس ومشاعر بإتجاه الواقع الذي يعيش فيه، "ولعلَّ مِنْ أهم أنواع الوصف وصف الشخصيات لاستبطان مشاعرها وكشف دوافعها ونوازعها"[١].

ويواصل المعري الحط مِنْ نفسه أمام مخاطَبه، معدماً إياها ومصغراً، وفي المقابل مبالغاً في تعظيم مخاطَبه؛ ليترك القارئ يتخيل تلك الصورة لرجل قد أخذ الكبر مِنه مأخذه، ووهن عظمه وهو لا يملك شيئاً، ومن حوله كشجرٍ ضعيف إذا وطئ انفضخ، فأنّى لهم مساعدته؟، فنجد الكاتب أحاط بنفسه ومَنْ حوله وصفاً، حتى كاد يمثل هذا الوصف عياناً للقارئ، وهذا مِنْ أحسن الوصف وأجوده.

كما عمد الواصف إلى عقد مشابه بين طرفين يشتركان في صفتي الفقر والضعف، وهما، الأول: الكاتب، والكلام هنا عن (المعرّي)، والطرف الآخر هو: (الرجل الذليل أو المثقل، أو الطفل، أو العبد)، فمع تعدد المشبه به إلَّا إنَّه أراد مِنْ ذلك صفتي: الضعف والفقر، "وتسمى هذه العملية في النظام الوصفي بـــ (المماثلة) وهي تقريب أوجه تظهر خصائص شيئين هما في الأصل متغايران"[٢].

فجاء وصف المعري نفسه بالضعف بتشبيهه إياها بمَنْ عُرف عنه الضعف أو الفقر كـــ (العبد، الطفل، الرجل الذليل ،أو المثقل).

ونلحظ أنَّ المقطع الوصفي قد حافظ على وحدته الدلالية، بفضل أداة الانسجام (الواو)، فجاء بفضلها متسقاً ومنسجماً.

أراد المعري بمسلك الوصف تحقيق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: تعظيم (عزيز الدولة) وتفضيله على نفسه، والإقرار له بالعلم الغزير والمكانة المرموقة.

المقصد الثاني: التقرب مِنْ (عزيز الدولة) ؛لأن المعري قد صغر نفسه أمامه، وبالغ في التواضع؛ لأنَّ مِنَ الوظائف الأساسية للتصغير "أنَّها تستعمل بين المتخاطبين مِنْ باب الألفة

---

[١] نفسه : ١٢٦ ــ ١٢٧.
[٢] بنية الوصف ووظائفه: ٧٥.

والمودة... إذ يلجأ المتكلم إلى استغلال هذه الوسيلة في التضامن مع قصد التقرب والتواضع له، فهي تحد مِنْ حدة الأفعال اللغوية خصوصاً أفعال الطلب"[١].

المقصد الثالث: مدح (عزيز الدولة) بعد أنْ أقرَّ له بالعلم والمكانة وتفضيله على نفسه.

والغرض مِنْ ذلك: الطلب، فقد ساق المعري النص السابق مادحاً مخاطَبه ومعظماً إياه؛ ليكون هذا مقدمة تساهم في تحقيق طلبه، وهو رفع ما على أرض أبناء أخيه مِنْ أموال للدولة.

أمَّا غايته الخطابية فهي التأثير، فالمعري يسعى للتأثير في مخاطَبه عن طريق استعطافه ومدحه وتعظيمه، علَّ ذلك يكون عاملاً مساعداً في تحقيق طلبه.

يتضح لنا مما سبق أنَّ لمسلك الوصف الأثر الواضح في تحقيق المقاصد المذكورة سابقاً، والغرض ، والغاية، وأنَّ هذه المقاصد هي المحدد والموجه إلى ركوب مسلكٍ بعينه دون آخر، فلو أنَّ المتكلم أراد بيان مقاصده المشار إليها سابقاً بمسلك السرد أو الاستدلال، لما حصل على الدرجة العالية مِنَ التأثير على المتلقي كما الحال بالنسبة لمسلك الوصف، فالوصف هو المسلك الأنجع والأكثر اتساقاً والمقاصد المراد تحقيقها، بوصفه أكثر بياناً لصفتي الضعف والفقر في المخاطِب، وأشد تأثيراً على المخاطَب، وهذا ما يسعى إليه المعري.

ومِنْ نماذج الوصف (الخيالي) قول أبي العلاء: "فيطلَّع فيرى (إبليس) – لعنه الله – وهو يضطرب في الأغلال، والسّلاسل ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزَّبانية. فيقول: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله وعدوَّ أوليائه، لقد أهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها إلاّ الله"[٢].

لعن الله تعالى (إبليسَ)؛ لمعصيته، وإغوائه طوائف كثيرة مِنَ البشر، فيكون بعمله هذا "صورة للحقارة ،والذلّ ،والخبث، والشر، والعصيان، فقد جمع جلّ المساوئ والمنكرات"[٣]، فجزاه الله على ذلك باللعنة عليه ما دامت السماوات والأرض. قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ} [الحجر: ٣٥].

---

[١] تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية: ٨٥.
[٢] رسالة الغفران: ٣٠٩.
[٣] البنية العميقة في رسالة الغفران: ٧٧.

يصور الخطاب العلائي أعلاه مشهداً مِنْ مشاهد الآخرة التي تخيلها المعري أثناء رحلة ابن القارح إلى عالم الآخرة، وهو هنا يصور ما يعانيه (إبليس) مِنْ عذاب جهنم بعد أنْ يتحقق وعيد الله له ولمَنْ تبعه، بأنْ يدخلهم جهنم خالدين فيها؛ ليذوقوا عذاب الحريق، فيصوره على أنَّه "مقيد بالسلاسل، إنَّه فاقد للحركة والحرية، وهذه دلالة على مآله الوضيع نكال أفعاله، وقد أدت ألفاظ (الاضطراب،الأغلال،السلاسل) معنى الشدة والعذاب"[١]، فيحيل والمعري بهذا الوصف والتصوير إلى الآية الكريمة:{إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ}[غافر: ٧١].

إنَّ تصوير إبليس مقيداً في جهنم يزيد المشهد العذابي بشاعة وفضاعة وهولاً، فمع ما يعانيه في جهنم مِنْ شدة الحرِّ، قيد بالسلاسل؛ ليزداد إحراقاً وعذاباً إلى عذابه.

ثمَّ يذكر المعري بعد ذلك تمسك إبليس بالمعصية وفعل المنكرات، وذكر ما فحش مِنَ القول، فهو مع ما هو فيه مِنْ عذاب نجده يلحق التهم بالآخرين ويكذب عليهم، إذ يسأل مَنْ في الجنة: "هل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلدين، فعل أهل القريات"[٢]، فهذا يدل على تمسكه بما فحش مِنَ القول، وعدم الرغبة في التوبة مِنه، فيكون بعمله هذا قد استحقَّ عذاب جهنم جزاءً له على ما فعل مِنَ المنكرات، كما ويصف المعري حال مَنْ رضي بإبليس إماماً، وتبعه في عمل المنكرات والقول السيء، فهو لا بدَّ مِنْ أنْ يلقى ما لقي (إبليس) مِنْ عذاب وخزي ولعنة، فهذا (بشار بن برد)[٣]، الذي رضيَ بفعل إبليس، بل فضله على آدم – عليه السلام – قد ألقي في جهنم مع إبليس، فهو "يغمِّض عينيه حتى لا ينظر إلى ما نزل به من النِّقم، فيفتحها الزَّبانية بكلاليب من نارٍ... وقد أعطي عينين بعد الكمه، لينظر إلى ما نزل به من النَّكال"[٤].

يبين المعري فيما سبق حال (بشار بن برد) الذي عُرف بفسقه وكفره، وهو يعذب في جهنّم، وقد أعطي عينان بعد أنْ كان في الدنيا أعمى، فبصره اليوم حديد؛ ليرى ما نزل به مِنَ العذاب جزاءً له على كفره ومعصيته، وهو يغمض عينيه لشدّة ما لحقه مِنَ العذاب، ولبشاعة المنظر وفظاعته، لكن لا يسمح له بذلك، بل تفتح عيناه بكلاليب مِنْ نار؛ ليزداد عذاباً إلى ما

---

[١] البنية العميقة في رسالة الغفران : ٧٨.
[٢] رسالة الغفران: ٣٠٩.
[٣] بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي ،كان شاعرا مجيدا وعد من الخطباء البلغاء ،وشي به إلى المهدي بأنه يدين بدين الخوارج فقتله المهدي : طبقات الشعراء :٢١ ، ووفيات الأعيان ، ١ /٢٧١ .
[٤] رسالة الغفران: ٣١٠ .

هو فيه، ففتح عينيه بكلاليب مِنْ نار يضيف عذاباً أخر فضلاً عن النظر إلى ما لحق به مِنْ شدّة العذاب.

أراد المعري مما سبق أنْ يبين المقاصد الآتية:

المقصد الأول: النهي عن اتخاذ الشيطان إماماً.

المقصد الثاني: تقبيح وذم كل ما يمتّ إلى الشيطان بصلة مِنْ قول أو فعل.

المقصد الثالث: إظهار الكافرين، والفاسقين بصورة الذلّ ،والهوان.

أمَّا أغراضه الخطابية فهي ترغيب المتلقي بالعمل الصالح وتوجيهه إليه، وترهيبه مِنْ مصير مَنْ يعمل المنكرات، ويتبع القول السيء، ويرضى به.

أمَّا غايته فهي التأثير في المتلقي؛ ليسلك طريق الصواب بأنْ يأتمر بأمر الله، ويجتنب نواهيه.

نلحظ مما سبق مساهمة (الوصف) في بيان المقاصد والأغراض الخطابية، فكان بمنزلة الطريق الأكثر بياناً للمقاصد مِنْ غيره مِنَ المسالك، والأشد تأثيراً على المتلقي؛ إذ جعل المتلقي كأنَّه يرى تلك المشاهد أمام عينيه، وهذه سمة مقتصرة على مسلك الوصف دون غيره مِنْ المسالك الخطابية الأخرى.

٣ : مسلك الاستدلال

عرّف المناطقة (الاستدلال) بأنَّه: "استنتاج قضية مجهولة مِنْ قضية أو عدّة قضايا معلومة.

أو هو: التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر مِنْ الأحكام التصديقية المعلومة.

فهو إذاً عملية عقلية منطقية، ينتقل فيها الباحث مِنْ قضية أو عدّة قضايا إلى قضية أخرى تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى التجربة"[١].

وعرّفه الأصوليون بأنَّه: "طلب الدلالة والنظر فيها، للوصول إلى العلم بالمدلول"[٢].

والفرق بين الدلالة والاستدلال: "أنَّ الدلالة ما يمكن الاستدلال به، والاستدلال فعل المستدل"[٣].

أمَّا في اللسانيات الحديثة فقد عُرِّف الاستدلال بأنَّه: "عملية منطقية تنطلق مِنْ عدد معين مِنَ المعلومات المعروفة (المقدمات المنطقية)؛ لتولد منها نتيجة أو نتائج جديدة"[٤].

أو هو "نمط مِنَ الخطاب يرمي إلى حثّ المخاطَب على القناعة بأمر ما بتقديم دعوى مدعومة بواحد أو أكثر مِنَ الأدلة ،والإحصائيات، والأشكال التوضيحية ،وضرب الأمثلة ،والاستشهادات ،والتوجيه العاطفي"[٥].

"والفرق بين الحد المنطقي للاستدلال والحجاج البلاغي، أنَّ المنطق يعتمد على مسلمات مقبولة لا تخضع لأي طعن، باعتباره نسقاً معطى يخالف الحجاج البلاغي الذي يتبنى منهج الشك في كل شيء"[٦].

"ولا ينفك الدليل عن الإنسان، بل إنَّ الأدلة موجودة في الإنسان مِنْ جهة كونها بناءات مِنْ ذهنه... ومِنْ جهة تعلقها بانفعالاته، ومِنْ جهة ارتباطها باعتقاداته ومقاصده"[٧]، "ومِنْ أهمّ وظائف الاستدلال إثبات صدق القضايا؛ لأنَّه توجد بعض القضايا التي لا يتم التعرف إليّها إلّا بصورة غير مباشرة، وذلك بفضل العلاقات المنطقية التي تربطها ببعض القضايا التي سبق ثبوت صدقها، وقد يقوم الاستدلال بوظيفة أخرى كإثبات كذب قضية ما، أو ما يسمى

---

[١] ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن الميداني: ١٤٩.
[٢] أصول الفقه والقواعد الفقهية، أحمد بن علي الجصاص: ٩/٤.
[٣] الفروق اللغوية: ٧٠.
[٤] التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار: ٦٢.
[٥] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٣٠.
[٦] الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، بوزناشه نورالدين: ٧.
[٧] الاستدلال والتواصل غير اللغوي، سعيد بنتاجر: ٦.

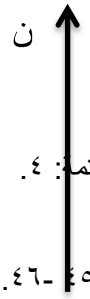
بالتفنيد"[١]، "ويترتب على الاستدلال إحداث منجزات ثلاثة: منها اثنان يحدثهما المتكلم وحده، وهما الدعوى، والبينة، ومنها واحدة يشترك فيها المتكلم والسامع وهي القناعة"[٢] .

"ويجب التمييز بين الاستدلال والحجاج... فالأقوال التي يتكون منها استدلال ما، مستقلة عن بعض، بحيث أنَّ كلَّ قول منها يُعبّر عن قضية ما، أي يصف حالة ما، أو وضعاً ما، مِنْ أوضاع العالم، باعتباره وضعاً واقعياً أو متخيلاً، ولهذا فإنَّ تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسساً على الأقوال نفسها، ولكنَّه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم.

أمَّا الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واستقلالها داخل الخطاب"[٣].

"وتقوم الروابط الحجاجية بدور مهمّ في ضمان وحدة المقطع الحجاجي وجعله منسجماً تداولياً وحجاجياً"[٤]، "والروابط الحجاجية جملة مِنَ الأدوات توفرها اللغة ويستغلها الباث، ليربط بين مفاصل الكلام ،ويصل بين أجزائه، فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية المقصودة، التي يراها مؤسس الخطاب ضرورية"[٥]، ومِنَ الروابط الحجاجية في العربية (بل، لكن، حتى، حتى، بما أنَّ، مع ذلك، لا سيما...)"[٦].

"وقد تتدرج الحجج مِنَ الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية وصولاً إلى النتيجة المتوخاة مِنَ المرسل، وهذا ما يعرف بالسلَّم الحجاجي"[٧]، ويحدد (ديكرو) مفهوم السلَّم الحجاجي بقوله[٨]: بقوله[٨]: "نسمي القسم الحجاجي الذي يقوم على علاقة تراتبية سلَّماً حجاجياً واختصاره (س. ج) ونمثله بالشكل التالي:



(١) آليات الاستدلال الحجاجي، خديجة كلاتمة: ٤.
(٢) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٣٣.
(٣) اللغة والحجاج: ١٧.
(٤) الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي: ٤٥-٤٦.
(٥) اسلوبية الحجاج: ٨٣.
(٦) نفسه: ٧٣.
(٧) نفسه: ١١٧.
(٨) العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عز الدين الناجح: ١٣٨ – ١٣٩.

ـــــ ج٢

ـــــ ج١

ن= النتيجة

ج= الحجة

"ويتسم السلَّم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

أ- كل قول يرد في درجة ما مِنَ السلَّم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة لـــ(ن).

ب-إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن) فهذا يستلزم أنَّ (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس صحيح"[١].

"لقد انطلقت نظرية الحجاج في اللغة مِنْ داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستن وسورل"[٢]، حيث "تؤدي الأفعال الكلامية بأنواعها الثلاثة عند أوستن (الفعل القولي، العمل المتضمن في القول، عمل التأثير في القول) تؤدي دوراً حجاجياً يكون ناتجاً عن العلاقة التلازمية أو الاقتضائية بين أفعال الكلام، فالفعل الأول فعل الكلام، والثاني قوة فعل الكلام، لذلك يمكن مقابلة الأفعال اللغوية ببناء منطقي تحدد ملامحه بالمقدمة والعرض أو الإثبات ثم النتيجة، ومن ثَمَّ يعكس هذا التسلسل رؤية حجاجية تداولية تتماهى في بنية القول"[٣]، "وعليه يستند الحجاج إلى الأفعال الكلامية لتحقيق التأثير على المتلقي، سواء أكان في سلوكه أم معتقدة وفق ما يقتضيه الموقف الكلامي"[٤].

"وفي كثير مِنَ الأحيان يلجأ المحاج إلى المسالك الحجاجية الضاغطة مثل:

١- التراكم: وهو تعاقب الأدلة لمحاصرة الخصم.

٢- التدرج: وهو الابتداء بالدليل الأضعف والانتهاء بالأقوى.

---

[١] اللغة والحجاج: ٢١.
[٢] ا نفسه: ١٥.
[٣] الحجاج في الدرس اللغوي الغربي: ١٢.
[٤] نفسه: ١٢.

٣- التكرار: وهو الإعادة بالمرادف لتعزيز الحجة"[١].

"ويميل المتخاطبون العاديون إلى استخدام مسالك كثيرة في محاجتهم اليومية: منها الحكاية، وذكر المثل، وذكر النموذج، والتلطف، والترغيب، والتنفير، وقياس الأولى أو مفهوم الموافقة، وإثبات النضير، والاستدلال بالخلف"[٢].

نخلص مما سبق في حديثنا عن مفهومي الاستدلال والحجاج إلى أنَّهما تقنيتان خطابيتان يسلكهما المتكلم لإقناع متلقيه بإثبات قضية ما، أو نفيها أو توضيحها، مِنْ حيث "أنَّ بعض الشواهد لا تستعمل لأجل البرهنة وإنَّما لأجل التوضيح"[٣].

ويشترك (الاستلزام الحواري) مع الاستدلال والحجاج في كونه استنتاج قضية ما مِنْ قضية أو قضايا أخرى، فالاستلزام "يقدم تفسيراً صريحاً لقدرة المتكلم على أنْ يعني أكثر مما يقول بالفعل، أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة"[٤].

وسنوضح مفهومي الاستدلال والحجاج بعرض بعض المصاديق لهما في رسائل أبي العلاء.

"كتب المعري إلى ابن أبي الرّجال معزياً إياه بولده أبي الأزهر، قال: القدر غالب أبي، فالعياذ بالله أنْ نقول كما قال المحاربيُّ[٥] في خاله، لمَّا علق الموت بحباله: ولكن إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. كلّ مَنْ عليها فان"[٦].

تسلسلت الحجج في النص العلائي السابق ورُتبت ترتيباً تصاعدياً، حيث بدأ النص بالحجة الأضعف مِنْ حيث السلطة، وهي: القدر غالب أبي، فالموت حقيقة حتمية وقارّة لدى الإنسان، لا سبيل لردّه أبداً، ثم ذكر قوله تعالى: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]، فتأكيد الآية بمؤكدين وهما: اسمية الجملة ودلالتها على الثبات، وحرف التوكيد (إنَّ)، كما أنَّ سلطة

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٣٥.
[٢] نفسه: ١٣٣.
[٣] الحجاج في الدرس اللغوي الغربي: ١٠.
[٤] الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٩.
[٥] رُقيم أخو بني الصادرة المحاربي، الظاهر أنَّه شاعر اسلامي، خزانة الأدب: ٣٧/٧ -٣٨.
[٦] رسالة في تعزية أبي علي بن أبي الرجال: ٢.

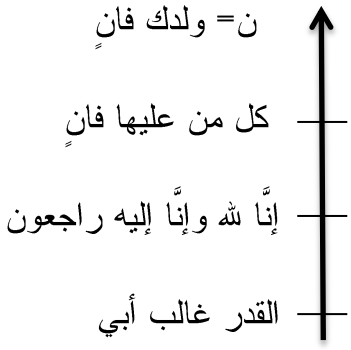
النص المكتسبة بمرجعيته إلى الله سبحانه وتعالى أضفت على الحجة قوة حجاجية كبيرة، جعلتها أقوى مِنْ غيرها ممن كانت مرجعيتها إنسانية.

ثمَّ ذكر الحجة الثالثة وهي قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: ٢٦]، والآية الكريمة وإنْ لم تشر إلى غير العاقل بالفناء كالحيوان والجماد وغيرهما بدليل (مَنْ) الموصولة التي هي للعقلاء؛ إلَّا أنَّ المعري أراد بذكرها هنا كل ما على الأرض، بدليل ذكره موت الإنسان، كالأنبياء والملوك والأشراف، وموت الحيوان، كحمر الوحش والأسد، وموت الطيور كالحمام والباز، وموت الحشرات كالجراد والنمل...إلخ.

فهذه الحجة لعمومها وشمولها كل ما على الأرض فضلا عن سلطتها وتأثيرها على المتلقي، ومنطقيتها ومطابقتها للواقع، كل ذلك جعلها الأقوى في السلَّم الحجاجي مِنْ بين الحجج المذكورة.

تعاضدت الحجج مع بعضها واتسقت دلالتها المنطقية مؤدية في ذلك إلى النتيجة الضمنية وهي (ولدك فانٍ).

ويمكن أنْ نبين ترتيب الحجج السابقة في الشكل الآتي مِنَ السلَّم الحجاجي:



نلحظ مِنَ الشكل أعلاه أنَّ الحجج رُتبت ترتيباً تصاعدياً، أي مِنَ الأضعف إلى الأقوى، و أنَّها أدت جميعها إلى نتيجة واحدة.

ونجد في النص السابق أنَّ للسياق أثراً في اختيار بعض الأدلة للتأثير على المتلقي، فاستدلال المخاطِب بآيتين مِنَ القرآن الكريم إنَّما سوغ له ذلك؛ لأنَّه يخاطب واحداً مِنَ

المسلمين، ولو كان خطابه لغير المسلم لما سوغ له استعمال نص مِنَ القرآن أو أي نص إسلامي لغرض التأثير على المخاطب، وأنَّ دلالة الحجج جاءت منسجمة ومقام التعزية، بحث المتلقي على الصبر، ونهيه عن الجزع.

وكان للرابط الحجاجي (لكن) أثر في ربط الحجج وترتيبها مِنْ حيث القوة والضعف، "فالدليل الذي يرد بعد (لكن) يكون أقوى مِنَ الدليل الذي يرد قبلها، وتكون له الغلبة بحيث يتمكن مِنْ توجيه القول بمجمله، فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل ويخدمها هي نتيجة القول برمته"[١]، وهذا ما اتضح لنا في السلّم الحجاجي، حيث بدت الحجة "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون" أقوى وأعلى مرتبة مِنْ قوله: "القدر غالب أبي".

ويمكن أنْ نعدّ الآيتين السابقتين في نص أبي العلاء مِنَ الحجج الجاهزة أو الشواهد، و"هي مِنْ دعامات الحجاج القوية؛ إذ يضعهما المخاطِب في الموضوع المناسب، وهنا تتبدى أهليته، وبراعته في توظيفهما بحسب ما يتطلبه السياق... ونقلهما على لسان المخاطب ينبئ عن كفاءته التداولية، إذ يمكن توظيفهما التوظيف المناسب في خطابه، وبهذا فهي تعلو الكلام العادي درجة، مما يجعلها ترقى في السلّم الحجاجي إلى ما هو أرفع"[٢].

وبذلك يكون المعري قد سلك سبلاً استدلالية منطقية وآليات استدلالية اسلامية، مبتغياً بذلك بيان مقاصده الخطابية، التي مِنْ أهمها:

المقصد الأول: تذكير المتلقي بحتمية الموت والفناء.

المقصد الثاني: دعوته وحثَّه إلى الصبر على المصائب، والرضا بقضاء الله في خلقه.

المقصد الثالث: بث الصبر في قلب متلقيه، وتخفيف ألم الفراق عليه.

أمَّا الغرض مِنْ ذلك فهو الإقناع والثبوت العقلي، أمَّا غايتاه الخطابيتان فهما:

---

[١] الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي: ٤٦.
[٢] الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ اسماعيل:١٢٨/٢.

الأولى: إعادة اللغة العربية إلى منابعها، وروافدها الأصلية ؛لأنه جعل "النزعة الكلاسيكية سيطرت على الرسالة فاستمدت مِنَ الجاهلية وحدها الشخصيات والأحداث والأقاصيص"[١]

الثانية: إظهار سعة ثقافته "وهي ثقافة متأثرة بنوع المصادر التي قرأها، مشمولة بمسحة شرقية غالبة.

وقد كان في التأريخ اليوناني والروماني وفي قصة الاسكندر على وجه الخصوص مجال واسع لخيال المعري وسجعه وهو يتحدث عن جبروت الموت"[٢].

ومما سبق نلحظ تناغم بعض المقاصد (التذكير بحتمية الموت) مع المسلك المتّبع في بيانها، وكذلك نجد تناغماً واضحاً مع الغرض الخطابي أيضاً (الإقناع)، إذ لا يتحقق هذا المقصد أو الغرض إلَّا أنْ يسلك المرسل مسلكاً استدلالياً حجاجياً.

ومِنْ مصاديق الاستدلال "ما كتبه المعري إلى أبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي لمّا استدناه إلى حضرة الأمير عزيز الدولة دام عزه:

لو أهديت إلى حضرة سيدي الربيع يُزهي بأحسن زهره، والبحر يتباهى بالنفيس مِنْ جوهره، لكان عندي أنِّي قد قصّرت واختصرت، فكيف بي ولا أقدر أنْ أهدي زهرةً، ولا أنتزع صدفةً فدع الجوهرة، والرائد لا يكذب أهله"[٣].

استعمل المرسِل في النص الحجاجي أعلاه آلية الاستدلال "بالقياس الشرطي، وهو استدلال غير مباشر، تكون فيه القضايا أكثر تركيباً وأشدّ تعقيداً... ويتركب القياس الشرطي مِنْ جزأين بينهما أدوات الشرط، ويكون الحكم فيه بوجود نسبة بين قضية وأخرى، أو عدم وجودها، وينقسم القياس الشرطي إلى قسمين:

القياس الشرطي المتصل وهو ما يلزم تحقق الشرط تحقق الجزاء، فيجتمع الطرفان في الوجود وفي العدم، ومِنْ أدواته (إذا)، و(لو).

---

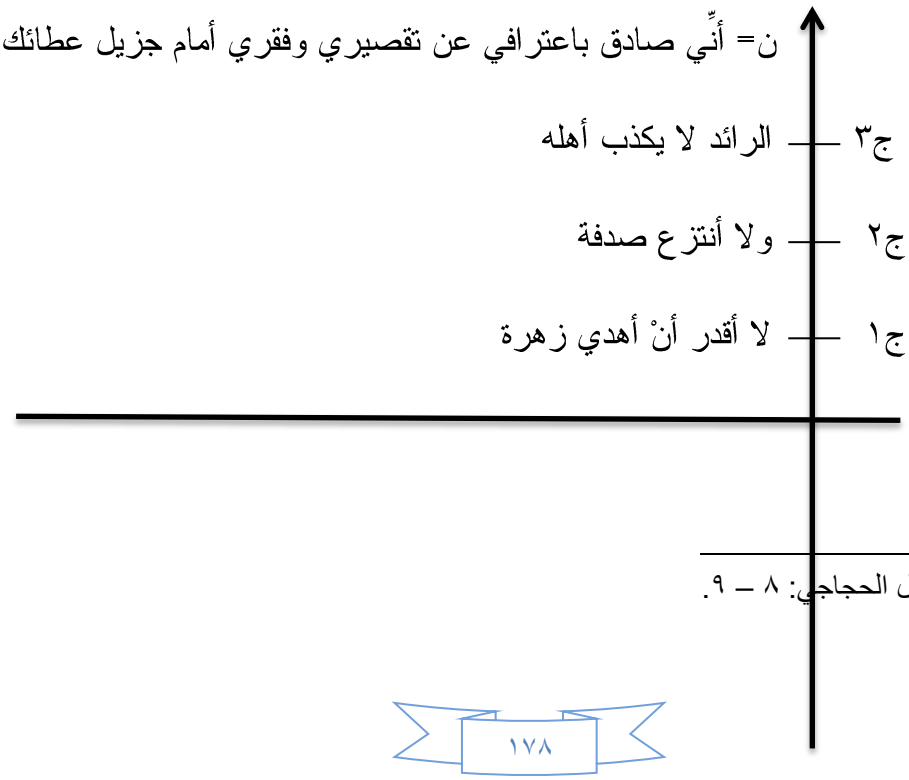
[١] رسالة في تعزية أبي على الرجال: ز
[٢] رسالة في تعزية أبي علي الرجال : ز.
[٣] رسائل أبي العلاء المعري : ١١٨.

والقياس الشرطي المنفصل: ويراد به المنع عن الجمع وعن الخلو معاً. كقولك: كل اسم فإمّا أنْ يكون معرب، وإمّا أنْ يكون مبني"[١] ، و"الجزء الأول مِنَ القضية الشرطية يسمى (المقدم) أمّا الجزء الثاني فيسمى (التالي)"[٢].

نجد أنَّ المرسل استعمل في النص السابق القياس الشرطي المتصل بالأداة (لو)، وعبارة (لو أهديت) هي الرابط، بينما كان قوله: "إلى حضرة سيدي الربيع يزهى بأحسن زهره، والبحر يتباهى بالنفيس مِنْ جوهره" هو المقدم، أمَّا (التالي) فهو قوله: "لكان عندي أنِّي قد قصرت واختصرت".

و نجد أنَّ الحجج قد رتبت ترتيباً تصاعدياً، مِنَ الأضعف في دلالتها على صدق الاعتراف بالتقصير والعجز عن ردّ الإحسان إلى الأقوى، فقوله مثلا: "لا أقدر أنْ أهدي زهرة" أقوى دلالةً على العجز والتقصير مِنْ قوله: "لو أهديت إلى حضرة سيدي الربيع.."، وقوله: "والبحر يتباهى بالنفيس مِنْ جوهره"؛ لأنَّ مَنْ يعجز عن تقديم زهرة لا ريب أنَّه عاجزٌ عن تقديم ما هو أكبر مِنْ باب حكم الأولوية.

وبمكن أن نوضح ترتيب الحجج بالسلَّم الحجاجي في الشكل الآتي:



[١] آليات الاستدلال الحجاجي: ٨ – ٩.
[٢] نفسه: ٨.

ن ـــــ لكان عندي أني قد قصرت واختصرت

ج٢ ـــــ والبحر يتباهى بالنفيس من جوهره

ج١ ـــــ لو أهديت إلى حضرت سيدي الربيع يزهى بأحسن زهرة

فكل حجّة في السلّم الحجاجي هي أضعف مما يعلوها مِنَ الحجج الأخرى، حتى نصل إلى الحجة الأقوى (الرائد لا يكذب أهله)، حيث استدل المرسِل بهذا المثل على صدقه في الاعتراف بتقصيره وعجزه، "وفي هذا المثل إشارة إلى وظيفة الرائد الذي ينقذ أهله مِنَ العطش ومِنَ الجوع بالبحث لهم عن الماء والكلأ، وهذا الرائد لا يكون عادةً إلَّا أصدق القبيلة لساناً، وأكثرهم حكمة وحدباً على قومه"[١]، فالمرسِل يمثل نفسه بالرائد المعروف بالصدق في قوله، وهو هنا يريد إقناع متلقيه بصدق اعترافه وإقراره في تقصيره تجاه اتجاهه؛ لأنّ "هدف الخطاب الحجاجي الإقناع"[٢]، "ولا يصح الاستدلال إلَّا إذا كانت هناك علاقة بين الحجة والنتيجة"[٣]، والعلاقة في النص السابق بين المثل والنتيجة إنَّما هي الصدق في القول؛ "ولذا فإنَّ الأمثال باعتبارها مسلمات استدلالية حجاجية أو بعدِّها حججاً جاهزة قوية، تتيح لنا القيام باستدلالات طبيعية وتداولية"[٤]، "فالأمثال مِنَ الحجج التي تعتبر لها قوة حجاجية عالية بحيث لا يمكن دحضها وإبطالها بسهولة"[٥].

مِنَ المقاصد التي أرادها المعري ما يأتي:

المقصد الأول: بيان إحسان المتلقي إليه، حتى إنَّ المعري بدا عاجزاً عن ردّ اليسير منه.

المقصد الثاني: إظهار المعري عجزه وتقصيره اتجاه متلقيه الذي أغرقه بالفضل والمعروف.

أمَّا غرضه الخطابي فهو مدح المتلقي، وذلك بأنَّ فضَّله على نفسه، بأنْ جعله صاحب معروف ليس باستطاعته (المرسِل) أنْ يردّ يسيره؛ لعظمته.

---

[١] الحجاج في الخطبة النبوية، د.جمعان عبد الكريم: ١٨.
[٢] آليات الخطاب الحجاجي: ٣.
[٣] الحجاج اللغوي عند ديكرو وانسكومبر: ٢.
[٤] الخطاب والحجاج: ٩٣.
[٥] نفسه: ٨٩.

أمَّا غايته الخطابية فهي الإفصاح، فالمعري أراد أنْ يفصح عن مشاعره وانطباعاته ورغبته في تقديره وشكره لمتلقيه؛ لأنَّه استدناه إلى (حضرة الأمير عزيز الدولة دام عزَّه)، وهذا عمل يستحق صاحبه الشكر والثناء.

نلحظ مما سبق أنَّ مسلك الاستدلال هو الأكثر تناغماً مع المقاصد المذكورة، وكأنَّ المعري يريد أنْ يقول أنَّ الأدلة على تقصيري كثيرة، وأنا صادق باعترافي في التقصير، فرأى أنَّ مسلك الاستدلال هو الأكثر إقناعاً للمتلقي والأشد تأثيراً عليه؛ ولذلك فضله على غيره.

"وقد يلجأ المحاجّ إلى مسلك المغالطة المنطقية(السفصطة) أو مسلك الاستمالة العاطفية لتمرير دعواه، ومِنْ بين أهمّ المغالطات:

١- تشويه سمعة الخصم.

٢- القلب الشرطي.

٣- اللبس.

٤- البرهنة بحادثة.

٥- الاحتجاج بالسلط"[١].

فمن مصاديق (البرهنة بحادثة) ما أورده المعري على لسان (ابن القارح) وهو يروي ما حدث في الجنّة بين (النابغة)[٢] و(الأعشى)[٣] مِنْ مشادة كلامية، وصف النابغة فيها الأعشى بأنَّه مات كافراً، وأنَّه قد أقرَّ على نفسه بالفاحشة – في الدار الفانية – ثمَّ يشتد الحوار بينهما، فيصف الأعشى النابغة بالخرف وخفة العقل فـ "يثب (نابغة بني جعدة) على (أبي بصير) فيضربه بكوز مِنْ ذهب. فيقول[٤] – أصلح الله به وعلى يديه – :لا عربدة في الجنان، إنَّما يُعرف ذلك في الدار الفانية بين السفلة والهجاج[٥]، وإنَّك يا (أبا ليلى) لمنتزع[٦]. وقد روى في في الحديث، أنَّ رجلاً صاح بالبصرة: يا آل قيسٍ! فجاء (النابغة الجعديُّ) بعصيّةٍ له، فأخذه

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٣٥ – ١٣٦.

[٢] قيس بن عبد الله، أبو ليلى، شاعر مفلق، صحابي مِنَ المعمرين، وفد على النبي فأسلم وأدرك صفين فشهدها مع علي عليه السلام، مات في أصبهان، معجم الشعراء العرب: ٨٥١/١.

[٣] ميمون بن قيس بن جندل، مِنْ شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، غزير الشعر، سمي (صناجة العرب)، معجم الشعراء العرب: ٥٤٤.

[٤] القائل هو ابن القارح.

[٥] الهجاج: رجل هجاجة: أحمق، ينظر: تهذيب اللغة: ٢٢٦/٥.

[٦] المنتزع: المتسرع، العين: ٣٥٧/١.

شرط (أبي موسى الأشعريّ)[١] فجلده لأنَّ النبيَّ، صلّى الله عليه وسلّم، قال: من تعزىّ بعزاء الجاهليّة فليس منّا[٢] "[٣].

نجد في النص أعلاه أنَّ الراوي استدل على إثبات قضيته، وهي نفي اللغو والعربدة في الجنّة، وهي مقصورة فقط على الدار الفانية، استدلّ بحادثة كانت قد وقعت في الدار العاجلة، وهي أنَّ رجلاً صاح يا (آل قيس) فجلد؛ لاحتكامه إلى ما ورثه عن آبائه مِنْ عادات وتقاليد تتعارض والإسلام، و أنَّ حكمه جاء مِنْ دون تروٍ أو تعقل وهذا ما لا ينسجم والعقل.

ثمّ يسوق المحاجّ دليلاً آخر بـــ (الحجاج بالسلطة) وذلك "بنسبة القول إلى مَنْ له تأثير سلطوي في المتلقي"[٤]، والدليل هو ذكره ما روي عن النبيّ – صلى الله عليه وآله وسلّم – قوله: "مَنْ تعزى بعزاء الجاهلية فليس منّا"، وهذه حجة قوية ليس مِنَ السهل ، بل لا يمكن دحضها، كما أنَّ مَنْ نُسب له القول (النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –) يتمتع بسلطة قوية مكتسبة مِنَ الله سبحانه تعالى، وحسبك ما لذلك مِنْ أثر على السامع.

إنَّ استدلال المحاجّ على تأكيد قضيته بمغالطتين حجاجيتين، وهما (البرهنة بحادثة)، و(الحجاج بالسلطة)، جعل ما أراد إثباتها مِنْ قضية حقيقة ثابتة، لا يمكن دحضها.

ومِنْ أهم المقاصد التي أرادها المعري بمسلك الاستدلال ما يأتي:

المقصد الأول: إنكار ما يتعارض والإسلام مِنَ الموروث الجاهلي، كالعادات ،والتقاليد السيئة.

المقصد الثاني: التأكيد والإقرار والتذكير بما أعدَّه الله سبحانه لأهل الجنان مِنْ نعيم كقوله تعالى: {لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا} [مريم: ٦٢]، وقوله: {لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ} [الواقعة: ١٩]، وقوله تعالى: {وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ} [الإنسان: ١٥].

---

[١] أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن حظار ابن عامر بن الأشعر، أسلم بمكة. زلاه عمر البصرة سنة عشرين، ثم ولوه أهل الكوفة عليهم فأقره عثمان، الاستيعاب: ١٧٦٤/٤ – ١٧٦٥.
[٢] ذكر في كتب الحديث بصيغة" من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا"، مسند أحمد: ١٥٨/٣٥.
[٣] رسالة الغفران: ٢٣١.
[٤] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٣٧.

أمَّا الغرض مِنَ الخطاب فهو توجيه السامع إلى الالتزام بقواعد الإسلام؛ ليفوز بما أُعدَّ للمؤمنين مِنْ نعيم دائم في الآخرة.

أمَّا غايتاه فهما: التأثير والإقناع ،للتنفير مِنَ الأعمال التي تتعارض وقواعد المشرّع الإسلامي، والترغيب بالتمسك بقواعد وتعاليم الدين الإسلامي، كونه ما يأخذ بالإنسان إلى سواء السبيل.

يتبين مما سبق تآزر وتعاضد المسالك الخطابية مع بعضها، وهي (السرد، الوصف، الاستدلال)، وهذا يدل على أنَّ "الاستدلال لا ينقطع تماماً عن المسالك الأخرى؛ إذ قد تصبح الحاجة ماسّة إلى التعريف، والشرح، أو السرد، أو الوصف ،أو السبر، والتقسيم، إمَّا لغرض التوضيح... أو لتعزيز الحجة ،وتنويع طرائق الحجاج"[١].

٤ : مسلك الشرح

"غاية الشرح تقديم معلومات عن الموضوع، وتوضيح مصطلحاته وملابساته، ومِنْ وسائله التعريف، والتفصيل بالإجمال، والتصنيف ،والتفريع، والمقارنة، والتمثيل، والسبر والتقسيم"[٢]، وسنوضح مفاهيم بعض هذه الوسائل فيما يأتي:

أ-التعريف هو: "تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة"[٣]، وهو "عند المنطقيين والمتكلمين الطريق الموصل إلى المطلوب التصوري ويسمّى معرِّفاً بكسر الراء المشددة وقولاً شارحاً أيضاً، ويسمى حدا أيضاً عند الأصوليين وأهل العربية[٤].

"وينقسم التعريف المنطقي على قسمين:

التعريف بالحد: يحد خصائص الشيء الجوهرية بذكر الجنس والفصل – كقول أرسطو (الإنسان حيوان ناطق).

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٣٢ – ١٣٣.
[٢] المعجم الوسيط: ٥٩٥/٢.
[٣] كشاف اصطلاحات الفنون: ٤٨٢/١.
[٤] نفسه: ٤٨٢/١.

وتعريف بالوصف: يحدد خصائص الشيء الجوهرية وغير الجوهرية، كوصف الإنسان بأنَّه له يدان ،ويتكلّم ويمشي"[١].

"ومِنْ شروط التعريف السليم أنْ يكون جامعاً مانعاً، والمقصود بالجامع أنْ ينطبق على كل الأفراد الذين يشملهم التعريف، وبالمانع أنْ يستبعد كل الأفراد الذين لا يشملهم...

وقد تعوّد الناس أنْ يصوغوا تعريفاتهم بطرائق شتى منها التعريف بذكر النموذج، وذكر المثال، والإشارة إلى واحد مِن أفراد الماصدق، والتعريف بذكر مرادف المعرِّف"[٢] .

ومِن مصاديق التعريف عند أبي العلاء في رسائله، قوله: "وقد مدحتك بأشعارٍ كثيرةٍ، ووسمتها باسمك. فقال: وما الأشعار؟ فإنِّي لم أسمع بهذه الكلمة قطّ إلا الساعة. فقلت: الأشعارُ جمع شعرٍ، والشعر كلامٌ موزونٌ تقبله الغريزة على شرائط، إن زاد أو نقص أبانه الحسُّ، وكان أهل العاجلة يتقربّون به إلى الملوك، والسادات"[٣].

أورد المعري هذا النص على لسان ابن القارح محاوراً (أمين الجبّار على الفراديس (رضوان)، متوسلاً إليه وطالباً منه الإذن بالدخول إلى الجنة، لكن (رضوان) يرفض السماح له والإذن بالدخول، وينكر معرفته بالشعر الذي جعله ابن القارح وسيلة للتقرب إلى (رضوان) في سبيل تحقيق طلبه بالإذن في الدخول، فيبدأ ابن القارح بتعريف الشعر عن طريق ذكر خصائصه وسماته التي تميزه عن غيره مِنَ الكلام.

فقوله: كلام يشمل الشعر والنثر، وإضافته قيد (الوزن) لذلك الكلام. أبعد النثر، كونه غير موزون، وذكره: شرط قبول الغريزة، أبعد ما لا تقبله الغريزة مِنْ غير الجيد مِنَ الشعر، كما أنَّ ذكره فائدة الشعر في الدار العاجلة أبعد وأخرج مالم يستعمل لهذا الغرض كمدح الشاعر نفسه، وهجاء الملوك والأمراء وغير ذلك مما لا يدخل تحت هذا الشرط.

فنجد أنَّ تعريف المعري الشعر جاء جامعاً لأفراد هذا المصطلح مانعاً مِنْ دخول غيره فيه، فجاء التعريف مطابقاً لحد التعريف المنطقي، الذي يكون "بذكر جنس الشيء وفصله

---

[١] التعريف المعجمي أنواعه ووسائله، د. سنان سناني: ٥ – ٦.
[٢] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٣٩.
[٣] رسالة الغفران: ٢٥١.

النوعي أو خاصته. فالجنس لتحديد الماهية، والفصل أو الخاصة لتمييزه عن بقية الأنواع الداخلة تحت جنسه"[١].

مِنَ المقاصد التي أراد بيانها في النص السابق ما يأتي:

المقصد الأول: إنكاره التكسب، والتقرب والاسترزاق بالشعر، دون أخذه غذاءً للروح ،ونشراً للعلم.

المقصد الثاني: تذكير المتلقي بضعفه وشدّة الموقف عليه في الآخرة، الذي يجعله يبحث عن كل ما يعتقد أنَّه مخلصاً له مِنْ شدَّة هول ذلك اليوم.

والغرض مِنْ ذلك الذّم. فالمعري يذم ابن القارح؛ "لأنّه لا يتخذ الأدب غذاءً للروح ،بل يعدّ الأدب وسيلة استرزاق لا غير فهو منافق في موقفه يشيد بالأدب ويزعم نفسه محباً للعلم، والمعرفة، وهو في ذات الوقت يتخذه مكسباً مادياً لا غير والشيء نفسه اقترفه في الآخرة، فلقد اتخذ مِنَ الأدب باباً يتقرب منه إلى خازني الجنان لغاية نفعية قصد السماح له بدخول الجنة"[٢].

أمّا المقصد الغائي فهو توجيه المتلقي ونصحه بأنْ يتقي شرَّ ذلك اليوم ،وشدَّته بسلوكه سبيل الرشاد في الدنيا ؛لأنَّه في ذلك اليوم لا ينفع شيء، كقوله تعالى: "لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا مَنْ أتى الله بقلب سليم"[٣].

ب-التفصيل بعد الإجمال:

جاء في المصباح المنير: "أَجْمَلْتُ الشَّيْءَ إجْمَالًا جَمَعْتُهُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ"[٤]، والتفصيل بعد الإجمال "هو أنْ يذكر الكلام مفصلاً بعد أنْ سبق ذكره مجملاً"[٥]، وفي "التفصيل بعد الإجمال فائدة عظيمة؛ لإفادتها الكلام فضل تمكن في ذهن السامع"[٦] ، كما أنَّه "لا يخفى عليك ما للبيان والتفصيل بعد الإجمال مِنْ وقع في النفس؛ لأنَّه عند الإجمال تتطلع النفس وتستشرف

---

[١] صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر: ١٢١.
[٢] البنية العميقة في رسالة الغفران: ٢٥.
[٣] الشعراء: ٨٨ – ٨٩.
[٤] المصباح المنير: ١١٠/١.
[٥] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٣٩.
[٦] حاشية العطار على شرح الجلال، حسن بن محمد العطار: ٣٨٣/١.

إلى التفصيل، فعندما يأتي التفصيل يكون له وقعه وأثره، حيث أتى والنفس إليه متطلعة وله مترقبة"[١].

ومِنْ أمثلة التفصيل بعد الإجمال عند أبي العلاء قوله: "المودّة مودّتان: مودّة وافية، ومودّة عافية؛ فالوافية مِنَ الله سبحانه، والعافية مِنَ الشيطان لعنه الله، وقد علم عالم الخفيات أنَّ مودتي له – أدام الله عزّه ورفع في الخير درجته؛ إذا انفردت بنفسها كفت، وإذا قُرنت بغيرها زادت عليه وضفت... وأنّا أخصّه بسلام ذكي عنبري في الأرج أو مسكي"[٢].

ذكر المعري في النص السابق كلاماً مجملاً ثم فصّلَه بعد ذلك، فذكر أنَّ المودة مودتان، ثمَّ فصل في بيان أقسامها وهما، المودّة الوافية وهي مِنَ الله سبحانه، والمودّة العافية وهي مِنَ الشيطان لعنه الله.

ومما لا شك فيه أنّ المتلقي عندما يسمع أو يقرأ المجمل، يتشوق لمعرفة تفصيله، والمرسِل بذكره الكلام مجملاً يهيئ المتلقي نفسياً للشروع في تفاصيل ذلك المجمل.

كشف المعري في النص السابق بمسلك الشرح عن قصده الكلامي وهو بيان أقسام المودّة وتوضيحها، موجهاً المتلقي إلى الأول منهما، وهي المودّة الوافية التي مِنَ الله سبحانه، منكراً اتباع خطوات الشيطان التي منها المودّة الفاسدة، وهو بهذا المعنى يذكر بقول الله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ} [البقرة: ١٦٨].

وغرضه الخطابي إلقاء التحيّة على المتلقي، قال: "وأنّا أخصّه بسلام ذكي عنبري في الأرج أو مسكي".

أمَّا المقصد الغائي فهو الإفصاح، حيث أفصح المعري عن شعوره اتجاه متلقيه، المتمثلة بمودّته له، مودّة وافية إذا قُرنت بغيرها اتسعت، وطالت عليها، وهذا ما يبين مكانة المخاطَب عند المرسِل وعلوّ منزلته.

ج_التصنيف: الصنف لغة: "طائفة مِنْ كلِّ شيء"[٣]

---

[١] البلاغة – المعاني، منهاج جامة المدينة العلمية: ٢٣٦.
[٢] رسائل أبي العلاء المعري : ٢٥٧.
[٣] العين: ١٣٢/٧.

أو هو "النوع والضرب"[١].

أمَّا اصطلاحاً، فالصنف مفرد الأصناف، وقد عرّفها التهاوني بقوله: "اعلم أنّ الجزئيات المندرجة تحت الكلّي، إمّا أنْ يكون تباينها بالذاتيات أو بالعرضيات أو بهما، والأول يسمّى أنواعاً، والثاني أصنافاً، والثالث أقساماً"[٢].

فالأصناف بحسب التهاوني هي: الجزئيات المندرجة تحت الكلي والمتباينة بالعرضيات فيما بينها.

"والتصنيف يكون بذكر الأنواع، وأفضله ما كان مستغرقاً لكلّ الأصناف، ومبنياً على الاستقراء التام، وذلك كقولك: المواصلات: إمَّا بريّة أو جويَّة أو بحريّة"[٣].

ومِنْ مصاديق التصنيف في رسائل أبي العلاء، قول المعري: "والإبل أكثر افتناناً في الأصوات؛ لأنَّ من أصواتها: الحنين[٤]، والأطيط[٥]، والسجع[٦]، والتحوّب[٧]، والعجيج[٨] والجرجرة[٩]، والهدر ،وأصنافه وهي: الفحيح ،والكتيت، والكشيش، والقصف[١٠]، والقرقرة والزغد[١١] ،والشحشحة[١٢]، والقلخ. ومن أصواتها الرغاء، والبغام"[١٣].

قسمت أصوات الإبل في النص أعلاه على ثلاث مجموعات وهي:

الأولى وتضم: (الحنين، والأطيط، والسجع، والتحوب، والعجيج، والجرجرة).

الثانية وتضم (الهدر وأصنافه وهي: الفحيح، والكتيت، والكشيش، والقصف، والقرقرة، والزغد، والشحشحة، والقلخ).

---

[١] الصحاح: ١٣٨٨/٤.
[٢] كشاف اصطلاحات الفنون: ١٠٩٧/٢.
[٣] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٠.
[٤] الحنين: صوتها إذا أطربت في إثر ولدها، التلخيص في معرفة الأشياء، أبو هلال العسكري: ٣٦٤.
[٥] الأطيط: أطيط الإبل. أنينها مِنْ ثقل الحمل، العين: ٤٧٠/٧.
[٦] السجع إذا مدت الحنين على جهة واحدة، المخصص، ابن سيدة: ١٦٨/٢.
[٧] التحوب: صوتها من توجع وصياح وزجر، المحكم والمحيط الأعظم: ٢٩/٤.
[٨] العجيج: عجّ البعير في هديره عجاً وعجيجاً: يصوت، المحكم والمحيط الأعظم: ٦٠/١.
[٩] الجرجرة: تردد هدير البعير في حنجرته وشقشقته، ثمّ يخرجه فيهدر، العين: ١٤/٦.
[١٠] القصف: هدير البعير، وهو شدة رغائه، الصحاح: ١٤١٦/٤.
[١١] الزغد: الهدير الشديد، العين: ٣٨١/٤.
[١٢] الشحشحة: شحشح البعير في هديره، وذلك إذا لم يكن خالصاً، الصحاح: ٣٧٨/١.
[١٣] الصاهل والشاحج: ١٦٣.

أمّا الثالثة فتشمل: (الرغاء، والبغام).

ولا نجد سمات بارزة تميز مجموعة عن أخرى في هذه الأصوات، سوى بعض الفروق الفردية بين صوت وآخر، كالشدّة والرخاوة، أو مصدر الصوت كأنْ يكون مِنَ الخف أو مِنَ الجهاز الصوتي للإبل، أو سبب الصوت كأنْ يكون الحنين أو التعب أو غير ذلك.

يكاد تصنيف أصوات الإبل عند أبي العلاء وذكره لها أنْ يكون شاملاً لأغلب أسماء أصوات الإبل التي عرفتها العرب، وما يؤيد هذا القول، ما جمعه أبو هلال العسكري مِنْ أصوات الإبل تحت عنوان (أصوات الإبل)، قال: "ماكانَ مِنَ الخفِّ فصوتهُ البغامُ. وقدْ بغمتْ تبغمُ. فإذا ضجِّتْ فهوَ الرُّغاءُ. وقدْ رغتْ ترغُو. فإذا طربتْ فِي إثرِ ولدِها فقدْ حنَّتْ. فإذا مدَّتِ الحنينَ فقدْ سجرتْ سجراً. فإذا بلغَتْ الهديرَ فأوَّلُهُ الكشيشُ. كشَّ كشيشاً. فإذا ارتفعَ فوقَ ذلكَ قيلَ: كتَّ كتيتاً. فإذا أفصحَ بالهديرِ قيلَ: هدرَ هديراً. فإذَا صفَا صوتهُ قيلَ: قرقرَ قرقرةٍ. فإذَا أخفَى صوتهُ قيلَ: قلخَ قلخاً"[1].

فكل الأسماء المذكورة سابقاً لأصوات الإبل، إنَّما هي جزئيات مندرجة تحت الكلّي وهو أصوات الإبل، وتقسيم العرب أصوات إبلهم، وتسمياتها على النحو الذي رأينا مِنَ الدقة ،والتمييز، فيه دلالة واضحة على أهميّة هذا الحيوان عندهم واهتمامهم به؛ "لما تمتلكه الإبل مِنْ مواصفات جسمانية لا تتوافر لغيرها مِنَ الحيوانات، تتوافق تماماً مع طبيعة تلك الحياة، فهي للطعام والشراب وحمل الأثقال، إضافة إلى أنَّها تتحمل العطش والحر والجوع لعدّة أيام"[2]وهذا ما جعلها الأقرب لهم مِنْ بين ما يملكون مِنَ الحيوانات.

أراد المعريّ أنْ يبيّن المقاصد الخطابية الآتية:

المقصد الأول: إنَّ هذه الأصوات المذكورة سابقاً، وكذلك أكثر أصوات الحيوانات "لا يمكن دخولها في المنظوم؛ لأنَّها تقطع الأجراس أو تُمدُّ، فيكون كالذي جمع بين ساكنين أو أكثر"[3].

---

(1) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: ٣٦٤.
(2) أثر الإبل في توجيه الخطاب النقدي : عاصم محمد : ٣ .
(3) رسالة الصاهل والشاحج : ١٦٢ .

المقصد الثاني: ليس كل الألفاظ تصلح بأنْ "تنظم في حشو البيت العربي، ولو جاء منها شيء فذلك شاذ ومرفوض، ومِنْ موانع نظم الكلمة في حشو البيت أنَّه إذا اجتمع في الكلمة ساكنان يتوسطانها لم يكن أنْ تنظم في حشو البيت"[١].

المقصد الثالث: إظهار أنَّ اللغة العربية عامة والشعر خاصة يقومان على أسسٍ علمية رصينة يُعدّ التنازل عنها أو خرقها ابتعاد عن الفصاحة والبلاغة.

والغرض الخطابي هو تعليم المتلقي بعض ما لا يستسيغه اللسان العربي مِنْ كراهات اللغة، والذي يعد قول مَنْ جاء بذلك شاذ ومرفوض، والمعري إنَّما يبين هذا بوصفه مصدراً مهماً للعربية، فقد "كان ثقة حجة في العلم، لجود علمه وقوة فهمه"[٢].

أمّا المقصد الغائي فهو الفخر على عزيز الدولة بما يمتلك مِنْ علم ومعرفة في العربية، وهذا ما لا سبيل لعزيز الدولة إليه، وما دعواه معرفة النظم وقواعد اللغة إلَّا كذباً، وأنى له معرفة تلك القواعد والمسالك الدقيقة التي لا يستطيع اتقانها إلّا جهابذة العلماء واساطينهم.

د–السبر والتقسيم:

يعدّ السبر والتقسيم أحد طرق الاستدلال على إثبات العلة عند الأصوليين[٣]، وعنهم أخذه النحويون[٤]، "والسبر والتقسيم مِنْ أقوى ما تثبت به العلل"[٥].

وقد عرّفه شمس الدين الإصفهاني بأنَّه: "هو حصر الأوصاف في الأصل، وإبطال بعضها بدليله، فيتعين الباقي"[٦]، وعند السيوطي "أنْ يذكر جميع الوجوه المحتملة ثم يسبرها أي يختبرها فيبقى ما يصلح وينفي ما عداه"[٧].

---

[٤] نفسه : الصحيفة نفسها .
[١] لغة المعري : د. باقر جواد ، د. جعفر علي : ٣
[٣] ينظر: المستصفى، محمد بن محمد الغزالي: ٣١١.
[٤] ينظر: التحبير شرح التحرير، علاء الدين المرادي: ٣٣٥١/٧.
[٥] البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي: ٢٨٩/٧.
[٦] بيان المختصر: ٩٨/٣.
[٧] الاقتراح: ٢٨٣.

وعُرف "بأن ينحصر شيء في جهتين ثمَّ يبطل أحدها فيتعين الآخر، أو ينحصر في ثلاث ثم يبطل اثنان فينحصر الحق في الثالث، أو يبطل واحد فينحصر في الباقين؛ أي أنّه اختبار كل الاحتمالات الممكنة لاستقراء الصالح منها لدخوله تحت الأقسام المناسبة، واستبعاد ما أسقطه الاختبار"[١].

وإنّما سمي بالسبر والتقسيم؛ "لأنَّ الناظر يقسم الصفات ويختبر صلاحية كل واحد منها للعلية، فيبطل ما لا يصلح ويبقى ما يصلح"[٢].

ومِنْ أمثلة السبر والتقسيم عند أبي العلاء قوله: " وشجرة طوبى كيف يستظل بها المتقون ويجتنونها آخر الأبد وفيهم كثير لا يعرفون أمن ذوات الواو هي أم من ذوات الياء والذي نذهب إليه إذا حملناه على الاشتقاق أنها من ذوات الياء وأنها طاب يطيب بدليل على إن طوبى من ذوات الياء لأننا إذا بنينا فعلا ونحوه من ذوات الواو وقلبناها إلى الياء فقلنا عيد، وقيل وهو من عاد يعود وقال يقول فان قال قائل فلعل قولهم طاب يطيب من ذوات الواو وجاء على مثال حَسِبَ يَحسبُ وقد ذهب إلى ذلك قوم في تاه يتيه وهو من توهت قيل له يمنع من ذلك انهم قالوا طيبت الرجل بالطيب ولم يحك أحد طوبته ... فهذا يدلك على ان الطيب من ذوات الياء وكذلك قولهم هذا أطيب من هذا، فأما حكاية أهل اللغة انهم يقولون أوبة وطوبة فإنّما ذلك على معنى الإتباع"[٣].

ذكر المعري في النص أعلاه وجهين في أصل الواو في كلمة (طوبى)، وهما: إمّا أنْ يكون أصله في الاشتقاق (واو)، أو (ياء)، وكلاهما يمكن أنْ يكون الأصح، ثم يبدأ بسبرهما، فينفي ويستبعد الأول، وهو أنْ يكون أصله (واو) مستدلاً على النفي بالقياس على سبيل الأمثلة والشواهد، والسماع، و أنّه ردّ قول مَنْ قال بالوجه الأول بالدليلين السابقين (السماع والقياس).

يثبت المعري أنّ أصل (الواو) ياء في كلمة (طوبى) بدليل السماع، فقد قالوا: أطيب الرجل بالطيب ولم يحك أحد طوّبته. فهذا يدلك على أنَّ الطيب من ذوات الياء، كما أنَّه استدل بالقياس على ذلك أيضاً، قال: "والذي نذهب إليه إذا حملناه على الاشتقاق أنّها من ذوات الياء

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤١.
[٢] التحبير شرح التحرير: ٣٣٥١/٧.
[٣] رسالة الملائكة: ٢٨ – ٣٠.

وأنَّها مِنْ طاب يطيب وليس قولهم الطيب بدليل على إن طوبى من ذوات الياء لأننا إذا بنينا فعلاً ونحوه من ذوات الواو قلبناها إلى الياء فقلنا عيد، وقيل وهو من عاد يعود وقال يقول"[١].

والغاية مِنْ ذكره المثالين (عيد، قيل) إنّما هي لإيضاح القاعدة؛ لأنَّ المثال "هو الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصاله إلى فهم المستفيد"[٢].

وذكره المثالين السابقين (عيد، وقيل) جاء ردّاً على مَنْ يقول بأنَّ الدليل على أنَّ (طوبى) مِنْ ذوات (الياء) قولهم: الطيب؛ لأنَّ بعض الأفعال مِنْ ذوات الواو إذا بنينا منها فعلاً قلبت ياء.

ردَّ المعري على ما نقل سيبويه عن الخليل قوله: "وأمَّا طاح يطيح وتاه يتيه، فزعم الخليل أنَّهما فعل يفعل بمنزلة حسب يحسب. وهي من الواو، ويدلك على ذلك، طوحت وتوهت، وهو أطوح منه وأتوه منه، فإنّما هي فعل يفعل من الواو"[٣]، " قال أبو الفتح: إنّما ذهب الخليل إلى هذا؛ لأنَّه لما رأى العين واواً في (تَوّهَ وطوح) ورآهم يقولون: (تاه يتيه، وطاح يطيح) ولم يمكنه أنْ يجعلهما من الياء كـــ (باع يبيع)؛ لأنّ الدلالة قد قامت على كون العين واواً، ذهب إلى أنّها (فعِل يفعِل) فكأنّها في الأصل عنده (طوِح يطوِح، وتوه يتوه)"[٤].

ردّ المعري هذا القياس بأنْ قال: " فان قال قائل فلعل قولهم طاب يطيب من ذوات الواو وجاء على مثال حسب يحسب وقد ذهب إلى ذلك قوم في تاه يتيه وهو من توهت قيل له يمنع من ذلك انهم قالوا طيبت الرجل بالطيب ولم يحك أحد طوبته ... فهدا يدلك على ان الطيب من ذوات الياء وكذلك قولهم هذا أطيب من هذا، فأما حكاية أهل اللغة انهم يقولون أوبة وطوبة فإنّما ذلك على معنى الإتباع"[٥].

عرض أبو العلاء في النص السابق رأيين في أصل عين كلمة (طوبى) على سبيل (السبر والتقسيم)، فنفى أحدهما ،وأثبت الآخر مستنداً في ذلك على القياس ،والسماع، وأنَّه ناقش، واختبر الأدلة على ما نفاه فردّها بما ثبت عنده مِنْ أقوال العرب في هذه المسألة.

---

[١] نفسه: ٢٨.
[٢] كشاف اصطلاحات الفنون: ١٤٤٧/٢.
[٣] الكتاب: ٣٤٤/٤.
[٤] المنصف لابن جنّي: ٢٦٢.
[٥] رسالة الملائكة: ٢٩- ٣٠.

أراد المعري بمسلك الشرح مقاصد مهمة يمكن إجمالها بما يأتي:

المقصد الأول: إظهار ما بذل العلماء الأوائل مِنْ جهد كبير، وبحث مستمر ،وواسع في سبيل تقعيد اللغة العربية ،والحفاظ على أصالتها.

المقصد الثاني: بيان ما كان يتمتع به العلماء الأوائل ومنهم المعري مِنْ سعة اطلاع وغزارة علم ودقّة تعبير في البحث عن دقيق المسائل اللغوية وجليلها، بغية الحفاظ على لغة القرآن.

المقصد الثالث: تأكيد أنَّ العربية مبنية، وقائمة عل أسس منطقية، كالقياس والسماع وغيرهما مِنْ مسالك العلة.

المقصد الرابع: أراد أنْ يبين ما "كان يتمتع به العلماء مِنْ حرية القول ،والإقدام على نقد الأئمة ودحض حججهم ،ومناقشتهم في الدقيق، والجليل مِنَ المسائل"[١].

أمَّا الغرض الخطابي فهو تعليم المتلقي ما ورد مِنْ مسائل مهمة ودقيقة، ومناقشة مسالكها، وبيان عللها وما تستند عليه مِنَ الأدلة في إثبات أصل دون آخر، ونفي ما يمكن نفيه بالدليل الأقوى واستبعاد ما لا يصمد أمام النقد مِنْ تلك العلل والآراء.

وأمّا غايته الخطابية فهي الفخر بما يمتلك مِنْ "باعٍ طويل في معرفة الأبنية وضبطها ووضع المقاييس ورعايتها وقدرته على البحث عن أصول الكلمات واشتقاقها وردها إلى أصولها ومعرفة الشاذ والنادر منها وبراعته في تعليل الأحكام ،وإيراد الادلة والشواهد وما شاكل ذلك مِنَ الامور التي تدل على سعة إدراكه، ونمو ملكته نوغزارة مادته"[٢]،و أنَّ معارضة المعري أئمة العربية كالخليل وسيبويه ومناقشة آرائهم وردّها تظهر اعتزازه بنفسه، وفخره بها، كونه وضعها مقابل إمامين كبيرين في اللغة.

لقد كان لطبيعة المقاصد المذكورة سابقاً والتي استخلصت مِنْ مصاديق مسلك (الشرح) ووسائله كـــ (التعريف، والتفصيل بعد الإجمال، والسبر والتقسيم والتصنيف...)، الأثر الواضح في ركوب المعري هذا المسلك (الشرح) دون غيره مِنَ المسالك الخطابية

---

[١] رسالة الملائكة : ل

[٢] نفسه: م .

الأخرى؛ إذ أنَّ هناك تناغم وتلازم بين المقاصد والمسلك المتبع في بيانها، فتعريف بعض المصطلحات، وبيان حدودها، وأقسامها، كل ذلك يحتم اتباع مسلك الشرح دون غيره مِنَ المسالك، فليس لغيره مِنَ المسالك الأخرى إلى بيان تلك المقاد مِنْ سبيل؛ لما في هذا المسلك مِنْ سمة لبيان حدود المصطلحات وأقسامها، وإيضاحها للمتلقي بصورة مفصلة، تمكنه مِنْ فهمها وإدراك محتواها ومضمونها، وهذا ما لا تتسم به المسالك الأخرى.

الفصل الثالث

مسالك السَّوق

توطئة .

المبحث الأول : التضمن .

المبحث الثاني : الافتراض .

توطئة :

لما كانت "لغة التخاطب ليست صريحة؛ وذلك أنَّه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيراً مباشراً"[١]، ولكي تؤدي اللغة وظيفتها، وحتى لا يخطئ المتلقي في تحديد مقصود المتكلم، كان لزاماً على المتكلم "نصب قرينة أو أكثر للمخاطَب لتوجيهه نحو معنى معين مِنْ بين المعاني المحتملة للكلام ليكون مقصود المتكلم"[٢]، وهذا ما يصطلح عليه (السّوق)، أمَّا المقصود بالقرينة فهي "الدلالة اللفظية أو المعنوية التي تمحض المدلول وتصرفه إلى المراد منه، مع منع غيره مِنَ الدخول فيه"[٣].

وقد تحدث علماء العربية المتقدّمون عن (القرينة)، فجاءت عندهم باسم (الآية) أو (الدلالة) وغيرها، فاستعمل سيبويه مصطلح (الآية) عوضاً عن القرينة، قال: "ويكون المبنى عليه مظهَراً وذلك أنّك رأيت صورة شخص، فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربّي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله. أو سمعتَ صوتاً فعرفتَ صاحبَ الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربّي"[٤].

وسمى الجاحظ القرينة (دلالة)، فقال: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالة مقام تلك الأصناف"[٥]، "بهذه الاسطر استطاع الجاحظ أنْ يحتوي القرائن كلها، فاللفظ يعني به القرائن اللفظية في الجملة، كالربط، والتعدية، والأداة، والإشارة، تكون إمَّا باليد أو الرأس، أو بالعين، أو بالحاجب، فيكون ذلك زجراً أو وعيداً أو تحذيراً، والمقصود به قرينة الحال، التي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم. والعقد قرينة الربط بين أجزاء الجملة، وتكون بالأدوات وبالحروف، والضمائر. والخط –

---

[١] النص والسياق : ١٥٦.
[٢] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ٤٢.
[٣] معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير: ١٨٦.
[٤] الكتاب : ١٣٠/٢.
[٥] البيان والتبيين: ٨٢/١.

الترقيم – قرينة العلامات الانفعالية، ويعوض عنها لفظياً بـــ (التنغيم والنبر)، وأخيراً ذكر قرينة الحال، أي حال الشخص وموقفه عند تلفظه الجملة"[١]، والقرينة عند الشريف الجرجاني هي: "أمرٌ يشير إلى المطلوب"[٢] ، ومِنَ المحدثين الغربيين ممن تحدث عن القرينة وأثرها في تحديد المعنى (جاكبسون)، قال: "هناك إحالتان تفيدان في تأويل العلامة، إحداهما للشفرة والأخرى للسياق سواء أكان مشفراً أم حراً"[٣].

وعند (تراسك) أنَّ "السياق مِنْ أهم القرائن التي تعبر عن المعاني غير الظاهرة؛ لأنَّنا لا نقول الكلام في فراغ بل نقوله في سياق هو جزء منه لغوي وفي جزء أخر غير لغوي"[٤]

ومِنَ العرب المحدثين ممن فصّلوا القول في القرينة الدكتور تمام حسان إذ قال: "إنَّ الغاية التي يسعى إليها الناظر في النص هي فهم النص وأنَّ وسيلته إلى ذلك أنْ ينظر في العلامات المنطوقة أو المكتوبة في النص ليصل بواسطتها إلى تحديد المبنى، وأنَّ الوصول إلى المبنى بواسطة العلامة ليس مِنَ العمليات العقلية الكبرى في التحليل... أمَّا ما هو أكثر صعوبة مِنْ ذلك دون شك فهو القفز العقلي مِنَ المبنى إلى المعنى؛ لأنَّ ذلك يحتاج إلى قرائن معنوية وأخرى لفظية ويصدق على كليهما اصطلاح: (القرائن المقالية)؛ لأنَّ هذين النوعين مِنْ القرائن يؤخذان مِنَ (المقال) لا مِنَ (المقام)"[٥].

والقرائن عند د. حسان "قرائن معنوية، وهي الإسناد، التخصيص، النسبة، التبعية، المخالفة. وقرائن لفظية وهي: الإعراب، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، التضام، الأداة، التنغيم"[٦].

وتحدث د. فاضل السامرائي عن أهمية القرينة قائلاً: "هي عنصرٌ مهم لفهم الجملة، فيها نعرف الحقيقة مِنَ المجاز ونعرف المقصود للألفاظ المشتركة ونعرف الذكر ،والحذف وخروج الكلام عن ظاهره وما إلى ذلك مما يحتمل أكثر مِنْ دلالة في التعبير– ويمكن تقسيمها إلى: القرينة اللفظية، والقرينة العقلية، والقرينة المعنوية، والقرينة الحالية، وقرينة السياق

---

[١] القرينة في اللغة العربية، كوليزار كاكل: ٢١.
[٢] التعريفات: ١٧٤/١.
[٣] نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء: ١٦.
[٤] ينظر: أساسيات اللغة: ٧٧ – ٧٨.
[٥] اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩١.
[٦] نفسه: ١٩٠.

والمقام، وقرينة النغمة الصوتية، والقرينة العلمية، وقرينة الوقف والابتداء، وقرينة الفهم العام لأصل اللغة، والقرينة الحسية"[١].

أخلص مما سبق إلى أنَّ الوظيفة الأساسية للقرينة هي "بيان مراد المتكلم مِنْ خطابه، ودفع ما يحمل الكلام في ظاهره مِنْ معانٍ غير مقصودة أو هي ليست مما يريده المتكلم أو يعنيه"[٢]، وهذا يتضمن الاستغناء عن القرينة إذا ما كان مراد المتكلم أو قصده واضحاً، أو معبراً عنه بشكل صريح، فحمل الخطاب أكثر مِنْ معنى شرط أساسي في نصب القرينة مِنْ عدمه؛ إذ لا حاجة للقرينة مع التصريح بالقصد، أو مع إدراك المتلقي إياه.

وسنبين فيما يأتي أثر القرينة في تحديد معنى معين مِنْ بين المعاني المحتملة للكلام ليكون مقصود المتكلم، وتحويل المضامين الدلالية إلى بؤرة كلامية تتمحور حولها الأغراض والغايات التخاطبية، بما يعرف بالتضمن والافتراض.

---

[١] الجملة العربية والمعنى: ٥٩ -٦٨.
[٢] القرينة عند الأصوليين، محمد قاسم: ٤١.

المبحث الأول

التضمن

"وضع (جرايس) ابتداء مِنْ ١٩٥٤ تقابلاً بين القول الصريح والقول الضمني: يعني الحديث بصراحة قول شيء ما، أمَّا التحدث ضمنياً فهو جعل المخاطَب يعتقد شيئاً ما"[١]، وهذا يعني "أنْ ينوي المتكلم إيصال أكثر مما يقال أي أنْ تحمل الكلمات معنى إضافياً يفوق ما تعنيه بحد ذاتها"[٢]، وحدَّ الدكتور يونس (التضمن) بأنّه "علاقة بين قضيتين على نحو تصدق فيه الثانية كلّما صدقت الأولى، في حين لا يرتبط صدق الثانية بصدق الاولى ولا يكذبها، كأن تقول: (أكلت تفاحة)التي تتضمن أكلت فاكهة، ولو قلت: (أكلت فاكهة) فلا يعني ذلك أنّك أكلت أو لم تأكل تفاحة"[٣] .

ويعدل المتكلم عن التصريح بقصده إلى تضمينه "عندما يصعب التلفظ بصراحة، وعندما ينعدم الضمان الكافي للتعبير بصراحة، فإذا استنبط قولاً مضمراً مِنْ متلفظ معين، وأعلن عن عدم صحته، فليس مِنَ السهل اتهام صاحبه بالخطأ أو الكذب دون أنْ يتهم بسوء النيّة"[٤]، و "لأنَّ التضمينات جزء مما يتم إيصاله دون قوله فباستطاعة المتكلمين دائماً أنْ ينكروا أنَّهم أرادوا إيصال هذه المعاني"[٥]، و "المتكلمون هم الذين يوصلون المعنى عبر التضمينات، وأنَّ المستمعين هم الذين يتعرفون على هذه المعاني الموصلة عبر الاستدلال"[٦]؛ إذ يقوم المتكلم "في أثناء حديثه بتنظيم كلامه بكيفية خاصة، على منوال معين ترتبط فيه الكلمات، بعلاقات صوتية وصرفية معينة كي يتسنى للمتكلم التعبير عن غرضه، ويمكن سامعيه مِنْ فهمه معتمداً على القرائن التي تعين على الإفصاح عن المقصود"[٧].ومما يمكن إدراجه في ضمن مصاديق (التضمن) مِنَ رسائل أبي العلاء، قوله: "ويكفيك عيباً للمدّعين، أنَّ

---

[١] المضمر، أور كيوني: ٤٠.
[٢] التداولية، جورج يول: ٦٥ – ٦٦.
[٣] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٣ – ١٤٤.
[٤] التداولية واستراتيجيات التواصل ،د . ذهبية الحاج : ٢٤٤.
[٥] التداولية، جورج يول: ٧٦ – ٧٧.
[٦] نفسه: ٧١.
[٧] القرينة في اللغة العربية: ١٩.

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جعل البينة على المدعي[١]، وحسبك بتلك ظنة. زعمت أني خالك؟! وأين الآفق[٢] من اللئيم ولدته غافق؟"[٣].

أتى المعري بهذا القول على لسان الصاهل مخاطباً الشاحج، بعدما ادّعى الشاحج خئولة الخيل، وأخذ يتلمس لدى الصاهل حق الخئولة، ويطلب المساعدة، قال: "فما بالي يا خالي، لا أعرف فيك بشاشة للمسألة؟ لا تكن من الذين إذا طلبت منهم الحاجة سكتوا، وإذا سئلوا في الشيء المعرض نكتوا"[٤].

وموطن التضمن يكمن في قول الصاهل: "ويكفيك عيباً للمدعين"، فهذا يتضمن: إنكار الصاهل دعوى الشاحج، واستهزائه به والسخرية منه، وبما يدّعيه مِنْ خئولة الخيل.

وذكره (كاف الخطاب) في قوله: (يكفيك) الدالة على الشاحج، قرينة لفظية، خُصص بها عموم الحديث، فبعد أنْ كان عاماً مطلقاً للمدعين، خصص بضمير الخطاب في هذا المورد بالمخاطب (الشاحج) دون غيره، كما أنَّ ذكره كلمة (عيباً) قرينة لفظية أخرى تدل على معنى الإنكار والذم للشاحج وما يدّعيه، وأنَّ الاستفهام في قوله: "زعمت أني خالك؟!، وأين الأفق مِنَ اللئيم" قد خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى التهكم والاستهزاء، فذكره (زعمت) دون (قلت) دليل وقرينة على اتّهامه بالكذب وعدم التأكد مما قاله؛ لأنَّ لفظ "الزعم: يدل على الشك في القول"[٥]، وأنَّ لقرينة (السياق) أثر كبير في بيان معنى (التهكم والذم والاستهزاء) مِنَ الخطاب؛ لأنَّ المقام مقام تهكم بالشاحج على دعواه، وخلطه الأنساب (خئولة الخيل).

وقرينة "السياق مِنْ أهم القرائن الدالة على المعنى، وأنَّها مِنْ أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم"[٦]، ولقرينة (النغمة الصوتية) في قوله: "وأين الأفق مِنَ اللئيم" أثر واضح في

---

[١] قال رسول الله –ﷺ- :"البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر إلّا في القسامة"، السنن الصغير للبيهقي: ٢٥٧/٣.
[٢] الأفق: الذي بلغ الغاية في الكرم، مقاييس اللغة: ١١٦/١.
[٣] رسالة الصاهل والشاحج: ١٠٩ -١١٠.
[٤] نفسه: ١٠٥.
[٥] العين: ٣٦٤/١.
[٦] الجملة العربية والمعنى: ٦٥.

إبراز معنى التهكم والاستهزاء، و"النغمة الصوتية مِنَ القرائن الظاهرة التي تدل على المعنى، فيها يتضح الخبر مِنَ الاستفهام والمدح مِنَ الذم"(١).

نلحظ مما سبق أنَّ المتكلم نصب أكثر مِنْ قرينة واحدة لبيان المعنى المراد، كالقرينة اللفظية، السياق والمقام، والنغمة الصوتية، وهذا ما عرف عند الدكتور تمام حسان بـــ (ظاهرة تظافر القرائن)، وهي "ظاهرة ترجع في أساسها إلى أنَّه لا يمكن لظاهرة واحدة أنْ تدل بمفردها على معنى بعينه، ولو حدث ذلك لكان عدد القرائن بعدد المعاني النحوية، وهو أمر يتنافى مع مبدأ عام آخر هو تعدد المعاني"(٢).

ويمكن إجمال ما أراده المعري بالنص السابق مِنْ مقاصد فيما يأتي:

المقصد الأول: بيان ما للخيل مِنْ مكانة مهمة في نفوس العرب عامة وفرسانهم خاصة، لذا بالغوا في العناية بها؛ كونها تستخدم في القتال والصيد؛ لما تتصف به مِن صفات كالسرعة وغيرها، وهذا ما ليس لغيرها مثله.

المقصد الثاني: الدعوة إلى تقديم المساعدة لمن هو به حاجة إليها، وصلة الرحم وعدم تجاهل الروابط التي مِنْ شأنها أنْ تؤلف بين القلوب وتعضد أواصر القرابة، قال: "وأعر الجازر مدية يطعمك من أطايب الجزور، وأعط المورد مرساً يور غنمك؛ ولا تضيعن حق الرحم فإنه لا يجهل"(٣).

المقصد الثالث: التأكيد على ردّ الإحسان بما هو أحسن منه.

المقصد الرابع: إنكار خلط جيد الأشياء برديئها، وعدم التمييز بينها، وذم مَنْ يفعل ذلك.

أمَّا أغراضه الخطابية فهي: التوجيه، والإرشاد، والنصيحة للأخذ بما ذكر مِنْ مقاصد توجيهية، كصلة الرحم، وردّ الإحسان بما هو أحسن، وتقديم المساعدة وغيرها.

---

(١) الجملة العربية والمعنى : ٦٦.
(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٣.
(٣) رسالة الصاهل والشاحج: ١٠٥.

وغايته، التهكم (بعزيز الدولة) ما دام قد شغل بالعروض عن الفروض، إذ كان عليه أنْ يضع الحلول لتفادي خطر غزو الروم إلى حلب، وأنْ يكفيهم ما يخشونه كالتشرد والجوع وفقد الأمن، لا أنْ يشغل نفسه بإكرام بعض الشعراء، ونقد بعضهم الأخر.

يتضح مما سبق أنْ لسوق المتكلم بعض القرائن – المذكورة سابقاً – الأثر الواضح والكبير في بيان المقاصد وتحقيق الغاية الخطابية.

ومِنْ مصاديق التضمن أيضاً قول المعري: "فيحرس الله سيدنا حتى تدغم الطاء في الهاء، فتلك حراسةٌ بغير انتهاء، وذلك أنَّ هذين ضدان وعلى التضاد متباعدان، رخو وشديد، وهادٍ وذو تصعيد، وهما في الجهر والهمس بمنزلة غدٍ وأمس، وجعل الله رتبته كالفاعل والمبتدأ، نظير الفعل في أنّها لا تنخفض أبداً"[١].

"هذا نصٌ مِنْ رسالة (الإغريض) التي كتبها أبو العلاء إلى (أبي القاسم المغربي) لمّا أنفذ إليه إصلاح المنطق الذي ألفه، وفيها وصف المختصر، والثناء بفضله ،والتنبيه على كثير فوائده"[٢].

وما إن تقرأ قوله: "حرس الله سيدنا..." حتى يتبادر إلى ذهنك معنى الدعاء، دون تحديد مدته ووقته، إذ ليس في هذا المقطع ما يدل على الوقت أو المدّة، لكنك عندما تقرأ قوله: "حتى تدغم الطاء في الهاء" يكون هذا القول قد تضمن قولاً آخر وهو، الدعاء للمتلقي بالحراسة الإلهية الأبدية دون انقطاع، وبغير انتهاء، وإنْ كان قد صرح بهذا القول، إلّا أنّ القول الأول متضمن له، بدليل القرينة العلمية التي تمنع إدغام حرفين متباعدين في المخرج، كحرف (الهاء) الذي هو أقصى الحروف مخرجاً، وهو صوت حنجري، والطاء الذي مخرجه مِنْ بين طرف اللسان وأصول الثنايا[٣]، فلا "يمكن أنْ ينقلب صوت إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج جداً، فلا ينقلب صوت مِنْ أصوات الشفه أو الأسنان مثلاً إلى صوت آخر مِنْ أصوات الحلق، وكذلك العكس"[٤].

---

[١] رسائل أبي العلاء المعري : ٥٦.
[٢] نفسه: ٥٥.
[٣] ينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤.
[٤] التطور اللغوي، رمضان عبد التواب: ٣١.

وبقول المعري: "هذان ضدان وعلى التضاد متباعدان، رخو وشديد"، يكون قد أخرج الدلالة الكامنة في هذا القول، وهي أنَّه: لا يمكن إدغام الهاء بالطاء لاختلاف مخرجهما.

ووجه علاقة هذه الظاهرة بالسوق، أنَّ قوله: "إنّ هذين متضادان، رخو شديد" هو الذي أخرج دلالة التضمن الأولى، وهي أنَّه لا يمكن إدغام الهاء بالطاء، وأخرجها مِنْ حيز الكمون إلى حيز التفعيل[1]، وبالتالي الدعاء للمتلقي بالحراسة الإلهية بغير انتهاء.

أمَّا قوله: "وجعل الله رتبته كالفاعل والمبتدأ" يتضمن الدعاء له بالسيادة بأنْ يبقى مقدماً عليهم رفيع المنزلة بينهم، فكما (الفاعل والمبتدأ) لهما التقديم في الرتبة، والرفع في الحركة، فكذلك يدعو لمتلقيه بالسيادة والرفعة.

والذي دلّ على هذا المعنى ،وأخرجه مِنَ الكمون إلى حيز التفعيل هو قوله: "لا تنخفض أبداً)، يريد رتبة المدعو له ومنزلته.

والذي أخرج معنى (الرفع) مِنَ المعنى الخاص (الحركة الإعرابية) إلى المعنى العام (السيادة والرئاسة) إنّما هي قرينة السياق، وإنْ لم يستبعد المعنى الخاص، كونه مراداً أيضاً للدلالة على معنى الثبوت والدوام.

وبذلك تكون القرائن قد تضافرت في بيان ما تضمنته الأقوال، وهنا يتضح ما لمسلك السوق مِنْ أثر في بيان المقاصد الخطابية التي مِنْ أهمّها:

المقصد الأول: إظهار مودته للمتلقي وإعجابه بعلمه.

المقصد الثاني: بيان المعري مدى حبه للعلم والأدب، حتى جعله ذلك يعطي لأهل العلم مكانة ومودة ليس لغيرهم مثلهما.

المقصد الثالث: الدعاء للمتلقي بعناية الله الدائمة، والسيادة، والرفعة في المنزلة بين أبناء قومه.

---

[1] ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٥.

والغرض مِنْ ذلك التعليم، كونه صرّح بعدم جواز إدغام صوتين متباعدين في المخرج، وتلك حقيقة علمية كان قد أقرها علماء اللغة مِنْ قبل[١].

وغايته الخطابية مدح المتلقي ،والثناء عليه؛ لإنجازه (إصلاح المنطق)، وكذلك التنبيه على كثرة فوائده وما فيه مِنْ حكم، قال: "والسلام عليك أيتها الحكمة المغربية، والألفاظ العربية، أي هواءٍ رماك؟ وأي غيث سقاك"[٢].

ومِنَ التضمن قول أبي العلاء واصفاً (عسل الجنان) قال: "ولو خالط منّاً من عسل الجنان، ما خلقه الله – سبحانه – في هذه الدار الخادعة، كالصاب، والمقر، والسَّلع، والجعدة، والشَّيح، والهبيد[٣]، لعاد ذلك كلُّه، وغيره من المعقبات، يعدُّ من اللذائذ المرتقيات"[٤].

يصف المعري في النص السابق عسل الجنان بالحلاوة الشديدة، حتى إنَّه لشدة حلاوته لو خالط منه منّاً، الآمرار مِنْ شجر الدنيا لصيرها من اللذائذ.

ويكمن التضمن في قوله: "الدار الخادعة"، ويريد بذلك (الحياة الدنيا)، لكنّه عدل عنها إلى الدار الخادعة؛ ليضمن القول أكثر مِنْ معنى، إذ بعدوله هذا جعل المعنى الأول (الحياة الدنيا) معنى ثانياً بعيداً، والمعنى المتضمن هو البؤرة التي تتمحور حولها دلالة الخطاب، وهو انخداع الإنسان بما في الدنيا مِنْ مظاهر براقة وأموال وزينة، وغفلته عن الآخرة التي هي دار القرار، وتلك حقيقة أقرّها القرآن الكريم مِنْ قبل، قال تعالى: {أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ} [الحديد: ٢٠].

فاختيار المرسل لفظ (الخادعة) دون (الدنيا)؛ لأنَّ الأول يتضمّن معنى انخداع الإنسان بالدنيا وما فيها مِنْ زينة، وهذا ما لا يحمله لفظ (الدنيا).

ونود أنْ نشير إلى "أنَّ المتكلم لا يتحكم في ما تتضمنه الكلمات مِنْ معاني؛ لأنَّ التضمن مفهوم منطقي متأصل في الكلمات نفسها خلافاً للافتراض الذي يتحكم المتكلم في

---

[١] ينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤.
[٢] رسائل أبي العلاء المعري: ٥٥.
[٣] هذه أسماء لنباتات مِنَ الأمرار، ينظر: مجمل اللغة: ٥٤٨/١، تهذيب اللغة: ١٢٧/٩، لسان العرب: ١٢٣/٣، تاج العروس: ٥١١/٦، العين: ١٦٤ – ١٦٥.
[٤] رسالة الغفران: ١٦٤ – ١٦٥.

معظم حالاته؛ ولذلك فإنَّ دور المتكلم يقتصر فقط على اختيار الكلمات المحتوية على التضمن المناسب لمقصوده على غيرها مِنَ الكلمات لتحقيق مراده"[١].

وهذا ما اتضح لنا في النص العلائي السابق؛ إذ انسحب مفهوم الحياة الدنيا مِنَ البؤرة، وحلّ محلّه (انخداع الإنسان بمظاهر الدنيا، وسعيه وراء زينتها)، وكل ذلك تحقق بفضل مسلك السوق؛ إذ لو لم يعدل المتكلم إلى (الدار الخادعة) دون (الحياة الدنيا) ، لما استطعنا الوصول إلى المعنى المتضمن، الذي هو مقصود المتكلم مِنْ خطابه.

ويمكن أنْ نجمل مقاصد المعري مِنَ النص السابق بما يأتي:

المقصد الأول: وصف عسل الجنّة تشويقاً لأهل الدنيا.

المقصد الثاني: إنَّ ما أُعدَّ للمؤمنين في الآخرة لا يساويه شيء في الدنيا، قال تعالى: "يطاف عليهم بصحافٍ مِنْ ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون"[٢].

المقصد الثالث: تحذير الإنسان مِن اتباع الشهوات، والسعي وراء ما لا ينفع يوم القيامة، كاللهو، واللعب، والتفاخر...إلخ.

أمّا غرضاه الخطابيان فهما: التوجيه إلى العمل الصالح للفوز بنعيم الآخرة، والنصح بعدم الانجرار وراء ملذات الدنيا، والانخداع بمظاهرها.

أمّا غايته فهي التأثير في المتلقي للأخذ بما سبق ذكره مِنْ مقاصد.

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٤.
[٢] الزخرف: ٧١.

المبحث الثاني

الافتراض

تقول (أوركيوني) "هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها، فإنها وبطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلاً بغض النظر عن خصوصيته"[١] ، وعرفه محمد يونس بأنَّه: "معلومة أو زعم أو اعتقاد متضمن في القول على نحو يوحي بأنَّه معهود ومسلَّم به بين المتكلم والمخاطَب"[٢] ، وللافتراض أهمية كبيرة في العملية التخاطبية ، إذ "لا يمكن لأي خطاب الاستغناء عن الافتراض المسبق ذلك أنَّه باحتوائه على معطيات يعرفها كل مِنَ المتكلم والمخاطب لا يعني إلغاء أهميته أو نفيه ولكن يعد القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها الخطاب في تماسكه العضوي"[٣] ، والافتراضات تعد "بمثابة المعلومات المدسوسة خفية، أي إنَّها تكون مزودة بملاءمة تواصلية أقل شأناً مِن تلك التي تتمتع بها المعلومات البينية، كما أنَّها تحتل مركزاً أدنى مرتبة داخل البنية الدقائقية التي يتألف منها محتوى الأقوال الإجمالي"[٤]، وهناك فرق بين الافتراض المسبق والاستلزام، فالافتراض "هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي إنَّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين، وليس في الجمل. أمَّا الاستلزام فهو شيء ينبع منطقياً مما قيل في الكلام، أي إنَّ الجمل هي التي تحتوي الاستلزام، وليس المتكلمون"[٥] ، وما يميز الافتراض عن غيره "أنَّه يبقى نفسه مفترضاً وثابتاً حتى في النفي، فقولك: كلب ميري جميل، أو نفيه، كلب ميري غير جميل، يبقى الافتراض ثابتاً في النفي والإثبات وهو (الافتراض) (ميري لديها كلب)"[٦].

وتتميز الافتراضات عن الأقوال المضمرة بوصفها "أكثر قرباً مِن القطب التصريحي مقارنة بالأقوال المضمرة، إذ يمكن وصف الأقوال المضمرة بالتأويل ويجب الاستعانة بالسياق لإبرازه"[٧] ،وعلاقة الافتراض بالسّوق:" أنَّ القضية المعبر عنها بالافتراض قد تتحول في كثير

---

(١) لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، ذهبية الحاج: ١٣٦.
(٢) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٦.
(٣) المصدر السابق : ١٩٦.
(٤)المضمر: كاترين كير برات – أور يكيوني، ٤٤ – ٤٥.
(٥) التداولية، جورج يول: ٥١.
(٦) نفسه : ٥٣ .
(٧)التداولية واستراتيجية التواصل: ٢٢٧.

مِنَ الأحوال نتيجة عملية التبئير المرتبطة ارتباطاً مباشراً بمسلك السوق إلى قضية مندرجة في البنية الدلالية إذا ما أرادها المتكلم أنْ تكون كذلك حتى تقدّم للمخاطب على أنَّها مسلمة مع أنَّها قضية إضافية يراد تمريرها تمريراً خفياً كي لا تبدو كأنَّها البؤرة الأساسية المسوق لها كلام المتكلم"[١] .وقد ذكر الدكتور محمد محمد يونس ستة أنواع من الافتراضات، قال : "ومن أنواع الافتراضات المعروفة في علم الدلالة:

أ- الافتراض الوجودي:

وهو افتراض مستمد مما يحدث في العالم الخارجي"[٢]، كقول أبي العلاء: "وتحدّثَ العامَّة أنَّ غلماناً وردوا مِنْ بلاد الروم إلى حضرته العالية، واختلف فيهم القول، فقال بعض الناس: هم هدية مِنْ زعيم الروم. وقال آخرون: بل (السيد عزيز الدولة) – أعزَّ الله نصره – اشتراهم بماله. فإنْ كانوا هديةً، فهو – خلد الله ملكه – يجازي عنهم بأضعاف القيمة. وإنْ كانوا شراءَ ماله فإنَّ ذلك أجدر بالنماء والبركة، وزعموا أنَّ عدَّتهم نيفٌ وثلاثون، ولم يثبتوا في العدة على قول واحد"[٣] .

يتحدث المعري في النص أعلاه عن مراسلات (عزيز الدولة) السرية مع زعيم الروم، وتواطئه معه في تسليم (حلب) مقابل حماية زعيم الروم له.

وقوله: "تحدث العامة... اشتراهم بماله"، يحتوي على مجموعة مِنَ الافتراضات لعل من أهمها: إنَّ لزعيم الروم غلماناً، وإنَّهم وردوا إلى (عزيز الدولة) على سبيل الهدية أو اشتراهم بماله، ويفترض هذا القول إنَّ هناك علاقة بين زعيم الروم و(عزيز الدولة)، و"للتأكد مِنْ أنَّ كل ما سبق هي افتراضات وليست مِنْ منطوق الكلام أنَّ نفي القولة"[٤] بقولنا: لم يتحدث العامة عن غلمان وردوا إلى عزيز الدولة مِنْ زعيم الروم، أو لم يشتريهم بماله . فهذا النفي لا يلغي تلك الاستنتاجات. أمَّا المعنى المنطوق للنص السابق فهو: الإخبار بورود غلمان مِنْ زعيم الروم إلى (عزيز الدولة) وأنَّ الناس قد اختلفوا فيهم قولاً وعدداً.

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٨.
[٢] نفسه: ١٤٦.
[٣] رسالة الصاهل والشاجح: ٦٩١.
[٤] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٦ – ١٤٧.

والقصد الذي أراد المعري تمريره تمريراً خفياً حتى كأنَّه لم يكن ما سيق الكلام لأجله، هو إنكاره على (عزيز الدولة) الإسراف في أموال الرعية، التي هم أحوج ما يكون إليها بسبب ما لحقهم مِنْ تشرد وفقر في أثناء (جفلة عزيز الدولة)، وذمَّ تقديم المصلحة الخاصة على العامة، واستغلال (عزيز الدولة) مكانته وسيادته للإضرار بالرعية مِنْ سكان حلب.

أمَّا غرضه فهو التعليم: لأنّه أردف النص المذكور سابقاً بعدة أعاريض الشعر على مذهبي الخليل، والزجاج، وذكره ما كاد الإجماع يقع عليه في ذلك قال: "وزعموا أنَّ عدّتهم[١] نيف وثلاثون، ولم يثبتوا في العدة على قولٍ واحدٍ، فإن كانوا أربعة وثلاثين فهم في عدة أعاريض الشعر على رأي (الخليل)، وإن كانوا اثنين وثلاثين فهو مذهب (الزجاج) في أنَّ الشعر له اثنان وثلاثون عروضاً، وإن كانوا واحداً وثلاثين – وعليه كاد الإجماع يقع – فهم في عدة القوافي المتواترة"[٢] .

أمَّا غاياته الخطابيتان فهما: السخرية مِنْ (عزيز الدولة)؛ لتواطئه مع العدو طمعاً في الملك. والفخر بسعة الاطلاع، وغزارة العلم،(لقد أراد المعري أنْ يبرهن لمتلقيه أنَّ إحاطته باللغة (نحواً وصرفاً وعروضاً) منقطعة النظير في عصرٍ كثرت فيه مظاهر الفوضى والعجمة واللحن)[٣] .

ومِنْ مصاديق الافتراض الوجودي قول المعري معزياً ابن أبي الرجال بولده، قال: "وقبض نوحٌ – عليه السلام – الذي زجر عبدة نسر[٤]، وأحكم سفينه بالدِّسر[٥]، فنجى مِنَ الغرق... ولم يخلد – عليه السلام – وقد أتاه النبأ مِنْ فوق"[٦].

يذكِّر المعري متلقيه بحتمية الموت، فجاء له بعض أخبار الأنبياء الذين قضى أجلهم، على سبيل العبرة والموعظة، وكذلك لتقريره معنى في نفس المتلقي مفاده: {كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ} [العنكبوت: ٥٧].

---

[١] أي الغلمان .
[٢] رسالة الصاهل والشاحج: ٦٩١.
[٣] ينظر: رسالة الغفران دراسة أسلوبية: محمد جاسم ، ١١٩.
[٤] نسر: اسم لصنم كان في قوم نوح يعبدونه: معاني القرآن: ٢٣٠/٥.
[٥] دسر: خيط مِنْ ليف تشدّ به السفينة، والمسامير أيضاً دسراً، العين: ٢٢٥/٧.
[٦] رسالة في تعزية ابن أبي الرجال: ٦ – ٧.

وذكره الأنبياء إنّما جاء ليبين قوت الموت وعظمته؛ إذ إنَّ الموت مدرك المخلوقات كلها، فلم ينج منه نبياً ،أو فارساً ،أو ملكاً، أو صعلوكاً إلّا وأدركه.

وكلّ ما ذكره المعري مِنْ قصة نوح – عليه السلام – يُعدّ مِنْ الحقائق الثابتة التي جاء بها القرآن الكريم، قال تعالى: " {وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ} [القمر: ١٣]، وقال الله تعالى: {وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}[نوح: ٢٣].

قال الزجاج: "هذه خمسة أصنام كانت في قوم نوح يعبدونها"[١].

إذاً فزجر نوح قومه عن عبادة الأصنام، وصنعه السفينة لينجو هو ومن آمن به مِنْ قومه، وإغراق مَنْ كذّب بدعوته، كل ذلك يُعدّ مِنَ الحقائق الثابتة والقارّة المطابقة للواقع والمستمدة منه.

وموضع الافتراض في نص أبي العلاء السابق في قوله: "الذي زجر عبدة النسر"، الذي يفترض أنَّ مِنْ قوم نوح مَنْ يعبدوا صنماً، واسم ذلك الصنم نسراً.

ولتأكيد أنَّ ما سبق هي افتراضات وليست مِنْ منطوق الكلام. إنَّ نفي قول المعري بقولنا: لم يزجر عبدة نسراً، ستبقى الافتراضات ثابتة كما هي.

ويحمل النص افتراضات وجودية أخرى مِنْ قبيل: وجود الماء الذي سبب الطوفان، وصنع نوح سفينة وإحكامها بالدسر.

أمَّا أهم مقاصد أبي العلاء فهي:

المقصد الأول: إظهار قوة الموت والتذكير بمصير الخلق، وهذا ما يستدعي التأمل والاستعداد.

المقصد الثاني: بث الصبر في نفس المتلقي.

المقصد الثالث: تخفيف ألم الفراق عند المتلقي، وذلك بتذكيره بموت الأنبياء والملوك والفرسان.

---

[١] معاني القرآن: ٥/٢٣٠.

والغرض منه، أخذ العبرة والموعظة، فتذكر الموت يستلزم تذكر العمل الصالح والدعوة إليه.

أمَّا غايته الخطابية فهي: تعزية المتلقي بوفاة ولده.

ب- "افتراض الحقائق: وهو افتراض يأتي بعد أفعال تدل على وجود حقيقة ما يغض النظر عن صدق تلك الحقيقة في الواقع"[١] ، ومِنْ ذلك قول أبي العلاء: "قد نفذت رقعتي بالأمس إليه – أطال الله بقاءه – أحثه فيها على إطلاق محبوس، في إطلاقه صلاح، وما سألته أنْ يصفح عن جنايته، ولا يتجاوز عنْ ذنبه، وفي هذه السبرة، جاءت أمه محزونةً كئيبة، تزعم أنَّ طملاً دخل عليها في الجهمة فذبح لها ولابنها أربعاً مِنْ أمات الكيك[٢]، وهي متفجعة لذلك كأنَّها مِنْ الدجاج الذي زعم الإسكندر لملك فارس أنَّه كان يبيض بيض الذهب"[٣].

يظهر مِنَ النص أعلاه أنَّ المعري كتب هذه الرسالة يطلب مِنْ أحد معاصريه، ذي الوجاهة ،والسيادة أنْ يطلق محبوسا قد سُجِنَ عنده لذنب اقترفه، وكان طلب المعري بعدما توسلت والدة ذلك المحبوس بالمعري، واستنجدت به، بعد أنْ بقيت بغير معين بعد سجن ابنها، فدخل عليها لص، وذبح لها ولإبنها (أربعاً مِنَ الدجاج).

يوحي النص بفقر تلك العائلة، وكأنَّها لا تملك غير ما سرق منها مِنَ (الدجاج)، ولذلك يصف حال تلك المرأة بعد الحادثة بأنَّها "متفجعة لذلك كأنَّها مِنْ الدجاج الذي زعم الإسكندر لملك فارس أنَّه كان يبيض بيض الذهب"، فكأنَّ دجاجاتها كانت تساوي عندها ذهباً، كونها لا تملك غير ذلك شيئاً.

يحتوي النص السابق على عدد مِنَ الافتراضات، منها: أنَّ رقعة مِنَ المعري قد نفذت إلى أحد معاصريه، يحثه فيها على إطلاق محبوس عنده، وأنَّ لذلك المحبوس والدة، وأنَّ المحبوس ولد، وأنَّ والدة المحبوس تعرف المعري؛ لذلك ذهبت إليه؛ لتطلب منه المساعدة في

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى:١٤٧.
[٢] السبرة: الغداة الباردة، (العين: ٢٥١/٧)، الطمل: اللص، العين: ٤٣٢/٧، الجهمة: أو مآخر الليل، المحيط الأعظم: ١٨٠/٤، الكيكة: البيضة، لسان العرب: ٤٨١/١٠.
[٣] رسائل أبي العلاء المعري : ٢٥٠.

إطلاق ابنها، وأنَّ للأم وولدها (دجاجات)، وأنَّ عدد (الدجاجات) أكثر مِنْ أربع بقرينة (من) في قوله: "فذبح لها ولابنها أربعاً مِنْ أمات الكيك"، فـــ (من) هنا دالة على التبعيض، ولو لم يكن عندها أكثر مِنْ أربع لما أتى بـــ(مِنْ)، ولربما قال: (ذبح دجاجاتها الأربع)، أو (ذبح دجاجاتها) من دون تحديد العدد، وأنّ ثمة سارقا سرق تلك الدجاجات عندما عَلِمَ بأنّ صاحب البيت غير موجود ؛ولهذا حرر المعري رسالته (رقعته) ليطلب بإطلاق سراحه .

مما سبق نلحظ أنَّ كل الافتراضات المستنتجة مِنَ النص السابق، جاءت بعد أفعال كـــ(الكتابة، الحبس، طلب الشفاعة، دخول اللص، ذبحه أربعاً مِنَ الدجاج)، وأنَّ هذه الأفعال دلت على حقائق، قد تكون مطابقة للواقع، والسياق يؤيد صدقها وحقيقتها.

أراد المعري مِنَ النص السابق وما حمل مِنَ افتراضات، أنْ يوصل لمتلقيه مقاصد مهمة، منها:

المقصد الأول: إظهار اهتمامه الكبير، وسعيه في قضاء حوائج الناس.

المقصد الثاني: إنَّ الغاية تبرر الوسيلة، وإذ قد يكون في إطلاق المحبوس المذنب صلاح لا يتحقق بسجنه.

المقصد الثالث: ينبغي عدم التمييز بين الناس بحسب معتقدتهم أو لونهم أو جنسهم، فقد كان مَنْ طلب المعري اخراجه مِنَ السجن نصرانياً[١].

وغرضه مِنْ ذلك الطلب مِنَ المخاطب إخراج المحبوس لكي يرجع إلى أمه كونها من دون معين، وهي بأمس الحاجة إليه.

أمَّا غايته الخطابية فهي: التأثير بالمتلقي لتحقيق ما سيق الخطاب لأجله، إذ لا يعد الخطاب ناجحاً ما لم تتحقق الغاية منه.

ولمسلك السوق أثره الواضح في الوصول إلى المقاصد، وذلك بقرينة السياق، والقرينة اللفظية (مِنْ)، فللسياق أهمية " في توليد المحتوى الضمني أو إنشائه"[٢] .

---

[١] ينظر: رسائل أبي العلاء المعري : ٢٥١.
[٢] التداولية واستراتيجية التواصل: ٢٢٥.

ومما يصح أنْ يكون مصداقاً لافتراض الحقائق، قص المعري ما دار بين ابن القارح وأحد الملائكة في الجنّة بعدما سأل ابن القارح الملك عن الحور العين: "فيقول الملك: أقفُ أثري لترى البدئ من قدره الله. فيتبعه، فيجيء به إلى حدائق لا يعرف كنهها إلاّ الله، فيقول الملك: خذ ثمرةً من هذا الثمر فاكسرها فإنَّ هذا الشجر يعرف بشجر الحور. فيأخذ سفرجلةً، أو رمَّانةً، أو تفَّاحةً، أو ما شاء الله من الثمار، فيكسرها، فتخرج منها جاريةٌ حوراء عيناء"[1]

يذكر المعري بعض مما أعدّ لأهل الجنة جزاءً لهم على ما عملوا مِنَ الصالحات في الحياة الدنيا، والمعري هنا يحيل إلى ما ذكره الله تعالى مِنْ وصف ما أعدّ للمتقين في الجنة، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ} [الحج: ٢٣]، وقال تعالى: {فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ} [الرحمن: ٥٢].

وموضع الشاهد في النص العلائي السابق، قوله: "فيأخذ سفرجلة أو رمانة، أو تفاحة" الذي يفترض أنَّ في الجنة شجر سفرجل، ورمان، وتفاح، وأنَّ في ذلك الشجر ثمار.

وذكره الأداة (أو) قرينة على أن كل أنواع الشجر وثماره المذكورة، موجود في الجنة، بل هناك أنواع كثيرة لم تذكر، ودليل ذلك القرينة اللفظية (أو ما شاء الله مِنَ الثمار).

وكل ما ذكر المعري مِنْ نعيم أهل الجنة، هو حقيقة كان قد أقرها القرآن الكريم مِنْ قبل .

ومقصد المعري مِنْ ذلك، وصف الجنة وترغيب المتلقي بالعمل الصالح؛ ليكون ذلك وسيلة تمكنه مِنْ دخول الجنة والتمتع بنعيمها الذي لم يرَ الإنسان مثله مِنْ قبل.

والغرض، توبيخ مَنْ يغفل عن نعيم الآخرة الدائم وينشغل بمتاع الدنيا الزائل، أو مَنْ يؤثر ويستبدل الآخرة بالدنيا، فيكون بعد ذلك ممن حقّ عليهم العذاب وأولئك هم الخاسرون.

أمَّا غايته الخطابية فهي التأثير في المتلقي.

ونلحظ مما سبق تعاضد أكثر مِنْ مسلك خطابي في سبيل الوصول إلى ما سبق ذكره مِنْ مقصد وغرض وغاية.

---

[1] رسالة الغفران: ٢٨٨.

فمسلك السرد، ثمّ الوصف، ثمّ مسلك السوق بالقرينة اللفظية.

ت- الافتراض المعجمي: "وهو افتراض يرتبط ببعض الكلمات المركبة التي تشتمل على دلالة غير مصرح بها ولكنها مندرجة على نحو تكون فيه شرطاً سابقاً لتحقيق معنى الكلمة الظاهرة، كدلالة الفعل دخل على خروج سابق"[١] .

ومِنْ أمثلته في رسائل أبي العلاء قول المعري:" وإنِّي لأصبو إلى لقائه صبابة العود إلى وطنه، والشجن إلى شجنه، وأحنّ في خلال ذلك إلى مناجاته حنين الشوارف إلى السِّقاب[٢]..."[٣]

ثم قال بعد ذلك : "حتى يقدم على أطفاله، فهم لغيبته مبتئسون، وبشؤونه كل وقت يسئلون سؤال المجدب بالكلأ..."[٤].

هذا جزء مِنْ رسالة كتبها المعري "إلى بعض أولياء السلطان يشفع في صديق له كان عاملاً يُعرف بالحسين بن عنبسة بن عبد الله"[٥] ، وقد اشتملت بعض الكلمات في النصين السابقين على دلالات غير مصرح بها، مِنْ ذلك كلمة (لقائه) التي تشتمل على (فراق أو بعد سابق)، وكلمة (يقدم) التي تندرج تحتها دلالة (سير سابق)، وكلمة (غيبة) التي تندرج تحتها دلالة (حضور سابق).

وكل هذه الدلالات (غير المصرح بها) هي شرط سابق لتحقيق معنى الكلمات الظاهر، إذ لا يتحقق معنى (القدوم) ما لم يسبقه أسر، وكذلك الأمر لـــ(اللقاء، والغيبة)، فلا يتحقق معناهما الظاهر ما لم يشتملا على دلالتي (الفراق، والحضور) السابقين؛ فكانت "الافتراضات المسبقة في الأساس شروطاً مفروضة حتى يكون توظيف الملفوظ مضبوطاً"[٦] .

ومِنْ أهمِّ المقاصد الخطابية في نص أبي العلاء هي:

---

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٧.
[٢] الصبابة: رقة الشوق، الصحاح: ١٦١/١، العود: الجمل المسن، تهذيب اللغة: ٨٠/٣، الشارف: الناقة المسنة، العين: ٢٥٣/٦، السقب: ولد الناقة، العين: ٨٤/٥.
[٣] رسائل أبي العلاء المعري : ٧٣.
[٤] نفسه: ٧٦ – ٧٧.
[٥] نفسه : ٧٢ .
[٦] التداولية واستراتيجيات التواصل: ٢٣٦.

المقصد الأول: إظهار المعري مودته لصديقه (المشفوع له)، والتصريح بذلك أمام مخاطَبه (المرسَل إليه)، لعلَّ ذلك يكون عاملاً مساعداً في تحقيق الشفاعة له، قال: "وإنِّي لأشتهر بمودته اشتهار الأبلق العقوق"[1] .

المقصد الثاني: وصف حنينه وشوقه إلى صديقه، مشبهاً ذلك بحنين الناقة إلى ولدها، وشوق الجمل البعيد إلى وطنه، واختيار المرسل للمشبه به دون غيره؛ لأنَّ هذا الصنف مِنَ الحيوانات عُرف بصدق حنينه ورقته، وشوقه الحار إلى ما يتطلع إليه.

المقصد الثالث: استعطاف المرسَل إليه، بوصف أطفال (المشفوع له)، وإظهار معاناتهم لفقدهم والدهم، ومحاولته ترقيق قلبه، لما في ذلك مِنْ أثر في تحقيق الغاية الخطابية، وهي تحقيق الشفاعة لصديق مقرب، وإطلاقه، لعله يرجع إلى أبنائه ومحبيه.

ونلحظ مما سبق أنَّ لمسلك السوق الأثر الواضح في تحقيق المقاصد والغرض والغاية، إذ تحولت بعض المعاني الثانوية في النص إلى معانٍ أساسية، كأنَّما سيق الخطاب لأجلها، وكل ذلك حصل بعملية (التبئير)، إذ أصبحت بعض العناصر في النص السابق هي (البؤرة) التي يدور الحديث حولها، والمقصود بالبؤرة: العنصر " الحامل للمعلومة الأكثر أهمية، أو الأكثر بروزاً في الجملة"[2].

ومِنْ مصاديق الافتراض المعجمي، ما كتبه المعري إلى أهل معرّة النعمان عند مقدمه عليهم مِنْ بغداد، قال: "هذا كتابٌ إلى السكن المقيم بالمعرَّة، شملهم الله بالسعادة، من أحمد بن عبد الله بن سليمان، خَصَّ به من عَرفَه وداناه، سلم الله الجماعة ولا أَسلَمَها، ولمَّ شَعْثَها ولا آلَمَها. أمّا الآن فهذه مناجاتي إياهم، منصرفي عن العراق مجتمع أهل الجدل[3]، ومواطن بقية السلف، بعد أنْ قضيتُ الحداثةَ فانقضَت، وودَّعتُ الشبيبة فمضَت، وحلَّبتُ الدهر أَشطُره، وجرَّبتُ خَيرَه وشَرَّه، فوجدت أوفق ما أصنعه في أيام الحياة عزلة، تجعلني مِنَ الناس كبارح

(1) رسائل أبي العلاء المعري: ٧٣.
(2) الوظائف التداولية: يوسف تغزاوي ، ٢٨.
(3) الجدل: المخاصمة، ثم استعمل في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، المصباح المنير: ٩٣/١.

الأروى من سانح النّعام، وما ألوت نصيحة لنفسي، ولا قصّرت في اجتذاب المنفعة إلى حيزي"[١].

يتحدث المعري في النص السابق إلى مَنْ عرفه في معرة النعمان عن عزمه مغادرة بغداد التي دخلها "سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وكانت إذ ذاك كما قال الزجاج: بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية"[٢]، وبعد أنْ مكث بها "سنة وسبعة أشهر"[٣]، عزم على الرجوع إلى معرّة النعمان، وحبس نفسه في منزله؛ لأنَّه وجد أوفق ما يصنعه في أيام حياته عزلة عن الناس وحبسه نفسه.

والمعري لم يكن ورد بغداد "ليرحل عنها وكان مزمعاً أنْ يقيم بها إلى أنْ يوافيه يومه، ولكن لمّا رأى تقطيب الرؤساء والأعيان وتنافسهم في جلب النار إلى أقراصهم والافتتان. وأنّ الدنيا كما هي، مفطورة على الشرور والدواهي. وأنَّ لذائذ الحياة ورغائبها، والمشتهيات ومطالبها مِنْ تقدير العزيز الحكيم... فعزم على ما عزم عليه"[٤]؛ إذ "لما رجع أبو العلاء مِنْ بغداد إلى المعرّة ولزم منزله وسمى نفسه رهين المحبسين يعني حبس نفسه بالمنزل وحبس بصره بالعمى، شرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسارت إليه طلبة العلم مِنَ الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار"[٥]، وأعود إلى ما جئت بالنص لأجله (الافتراض المعجمي) نلحظ أنَّه يكمن في قوله: "منصرفي عن العراق" الذي يفترض أنّه قد دخل فيه سابقاً، كما أنَّ قوله: "فوجدت أوفق ما أصنعه في أيام الحياة عزلة" يفترض أنّه كان مخالطاً للناس.

أراد المعري مِنَ النص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: إلقاء التحيّة على مَنْ عرفه وأدناه بالمعرّة.

المقصد الثاني: نقله صورة واضحة عمّا تميزت به بغداد في ذلك العصر، إذ غدت حاضرة الثقافة ومستقر العلماء وأمل طلبة العلم.

---

[١] رسائل أبي العلاء المعري: ١٠١ – ١٠٢.
[٢] أوجّ التحري عن حيثية أبي العلاء المعري: ١٧.
[٣] نفسه: ٣١.
[٤] أبو العلاء وما إليه، عبد العزيز الميمي: ١٦٨ -١٦٩.
[٥] أوج التحري عن حيثيات أبي العلاء المعري: ٣٣.

المقصد الثالث: إظهار مدى حرص العلماء الأوائل على طلب العلم والبحث عن مراكز الثقافة وحواضن المعرفة ولو كان في ذلك عليهم نصب شديد.

والغرض مِنْ ذلك: التحسر على مغادرة بغداد، ومدح البغداديين، قال: "فلقد وصفوني بما لا أستحقّ، وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم، وعرضوا عليّ أموالهم"[١].

أمّا غايته فهي: إعلام أهل المعرّة بما عزم عليه مِنْ مغادرة بغداد، وحبسه نفسه عن الناس إذا ما وصل إلى مقصده.

ث- الافتراض التركيبي: "هو افتراض ينشأ مِنَ المركبات، ومِنْ أمثلته ما ارتبط بصوغ الأسئلة على افتراض مزعوم"[٢]، كأنْ "يقول الشريك (أ) في حوار للشريك (ب): كيف حال زوجتك وأولادك؟. فالافتراض المسبق لهذا الملفوظ هو أنَّ الشريك (ب) (متزوج وله أولاد)، وأنَّ الشريكين (أ) و(ب) تربطهما علاقة ما تسمح بطرح هذا السؤال"[٣] .

ومِنْ مصاديقه في الرسائل العلائية قول المعري على لسان ابن القارح سائلاً الشاعر (لبيد) بقوله: " فما مغزاك في قولك؟:

وصبوح صافيةٍ وجذبِ كرينة بموترٍ تأتالُه إبهامُها ؟[٤]

فإن الناس يروون في هذا البيت على وجهين: منهم من يُنشدهُ تأتالُه، يجعلُه تفتعله، من آل الشيء يَؤُولُه إذا ساسه، ومنهم من ينشد: تأتالَه من الإتيان. فيقول (لبيدٌ)[٥] : كلا الوجهين يحتمله البيت، فيقول، أرغم الله حاسده: إنّ (أبا عليّ الفارسيّ)[٦] كان يدّعي، في هذا البيت، أنَّه مثل قولهم: اسْتَحَى يَسْتَحِي، على مذهب (الخليل) و(سيبويه)؛ لأنَّهما يريان أنَّ قولهم: اسْتَحَيْتُ، إنَّما جاء على قولهم استحايَ، كما أن استقمت على استقام، وهذا مذهبٌ ظريفٌ؛ لأنّه

---

[١] رسائل أبي العلاء المعري : ١٠٣.
[٢] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٧.
[٣] التداولية عند علماء العرب: ٣١.
[٤] ديوان لبيد بن ربيعة: ١٧٥.
[٥] لبيد بن ربيعة بن مالك، شاعر جاهلي محسن، أدرك الإسلام وأسلم، وكانت وفاته في أول خلافة معاوية، ينظر: الشعر والشعراء: ٢٦٦/١ – ٢٦٧، المؤتلف: ٢٩٩/١.
[٦] أبو علي الفارسي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، ولد بفارس، وهو مِنْ أكابر النحويين أخذ عن أبي بكر بكر بن السراج، توفي (٣٧٧هـ) ببغداد، أنباه الرواة: ٣٠٨/١ – ٣٠٩، نزهة الألباب: العسقلاني، ٢٣٢/١ – ٢٣٣.

يعتقد أنّ تأتى مأخوذةٌ من أوى، كأنّه بُني منها افتعل، فقيل: ائْتَايَ، فأعلّت الواو كما تعلُّ في قولنا: اعتان مِنَ العون، واقتال من القول. ثمّ قيل: ائتَيتُ، فحُذِفَت الألف، كما يقال: اقتلتُ. ثمّ قيل في المستقبل، بالحذف، كما قيل: يَسْتَحي. فيقول (لبيدٌ): معترضٌ لعنٍ لم يعنه، الأمر أيسر ممّا ظنَّ هذا المتكلَّف"[1].

يعرض المعري في النص السابق أصل اشتقاق الفعل (تأتال)، وما يمكن أنْ يحمل عليه مِنْ دلالة أو توجيه، ذاكراً آراء بعض العلماء في هذا الشأن، وواصفاً بعضها بالتكلف في إشارة مِنه إلى سعة اطلاعه واعتزازه برأيه ودقة توجيهه.

وعوداً إلى ما سيق النص لأجله (الافتراض التركيبي)، فإنَّ موطن الافتراض يكمن في قوله: "فما مغزاك في قولك"، الذي يفترض أنَّ المخاطَب (لبيد)، هو مَنْ قال هذا البيت، وأنَّه عارف بمغزاه، وأنَّ السائل يعلم أنَّه سيُجاب عمَّا سأل، وأنَّ بين السائل والمسؤول علاقة ما.

وكل تلك الافتراضات تكون متضمنة في القول السابق إذا ما نظرنا إليه بوصفه قصة خيالية (مفترضة).

أمَّا إذا نظرنا إلى النص السابق على أنَّه نصٌ حقيقيٌّ مِنْ إنشاء المعري، كونه (السائل والمجيب)، فسيكون الافتراض: أنَّ أبا العلاء يعلم بجهل المتلقي (ابن القارح) بأصل اشتقاق هذا الفعل، وتوجيهه، ولذلك أخبره عنه.

أراد المعري بالنص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: ذمٌّ تنازع التكلف وإنكاره في توجيه المسائل وتحليلها.

المقصد الثاني: بيان سعة اطلاعه، وغزارة علمه، بدلالة عرضه المسألة مفصلةً.

المقصد الثالث: الاعتزاز برأيه، ما دام قد رفض توجيه الفارسي في المسألة، ووصفه بالتكلف، فرد رأي بعض العلماء كأبي علي الفارسي، لا شكَّ أنَّه يحمل معنى الاعتزاز بالرأي، والثقة بالنفس في توجيه المسائل توجيهاً أقرب للقبول مما كانت عليه.

---

[1] رسالة الغفران: ٢١٧ – ٢١٨.

المقصد الرابع: استهجان اعتراض المعترض على ما ليس مِنْ شأنه، وكأنَّ المعري يحيل في هذا المعنى إلى قوله تعالى:"وَلا تَقفُ مَا لَيسَ لَكَ بهِ عِلمٌ "[1].

أمَّا غرضه فهو: التعليم، كونه عرض للمسألة، وذكر آراء بعض العلماء فيها.

وغايته مِنْ ذلك: التنبيه والتوجيه، فبعد أنْ وصف ابن القارح بأنَّه: أديب حاذق، محبٌ للعلم، أخذ يبين له بعض المسائل التي ينبغي أن يكون ابن القارح ملماً بها.

ومِنْ مصاديق الافتراض التركيبي قول أبي العلاء: "لو اتّصلت كتب مولاي كاتصال الأمطار، وتوالت توالي الأنفاس لكنت بوليّها أسرّ مني بوسمّها وإلى مستأنفها أشوق مني إلى سالفها، وما يكتب إلّا في برّ، ولا يحث على غير المصلحة في الجهر والسّر، وما أدري ما أقول في السعادة التي قد رُزقتها عنده حتى غطّت معايبي، وسترت الأسدَّة[2] التي ضرت بي"[3].

يفصح المعري عن سروره، ويصف سعادته عند ورود كتب متلقيه إليه، فهو لا يشعر بالملل مِنْ قراءتها ولو تواصلت وكثرت كاتصال الأمطار، وتوالت توالي الأنفاس؛ ذلك لأنَّ متلقيه لا يكتب إلّا في الخير، ولا يحث إلّا على المصلحة، وهذا ينسجم وتوجه المعري الديني والأخلاقي.

ومحصلة ما سبق، أنَّ المعري محب للخير، ولا يكاتب أو يُسرُّ بمكاتبةٍ إلّا إذا كانت مِنْ أهل الخير، وتحث على المصلحة.

ويصور المعري سعادته عن طريق الاستعارة بصورة الغطاء الذي يخفي ما تحته، ويحجب الرؤية عنه، فسعادته وسروره بورود كتب متلقيه واتصالها إليه، سترت عيوبه، وأخفت ما يعانيه مِنَ التعب والإعياء، فظهر للآخر بأنّه في غاية السعادة، وأنَّه لا يوجد هناك ما يسوء خاطره، فكأنّ الراحة تملئه، وليس للحزن عنده مِنْ مكان.

---

[1] الإسراء : ٣٦ .
[2] الأسدّة: العيوب، الجيم: ٨٦٢.
[3] رسائل أبي العلاء المعري: ٢٦٨ – ٢٦٩.

ومحل الافتراض التركيبي يكمن في قول المعري: "وما أدري ما أقول في السعادة التي رزقتها"، الذي يفترض أنّه يشعر بالسعادة، بل هو في غايتها؛ لأنّ متلقيه لا يكتب إلّا في الخير، ولا يحثّ إلّا على المصلحة.

وقد حمل النص العلائي المقاصد الآتية:

المقصد الأول: تصريح المعري بشوقه إلى كتب متلقيه، ومودته له.

المقصد الثاني: إظهار حبه للخير وفاعله، وسعادته بمكانة أهل الخير والصلاح.

المقصد الثالث: مدح المتلقي؛ إذ جعله فاعلاً للخير، حاثاً على المصلحة.

والغرض مِنْ ذلك حثّ المتلقي على فعل الخير والدعوة إلى المصلحة.

وغايتاه التأثير والإفصاح .

ونلحظ مما سبق تساوق وتعاضد مسلكي التلميح بـــ (الاستعارة)، والسوق بـــ (قرينة السياق) التي دلت على ما سبق ذكره مِنْ مقاصد خطابية.

ج- الافتراضات التوهمية: "ومِنْ أمثلتها (زيد يتوهم أنَّه ناجح) وهو ما يفترض أنَّه ليس بناجح"[١]

فمِنَ الافتراض التوهمي في النصوص محل الدراسة، قول المعري: "وزعم المرجفون من أهل ملة الطاغية، أنَه قد أمر قوماً من أهل عمله، بحفر أماكن في بلده ظنَّ المرجفون أنَّ حفرها يكون قوةً لزيادة الماء في السعيد (قويق)[٢] – جعله الله الغمر السائح – وإنَّما سميته السعيد لأنَّ النهر الصغير يقال له سعيدٌ، وجمعه سُعُد... ولأنَّه سَعِدَ بقربه مِنَ (السيد عزيز الدولة، أعز الله نصره) وبكونه شرباً للمسلمين. وفي قدرة الله تعالى أنْ يجعله في الآخرة من أنهار الجنان.

[١] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٨.
[٢] قويق: اسم نهر قريب مِنْ حلب، زبدة حلب: ١٤٨.

وزعموا أن ذلك الموضع يتصل بالسواجير[١] . وتلك السواجير في أعناقهم إن شاء الله. وهذا فن من الكذب دل على نزول الطاغية بدار المعجزة"[٢] .

يتحدث المعري عمَّا كان يدور على ألسنة أهل حلب مِنْ "غزوٍ رومي مرتقب، فقد راجت بينهم الإشاعات والأقاويل والأراجيف، مما يشبه في مصطلحنا الحديث (حرب الإعلام ونشر الدعاية)"[٣] .

ومِن تلك الأراجيف التي أشاعها (المرجفون) مِنْ أهل ملة زعيم الروم، أنَّه أمر قوماً مِنْ ملته بحفر أماكن مِنْ شأنها زيادة الماء في النهر (قويق) قاصداً بذلك إغراق مَنْ هم عرضة للغرق مِنْ سكان حلب، الذين يسكنون على جانبي النهر (قويق)، إذا فاض النهر عليهم.

والمعري بقوله هذا يحيل إلى ما ذكر مِنْ "أنَّ سيلاً جاء في نهر (قويق) في الليل لم يسمع بمثله، فأغرق أكثر المضارب، وأتلف الرجال، وأهلك الدواب المشبوحة"[٤] .

والمعري هنا يسخر مِنْ زعيم الروم وأهل ملته ومَنْ يعتقد بهذا القول غيرهم؛ فلو كان زعيم الروم "مِنَ القوة ما يدعيه أهل ملته لشرع في قطع (قويق) السري، لا في تقويته"[٥].

يكمن الافتراض في قول المعري: "ظنَّ المرجفون أنَّ حفرها يكون قوة لزيادة الماء في السعيد (قويق)[٦] ، وهو ما يفترض أنَّه لن يكون قوة لزيادة الماء، وأنَّهم لا يملكون القوة التي تمكنهم مِنْ فعل ذلك، فلو كانوا يستطيعون فعل ذلك لشرعوا في قطع النهر؛ لكون القطع أيسر مِنَ الحفر والتقوية، وأشد أثراً على أهل حلب أجمعهم.

حمل النص المقاصد العلائية الآتية:

المقصد الأول: تكذيب الأراجيف؛لأنَّ تلك الإشاعات (فنٌ مِنَ الكذب).

---

[١] الساجور: خشبة تجعل في عنق الكلب، الصحاح: ٦٧٧/٢.
[٢] رسالة الصاهل والشاحج: ٥٥٠.
[٣] صورة نازحي حلب في رسالة الصاهل والشاحج، د. علي عبد االإمام، جامعة ذي قار، كلية الآداب، مجلة آداب البصرة، العدد ٨١، ٢٠١٧م.
[٤] زبدة حلب: ابن العديم ، ١٤٨ – ١٤٩.
[٥] رسالة الصاهل والشاحج: ٢٥٢.
[٦] نفسه: ٥٥٠.

المقصد الثاني: الانتصار اللغوي للمسلمين؛ لإدراكه أثر ذلك في رفع المعنويات، والصمود في وجه العدو، والتصدي له، قال: "و(قويقاً) المبارك، طيرةٌ لهم، فكلما زادوه مِنْ قوة فإنما يرجع وبالاً عليهم"[١] .

المقصد الثالث: مدح (عزيز الدولة) ما دام قد جعل النهر سعيداً بقربه.

المقصد الرابع: إنكار الكذب وتقبيحه: "ولولا أنَّ الكذب لا يحسن بأهل الإسلام ولا بأحدٍ مِنَ الناس. لجازيناهم على كذبهم الظاهر"[٢].

وغرضه الخطابي: توجيه المسلمين إلى أخذ الحيطة والحذر مِنْ خدع العدو ومكره، كون العدو يسعى إلى تحقيق النصر على المسلمين بشتى السبل والوسائل.

أمَّا غايته فهي: التأثير، إذ لا يتحقق الانتصار إلَّا برفع المعنويات، والاستعداد للعدو، وإفشال مخططاته.

وباختيار المرسِل الألفاظ (زعم، المرجفون، ظنَّ) التي توحي بكذب ما بعدها، والشك فيه، يكون لمسلك السوق أثرٌ كبيرٌ في تحقيق المقاصد المذكورة، إذ تعد هذه الألفاظ قرائن لفظية على تلك المقاصد.

ومِنْ مصاديق الافتراض التوهمي قول أبي العلاء: "وكيف يستجيز من فرشه مِنَ الاستبرق أنْ يمضي عليه أبد وهو لا يدري كيف يجمعه جمع التكسير ولا كيف يصغره، والنحويون يقولون في جمعه أبارق وفي تصغيره أُبَيرق، وكان أبو إسحاق الزجاج يزعم أنَّه مسمى بالفعل الماضي وذلك الفعل استَفْعَل من البرْق أو البَرَقَ، وهذه دعوى من أبي إسحاق وإنّما هو اسمٌ أعجمي عُرِّب"[٣].

يبحث المعري في النص السابق أصل مادة (استبرق) ومادتها، فبعدما عرض لبعض أقوال العلماء في هذا الشأنْ، ردّ قول الزجاج الذي رفض فيه الرأي القائل بأعجمية (الاستبراق)، وأنَّه عُرِّب فيما بعد، قال الزجاج: "وزعموا أنَّ ابن مُحيْصن لم يصرفه؛ لأنّ (وَإِسْتَبْرَق) اسم

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج:٥٥١ .
[٢] نفسه : ٥٥٣ .
[٣] رسالة الملائكة: ٣٨.

أعجمي، وأصله بالفارسية استبره، فلما حول إلى العربية لم يصرف وهذا غلط لأنّه نكرة ألا ترى أن الألف واللام يدخلانه، تقول: السندس والإستبرق"[١].

وتابع المعري سيبويه في تصغير (استبرق)، قال سيبويه: "وإذا حقرت إستبرقٌ قلت: أبيرقٌ، وإن شئت قلت: أبيريقٌ على العوض، لأن السين والتاء زائدتان، لأنَّ الألف إذا جعلتها زائدة لم تدخلها على بنات الأربعة ولا الخمسة، وإنَّما تدخلها على بنات الثلاثة، وليس بعد الألف شيء من حروف الزيادة إلّا السين والتاء، فصارت الألف بمنزلة ميم مستفعلٍ، وصارت السين والتاء بمنزلة سين مستفعلٍ وتائه. وترك صرف استبرق يدلك على أنه استفعل"[٢].

وصرّح غير واحدٍ مِنَ النحويين في وزن وأصل (إستبرق)، جاء في الخصائص أنّ: "وزن إستبرق (إستفعل)"[٣]، وفي شرح الشافية: "وأمّا إسْتَبْرَق فأصله أعجمي فعرّب، وهو بالفارسية إستبره، فلما عُرّب حمل على ما يناسبه في الأبنية العربية، ولا يناسب مِنْ أبنية الاسم شيئاً، بل يناسب نحو: استخرج، أو تقول يناسب نحو استخراج مِنْ أبنية الأسماء باجتماع الألف والسين والتاء في الأول"[٤].

ونلحظ أنَّ الافتراض التوهمي يكمن في قول أبي العلاء: "وكان أبو إسحاق الزجّاج يزعم أنّه مسمى بالفعل الماضي" الذي يفترض أنَّه ليس كذلك عند المعري، أي ليس مسمى بالفعل الماضي، والقرينة الدالة على هذا المعنى هي القرينة اللفظية (يزعم)، وكذلك قوله: "وهذه دعوى من أبي اسحاق"، فذكره (يزعم، ودعوى) يوحيان بأنّ ما بعدهما بعيد عن الصواب، قال ابن دريد (ت: ٢٢١هـ): "وأكثر ما يقع الزعم على الباطل"[٥]، و"روي عن الأصمعي أنَّه قال: الزعم الكذب"[٦]، وفي الكلّيات أنّ "لكل شيء كنيه، وكنية الكذب زعم"[٧].

وقد حمل النص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: إنكار إغفال طلب العلم وتناسيه على يتمتعون بشيء من النعم.

---

[١] معاني القرآن وإعرابه: ٢٦٢/٥.
[٢] الكتاب: ٤٣١/٣.
[٣] الخصائص: ٢٠١/٢.
[٤] شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي: ٢٦٤/١.
[٥] جمهرة اللغة: ٨١٦/٢.
[٦] تهذيب اللغة: ٩٤/٢.
[٧] الكليات: ٤٨٨.

المقصد الثاني: دعوة القارئ إلى البحث وعدم التسليم بكل ما يقرأ؛ لأنَّ الشك طريق ناجح للوصول إلى حقائق الأشياء.

المقصد الثالث: "نقله صورة تامة عمّا وصل إليه علم الصرف في ذلك العصر والعصور التي قبله، وعمّا بلغ إليه العلماء فيه، كما مثل لنا صورة كاملة عمّا كان يتمتع به العلماء مِنْ حرية القول والإقدام على نقد الأئمة ودحض حججهم ومناقشاتهم في الدقيق والجليل مِنَ المسائل"[١].

المقصد الرابع: إظهار قدرته على نقد العلماء والأئمة في اللغة نقداً علمياً معتمداً في ذلك على ما يمتلك مِنْ ثروة علمية غزيرة في شتى مجالات اللغة مِنْ نحوٍ وصرف وغير ذلك.

أمَّا أغراضه الخطابية فهي: فخره بعلمه، وسعة اطلاعه، ودقّة تصرفه، واعتداده بنفسه؛ لأنّك "تجد من معرفته وعلمه في اللغة أنّه يرى الرأي في مسائل كثيرة، فينفرد به، ثم يرد على المتقدمين من علماء العربية"[٢].

أمّا غايته فهي: التعليم، ؛لأنه بين القول في المسألة وصرّح بما يراه صواباً.

ونلحظ مما سبق أثر القرينة في الوصول إلى المقاصد والأغراض الخطابية، وبذلك يكون لمسلك السوق الأثر الكبير في تحقيق المقاصد والأغراض الخطابية.

ح- "افتراض النقيض: ومِنْ أمثلته (خالد يتظاهر بالمرض) التي تفترض أنَّه ليس مريضاً "[٣].

"[٣].

ومِنَ افتراض النقيض في النصوص مدار البحث، قول أبي العلاء: "وما يلحقني الشكُ في أنَّ (دعبل بن عليّ)[٤] لم يكن له دينٌ، وكان يتظاهر بالتشيُّع، وإنَّما غرضه

---

[١] رسالة الملائكة: ل.
[٢] مع المعري اللغوي: ٧٤.
[٣] تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٨.
[٤] دعبل بن علي الخزاعي، كان شاعراً مجيداً، مدح الخلفاء والملوك، ولد في سنة ثمان وأربعين ومائتين، شذرات الذهب: ٢١٣/٣، الشعر والشعراء: ٢٣٨/٢ – ٢٣٩.

التكسب، وكم أثبت نسباً بتنسب، ولا أرتاب أنَّ (دعبلاً) كان على رأي (الحكمي)[١] وطبقته، والزندقة فيهم فاشية، ومِنْ ديارهم ناشية[٢] .

يذكر المعري بعض الشخصيات اللغوية والأدبية[٣] ، وما يتعلق بحيثياتهم مِنْ أخبارهم، ومذاهبهم، وخصوماتهم، في إشارة منه إلى "عظم درايته، وخبرته، واطلاعه على كل ما يتعلق بحيثياتهم، مِنْ محاسنهم ومساوئهم"[٤] .

وفي النص السابق يبدي المعري رأيه في أحد تلك الشخصيات، وهو (دعبل الخزاعي)، فهو عنده (لا دين له)، وإنَّما يتظاهر بالتشيع لغرض التكسب، وهو ليس كذلك، كما أنَّه ألحقه بأبي نواس في زندقته، و"الزنادقة هم الذين يسمون الدَّهرية، لا يقولون بنبوة ولا كتاب"[٥] .

ثم يصرح المعري بأنَّ الفرق التي ظهرت بعد الفتوحات الإسلامية إنَّما سببها يرجع إلى "ممازجة العرب غيرهم مِنَ الطوائف، وسمعوا كلام الأطباء وأصحاب الهيئة وأهل المنطق، فمالت منهم طائفة كثيرة"[٦] .

وعوداً إلى ما سيق النص له (الافتراض النقيض) نلحظ أنَّه يكمن في قوله: "كان يتظاهر بالتشيع" الذي يفترض أنَّه ليس شيعياً عند المعري، بل ألحقه وأبي نواس بالزنادقة، وإنْ ثبت تشيعه عند بعضهم[٧].

وقد ساق المعري النص السابق للمقاصد الآتية:

المقصد الأول: بيان رأيه في الشاعرين ومعتقدهما.

---

[١] أبو نواس: أبو علي الحسن بن هانئ، الحكمي الشاعر العباسي المشهور. ولد بالبصرة ونشأ بها، وهو في الطبقة الأولى مِنَ المولدين، وعرف بالفصاحة والبلاغة، الشعر والشعراء: ٧٨٤/٢، وفيات الأعيان: ٩٥/٢ – ٩٦، شذرات الذهب: ٤٥١/٢.
[٢] رسالة الغفران: ٤٢٠.
[٣] نفسه: ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٣٠.
[٤] رسالة الغفران دراسة أسلوبية: ٩٠.
[٥] رسالة الغفران: ٤٢٩.
[٦] نفسه: ٤٢٠.
[٧] شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد: ٢١٣/٣.

المقصد الثاني: التركيز على مسألة مفادها: انتشار مجالس اللهو، وشرب المحرمات، في العصر العباسي، والخروج عن الإسلام بشكل لم يسبق له مثيل في العصرين (عصر صدر الإسلام، العصر الأموي)، والمعري يرجع السبب في ذلك إلى سعة الفتوحات الإسلامية، وممازجة العرب ومخالطتهم غيرهم مِنَ الطوائف الأخرى.

المقصد الثالث: ذم الكذب والنفاق وإنكارهما، قال: "فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان؛ لأنَّ العالم مجبول على الكذب والنفاق[١].

المقصد الرابع: ذم وإنكار اتخاذ العقيدة والشعر وسيلة للتكسب.

وغرضه: توجيه الإنسان إلى التمسك بالإسلام وتعاليمه، والابتعاد عمَّا يخالفه مِنْ الطوائف الأخرى، والتركيز على ضرورة حفظ الإنسان ماء وجهه، وعزة نفسه، ولا يهدرها في سبيل الحصول على المال.

أمَّا غايته فهي: تنبيه الناس على نيات الشاعر التي تناقض أفعاله .

ومِنْ مصاديق افتراض النقيض، قول المعري: "وأمّا لجالية (حلب حرسها الله) فأقبلوا وقد ظهر عليهم رونق البلد وآثار الخفض. ورفعوا أصواتهم بالدعاء للسيد (عزيز الدولة – أعزّ الله نصره – وقالوا: إنَّ الله تعالى أنعم على الرّعيّة بهذا السلطان، أطال الله بقاءه، حتى بأسمائه وصفاته وأسماء أصحابه، إذ كان كلّه فألاً بالسعادة لهم ولجميع الأولياء. فـــ (عزيز الدولة) عزٌّ في الرواح والغدّو و(فاتك): فتك بالعدوّ"[٢].

يتحدث المعري في النص أعلاه عن عودة (جالية حلب) إلى وطنهم، بعد أنْ تحسنت العلاقة بين حلب ومصر، وعادت إلى ما كانت عليه في السابق، وزال خطر الروم عن حلب، فعاد الناس إلى منازلهم بعد معاناةٍ مِنْ تعب الجلاء، ولوعة الفراق والفقر، فعادوا محملين ومكللين بأنواع الهموم والمآسي؛ لشدّة ما تعرضوا له مِنْ أحداث طارئة لم تمر بهم مِنْ قبل.

والذي يفهم مِنَ النص العلائي ظاهراً أنَّ الجالية راضون عن (عزيز الدولة)؛ ولذا فهم يحمدون الله تعالى بأنْ أنعم عليهم بهذا السلطان، والحال ليس كذلك، وإنّما كانوا يتظاهرون

---

[١] رسالة الغفران: ٤١٩ .
[٢] رسالة الصاهل والشاحج: ٦٣٢.

بالرضا، ويخفون إنكارهم وسخطهم على (عزيز الدولة)؛ لأنّه مَنْ تسبب بجلائهم عن وطنهم، ونفورهم عنه، وكل ما تعرضوا له مِنْ جوع ورعب وتشتت، إنّما كان بسببه؛ وذلك بأنَّ "عزيز الدولة تغير عليه الحاكم فعصى عليه، وضرب الدينار والدرهم باسمه بحلب، ودعا لنفسه على المنبر، فأرسل الحاكم إلى الجيوش، وأمرها أنْ تتجهز إليه في سنة إحدى عشرة وأربعمائة. فلمّا بلغ عزيز الدولة ذلك أرسل إلى باسيل ملك الروم يستدعيه ليسلّم إليه حلب فخرج باسيل الملك، فلما بلغ موضعاً يعرف بمرج الديباج، بلغ عزيز الدولة وفاة الحاكم، فأرسل إلى باسيل يعلمه إنّه قد أنتقض ما كان بينهما مِنْ الشرط، وأنّه إنْ ظهر كان هو وبنو كلاب حرباً له... وكان الناس قد أجفلوا مِنْ ملك الروم إلى حلب فكانت هذه الجفلة تسمى جفلة عزيز الدولة لأنّها بسببه"[١].

فالمعري ينقل صورة الجالية وهم يظهرون خلاف ما يعتقدون بعزيز الدولة، وذلك لتواطئه مع الروم ،وزعيمهم باسيل، الذي تسبب بجلاء أهل حلب مِنْ منازلهم، ويكمن افتراض النقيض في النص السابق في قول المعري: "ورفعوا أصواتهم بالدعاء للسيد (عزيز الدولة)... ولجميع الأولياء"، فهذا القول يفترض عدم رضاهم عن عزيز الدولة وسياسته التي جلبت عليهم المآسي والمخاطر، وسخطهم عليه، ولذلك فهم أظهروا خلاف ما يعتقدون بعزيز الدولة وسياسته.

ومِنْ أهم المقاصد التي حملها النص العلائي:

المقصد الأول: إظهار ما كان يعانيه الجالية مِنْ "لوعة الفراق والتشتت، والنفور، والرعب في المكان الطارئ"[٢].

المقصد الثاني: الرفع مِنْ معنويات المسلمين في حلب، وبث حرارة المواجهة في نفوسهم؛ إذ ما حدث عدوانٍ ثانٍ[٣].

المقصد الثالث: إظهار ما يضمر الجالية لعزيز الدولة مِنْ سخط؛ لتسببه بما حصل لهم مِنْ آهات وويلات.

---

[١] زبدة حلب في تاريخ حلب: ١٢٤/١.
[٢] صورة نازحي حلب في رسالة الصاهل والشاحج: ٣٣.
[٣] ينظر: نفسه: ٣٥.

المقصد الرابع: التضامن عاطفياً مع الجالية، فالمعري يجد أنَّ عليه حق الوقوف مع أبناء مدينته ومواساتهم، ومحاولته تخفيف ألم الفراق ونصب التشرد عنهم.

والغرض مِنَ الخطاب السابق، دعوة المتلقي إلى حلّ الخلافات بالطرق السلمية، والركون إلى العقل في ذلك، لما في ذلك مِنْ أثر في تحقيق الأمن والاستقرار للرعية.

وغايته الخطابية هي السخرية بعزيز الدولة لكونه السبب في جلب الأذى والمعاناة للسكن مِنْ أهل حلب؛ إذ كان وبالاً عليهم فلم يأتهم إلّا بما هو شرّ لهم.

الخاتمة

انتهى البحث إلى نتائج أهمها :

١- تحقق كل المسالك الخطابية في النصوص محل الدراسة وهذا يدل على أمرين مفادهما : أولا: التزام المعري مسالك خطابية دقيقة كان يرمي منها تحقيق مقاصده وغاياته الخطابية وثانيا : إنَّ لاختيار المسلك الدقيق والمناسب أثر واضح في تحقيق نجاح عملية التخاطب .

٢- إنَّ بيان حدود المصطلحات وما بينها من فروق يتطلب ذلك من المتكلم أنْ يسلك مسلكاً بيانياً تصريحياً، وآخر بنائياً شرحياً لكي يحقق إفهام السامع، ومن ثمَّ تحقيق ما سيق لأجله الخطاب من مقصد ،أو غرض ،أو غاية.

٣- إنَّ بعض الغايات الخطابية لا يمكن تحققها إلا بركوب المتكلم مسلكا معينا من مسالك الخطاب ، كغايتي : الإقناع والتعجيز ، إذ لا يتحققان إلا بلجوء المتكلم إلى مسلكي الإستدلال والإبهام .

٤- إنَّ بين المسالك والغايات التي يُساق لأجلها الخطاب علقة كبيرة وواضحة تصل في بعض الأحايين إلى أن تكون هي المحدد ،والأساسي الذي يُحكم به على نجاح الخطاب من فشله .

٥- قد يتآزر ويتعاضد أكثر من مسلك خطابي في سبيل تحقيق غاية خطابية معينة ، وهذا يحقق التماسك النصي .

٦- تبيَّن أنَّ ، المقصد ،والغرض، والغاية ،مصطلحات نسبيّة ،أي ما يكون غرضا في مقام معين ، قد يكون غاية في مقام آخر .

٧- كثرة استعمال المعري غريب الألفاظ ووحشيها، إشارة منه إلى تمكنه خير تمكن من اللغة العربية أولا ، ورغبته في إعادة العربية إلى منابعها الأصيلة بوصف المعري أحد أهم مصادر العربية وأوثقها ،ثانيا ، وهذا ما يرتبط بمسلكي التلميح والإبهام ارتباطا وثيقا ، بل كان سمة مميزة لها .

٨- حرص المعري على مراعاة مقام مخاطبه ؛ لضمان تحقق نجاح عملية التخاطب .

٩- سيطرة المرجعية الإسلامية على الخطاب العلائي ، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على سعة ثقافة المعري الإسلامية وتمسكه بمعتقده في عصرٍ كثرت فيه ظهور الملل الباطلة والابتعاد عن جادة الصواب ؛ إثر الفتوحات الإسلامية ودخول الطوائف والملل الأخرى واختلاطهم بالمسلمين .

١٠- للضمائر المتصلة، والمستترة ،أثر في اتساق النص وتماسكه أكبر منه في الضمائر المنفصلة ، وهذا ما يتناسب وشكل الخطاب .

١١- لمراعاة مرجعيات الخطاب العلائي أثر كبير في تحديد المقاصد والأغراض والغايات الخطابية .

١٢- الافتراض أقرب إلى التلميح منه إلى التصريح، وهذا ما ينسجم ومقامات الخطاب العلائي؛ إذ إنَّ هناك مقاصد وغايات لا يمكن التصريح بها لأسباب كالخوف مِنَ السلطة وغير ذلك.

١٣- للافتراض الأثر الواضح في تحقيق المقاصد والغايات الخطابية، وذلك بإبراز المعاني الثانوية في النص، وتحويلها إلى معانٍ أساسية، كأنَّما سيق الخطاب لأجلها، وهذا ما اتضح من الوقوف على الافتراض.

١٤- سعي المعري إلى إظهار قدرته اللغوية أنَّى وجد لذلك محلاً، وما يعضد هذا الأمر ويؤيده تكرار غاياته وأغراضه العلمية.

١٥- تضافر القرائن وتآزرها لترجيح معنى بعينه دون المعاني الأخرى التي يحملها الخطاب ، وهذا ما اتضح لنا من مفهوم التضمن .

١٦- لمسلك التلميح حضور كبير مقارنة بمسلك التصريح ،وهذا ما يؤيد قولهم: التلميح أبلغ من التصريح ، وكذلك قول ابن جني : بأن اللغة كلها مجاز .

١٧- البنية الدلالية للخطاب أعقد وأغنى مما يتصور، أي إنَّ ما يحمله الخطاب أكثر بكثير مما يقال، وهذا ما اتضح لنا من المسالك البيانية ،ومسالك السَّوق .

١٨- تداخل المسلك السردي بنسبة عالية مع أغلب المسالك الخطابية ، حتى كادت تطغى سمة السردية على الرسائل العلائية ،وكأن سبب لجوء المعري إلى ذلك هو إبعاد الملل عن القارئ ،بجعله متشوقا إلى ما يؤول إليه النص السردي من نتائج وهذا مما يساعد في تحقق المقاصد والأغراض الخطابية .

١٩- إنَّ للسياق أثراً كبيراً، بل هو من المحددات الأساسية لدلالة اللفظ وتحديد معناه، فبه يرشح معنى دون آخر مِنَ المعاني التي يمكن للفظ أنْ يحملها، ومن ثم يتوصل المتلقي إلى مقصود المتكلم مِنْ خطابه .

٢٠- لجوء المعري إلى السرد المبطن دون أنواع السرد الأخرى ، في التعبير عن مقاصده وغاياته ، إذ احتوى هذا المسلك على اقتراحات

،وشحن بحكم وتجارب ، وعُبِّر به عن مواقف فلسفية ، وسياسية
،واجتماعية ؛لمناسبته مقاصد ،وغايات لا يمكن التصريح بها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أبو العلاء المعري: أحمد تيمور باشا ، وكالة الصحافة العربية ، مصر ، ٢٠١٥م.
- أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم :عمر فروخ ،ط١،مكتبة الفكر الجديد ،دار الشرق الجديد ،بيروت ،١٩٦٠م.
- أبو العلاء المعري رهين المحبسين :جعفر خريباني، ط ١ ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- أبو العلاء وما إليه، عبد العزيز الميمي :دار المصنفين ،المطبعة السلفية ومكتبتها ،القاهرة ،١٣٤٤هـ.
- الإتقان في علوم القرآن : أبو بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د.ت) ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الأدب العربي في العصر العباسي :د. ناظم رشيد ،مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل-العراق ،١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) تحـ: محمد باسل عيون السود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- أساسيات اللغة : تراسك ،ترجمة :رانيا إبراهيم يوسف ،ط ١،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،٢٠٠٢م.
- استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقاربة تداولية : د. باسم خيري خضير ،ط ١ ،مؤسسة علوم نهج البلاغة ،كربلاء ،١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :عبد الهادي بن ظافر الشهري ،ط١،دار الكتب الوطنية ،بنغازي ،ليبيا،٢٠٠٤ .
- الاستعارة في الخطاب : إيلينا سيمينو ، ترجمة :عماد عبد اللطيف ، خالد توفيق ، ط ٣ ، ٢٠١٣ م .
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني : العياشي ادراوي ، ط ١ ، دار الأمان ، الرباط ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) تحـ : علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجبل، بيروت ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)،تحـ: محمود محمد شاكر ،مطبعة المدني – القاهرة ،(د.ت) .
- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية : د . مثنى كاظم صادق ، ط ١ ، منشورات الاختلاف ،(د.ت).

- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية : محمد الشاوش ، ط ١ ، المؤسسة العربية ، بيرت ، ٢٠٠١ م.
- الأصول في النحو : أو بكر محمد بن السراج (ت ٣١٦هـ) تح :عبد الحسين الفتلي ،مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ،(د.ت).
- أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة ، (د.ت)،٢٠٠٢ م .
- الاقتراح في أصول النحو وجدله :عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) حققه وشرحه :د. محمود فجال ، ط١ ، دار القلم ،١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- الألغاز النحوية (الطراز في الألغاز) : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ،الكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٣م .
- أمالي ابن الشجري ، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) تحـ : د . محمود محمد ،ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،١٤١٣هـ- ١٩٩١م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة :جمال الدين أبو الحسن القفطي(ت ٦٤٦ هـ)،تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط١ ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ومؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،١٤٠٦ هـ _١٩٨٢م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين : عبد الرحمن بن محمد ، أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري : يوسف البديعي ،مطبعة الترف ، دمشق ، ١٩٤٤م .
- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز دراسة بلاغية : د. مختار عطية ، دار المعرفة الجامعة ،(د.م)،(د.ت).
- الإيضاح في علوم البلاغة : محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني (٧٣٩هـ)، تحـ :محمد عبد المنعم خفاجي ، ط ٣ ، دار الجبل – بيروت،(د.ت) .
- البحر المحيط في أصول الفقه : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ط ١ ، دار الكتبي ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- البرهان في علوم القرآن :أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية،(د.ت) ، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧ م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : عبد المتعال الصعيدي (٣٩١هـ) ، ط ١٧ ، مكتبة الآداب ، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – لبنان ،(د.ت).
- البلاغة – المعاني: منهاج جامعة المدينة العلمية، نشر جامعة المدينة العالمية .

- البلاغة العربية أسسها ،وعلومها ،وفنونها : عبد الرحمن حسن الميداني ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ،١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- البلاغة فنونها وأفنانها: د. فضل حسن عباس ، ط ٢ ، دار الفرقان ،(د.ت) ١٤٠٥هـ-١٩٨٩م .
- البنية القصصية في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري : حسين الواد ، ط ٣ ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٨م.
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي :د. حميد لحمداني ،ط١ ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ،١٩٩١م .
- بيان المختصر – شرح مختصر ابن الحاجب: محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد (ت ٧٤٩هـ) تحـ: محمد مظهر ،ط ١ ، دار المدني ، السعودية ،١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.
- البيان والتبيين : أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٢٣هـ .
- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق القب بالمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) تحـ : مجموعة من المحققين ، دار الهداية،(د.م)،(د.ت) .
- تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي،(د.م)،(د.ت) .
- تاريخ الأنطاكي: المعروف بصلة تاريخ أوتيخان ، يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي (ت ٤٥٨هـ)، تحـ : عمر عبد السلام تدمري – جروس برس ، طرابلس – لبنان ، ١٩٩٠ م.
- تاريخ الطبري- تاريخ الرسل والملوك : محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ،ط ٢ ، دار التراث ، بيروت ، ١٣٨٧هـ .
- تأويل مشكل القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) تحـ : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،(د.ت).
- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه : علاء الدين أبو الحسن علي بن سلمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ) تحـ : د .عبد الرحمن الجبرين ،ط ١ ، مكتبة الرشد ،الراض –السعودية ، ١٤٢١هـ-٢٠٠م.
- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم : د٠محمود عكاشة ،ط ١ ، د. دار النشر للجامعات ،القاهرة ،٢٠١٣م.
- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات : محمد محمد يونس علي ،ط١ ،دار كنوز المعرفة ، عمان ،١٤٣٧هـ _٢٠١٦م.
- تحليل النص السردي معارج ابن عربي نموذجا : سعيد الوكيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٨م .
- تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم : محمد بوعزة ، ط ١ ، دار الأمان ، الرباط ،١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
- التداوليات علم استعمال اللغة : حافظ اسماعيل ، ط ٢ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠١٤ م .

- التداولية :جورج يول ،ترجمة :د. قصي العتابي ، ط١ ،دار الأمان ،الرباط ،١٤٣١هـ _٢٠١٠م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل: آن رويول، جاك موشلار ، ترجمة د . سيف الدين دغفوس ، د. محمد الشيباني ، مراجعة د. لطيف زيتوني ،ط ١ ،دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣ م .
- التداولية عند علماء العرب : د. مسعود صحراوي ،ط١،دار الطليعة ،بيروت، لبنان ،٢٠٠٥م.
- التداولية واستراتيجية التواصل: د. ذهبية حموا الحاج ،ط١،رؤية للطباعة والنشر ،٢٠١٥م .
- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق ،ط ١٧ ،(د . ت).
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : د . رمضان عبد التواب ،ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، مصر .
- التعريفات :علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ،تحـ: جماعة من العلماء ،ط ١ ، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان ،١٤٣٠هـ-١٨٨٣م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ،ط ٢ ،دار الفكر المعاصر – دمشق ، ١٤١٨هـ .
- التقديم والتأخير في المثل العربي: غادة أحمد البواب ،وزارة الثقافة الأردنية ،عمّان ،٢٠١١م .
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحـ : د . عزة حسن ،ط ٢ ، دار طلاس للدراسات ،دمشق ،١٩٩٦م.
- التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء : د . إبراهيم محمد عبد الله ، ط ١ ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ٢٠١٥م .
- تهذيب إسلامي لقصص كليلة ودمنة: سليمان بن صالح الخراشي ، ط ٣ ، دار القاسم ،الرياض ،١٤١٩ هـ .
- تهذيب التهذيب :أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ،ط ١، دار المعارف النظامية ،الهند ،١٣٢٦هـ .
- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)،تحـ :محمد عوض مرعد ،ط١ ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين القاهري (ت ١٠٣١هـ) ، ط ١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : نصر الله بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) تحـ : مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي ،(د.م) ،١٣٧٥هـ .

- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تحـ :أحمد البردوني ، إبراهيم أطفيش ، ط ٢ ،١٣٨٤ هـ_١٩٦٤م.
- جماليات السرديات التراثية دراسات تطبيقية في السرد العربي القديم :د . مي أحمد يوسف ، ط ١ ، دار المأمون ، عمان – الأردن ، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م .
- الجملة العربية والمعنى :د. فاضل السامرائي ، ط ١ ،دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م .
- جمهرة الأمثال : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت ،
- جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) تحـ : رمزي منير بعلبكي ،ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد بن إبراهيم الهاشمي ،تحـ : يوسف الصميلي ،المكتبة العصرية ، بيروت ،(د.ت).
- جواهر الكنز :نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧هـ) تحـ : محمد زغلول سلام ، معارف الإسكندرية ،(د.ت).
- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة : محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري، تحـ : د . محمد التونجي ،ط ١ ،دار الرفاعي ، الرياض ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- الجيم: أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء (ت ٢٠٦هـ) ،تحـ:إبراهيم الأبياري ،الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .
- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع : حسن بن محمد بن محمود العطار(ت ١٢٥٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ،(د.م)،(د.ت).
- الحجاج اللغوي عند ديكرو وانسكومبر : يعمرانن نعيمة ،جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ،(د.ت).
- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة : د .حافظ اسماعيلي ، ط ١ ،عالم الكتب الحديث ،عمان الأردن ، ٢٠١٠م.
- الحجاج وتوجيه الخطاب :مفهومه ومجالاته وتطبيقاته في خطب ابن نباته : د . باسم خيري خضير ،ط ١ ، دار نيبور ، العراق ، ٢٠١٦ م .
- الحذف النحوي عند سيبويه في ضوء النظرية الخليلية الحديثة : عائشة جمعي ، ط ١ ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، ٢٠١٦ م .
- الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٤٢٤هـ .
- حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز: د . سمير أحمد مخلوف ، اتحاد الكتاب العرب ،١٩٩٦م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القاهر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحـ : عبد السلام محمد هارون ،ط ٤ ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، ط ٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : عبد العظيم إبراهيم ،ط ١ ، مكتبة وهبة ،١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ : عبد الملك مرتاض ، العدد ٣- ٤ ، ١٩٩١م .
- الخطاب ،سارة ميلز ،ترجمة :عبد الوهاب علوب ،ط١ ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،٢٠١٦م.
- الخطاب والحجاج: أبو بكر العزاوي ، ط ١ ، مؤسسة الرحاب الحديثة ،بيروت – لبنان ، ٢٠١٠م.
- دراسات في فقه اللغة :د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ،بيروت – لبنان ، ٢٠٠٩ م.
- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية : د. عبد العظيم المطعني ، د.علي جمعة ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- دلالة الألفاظ : د . إبراهيم أنيس ، ط ٥ . مكتبة الأنجلو المصرية ،(د.ت) .
- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث : عبد الفتاح عبد العليم .
- دلائل الإعجاز في علم المعاني : أبو بكر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحـ : ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ،(د.ت).
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ، ترجمة : كمال محمد بشر ،مكتبة الشباب،(د.م)،(د.ت) .
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، (د.ط) دار صادر ،بيروت،(د.ت) .
- رسالة الصاهل والشاحج : أبو العلاء المعري ،تحـ: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ،ط٢ ،دار المعارف ،١٤٠٤ هـ _١٩٨٤م.
- رسالة الغفران :أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ)،تحـ :د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ،ط٣، دار المعارف ،١٩٦٣م.
- رسالة الملائكة : أبو العلاء المعري ، تحـ: محمد سليم الجندي ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢ م .
- رسالة الهناء : أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ)، تحـ :كامل كيلاني ،ط ٤ ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .
- رسالة في تعزية أبي علي بن أبي الرجال في ولده أبي الأزهر : أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) ،تحـ : حسّان الطيبي ،ط ١ ،دار الفكر العربي _ مصر .
- رسائل أبي العلاء المعري : أبو العلاء المعري ،تحـ : حسّان الطيبي ،ط١ ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م.
- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى أبو الفداء (ت ١١٢٧ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ،(د.ت).

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) تحـ:علي عبد الباري عطية ،ط ١ ، دار الكتب العلمية –بيروت ،١٤١٥ هـ .
- زبدة الحلب في تاريخ حلب:عمر بن أحمد بن هبة الله كمال الدين ابن العديم (٦٦٠ هـ)،تحـ : خليل المنصور ، ط١ ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ،١٤١٧هـ _١٩٩٦م.
- سبعة أنماط مِنَ الغموض : وليم أمبسون ، ترجمة :صبري محمد حسن ،المجلس الأعلى للثقافة ،(د.م)،(د.ت).
- سر الفصاحة : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- السرديات والتحليل السردي الشكل والدلالة ، سعد يقطين ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٢م .
- سقط الزند : أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م .
- سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد ،الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- السنن الصغير للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ،تحـ : عبد المعطي أمين قلعجي ،ط ١ ، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان ، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م .
- السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية :د . المهدي إبراهيم ، أكاديمية الفكر الجماهيري ، بنغازي - ليبيا ،٢٠١١م.
- سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، دار الحديث ،القاهرة ،١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد العماد (ت ١٠٨٩ هـ) ،تحـ: محمود الأرناؤوط ،ط١،دار ابن كثير ،دمشق ،١٤٠٦ هـ_١٩٨٦م.
- شرح المفصل للزمخشري : يعيش بن علي بن يعيش أبو البقاء (ت ٦٤٣هـ) تحـ:د . إميل بديع يعقوب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- شرح شافية ابن الحاجب : محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت٦٨٨هـ) ،تحـ: محمد نور الحسن،محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

- الشعر والشعراء : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)،دار الحديث ،القاهرة ،١٤٢٣م .
- شعرية الرسالة الإخوانية من خلال رسالة الهناء لأبي العلاء المعري : أحمد السماوي ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٤٩ ، ٢٠٠٥م .
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها :أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :أبونصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣)،تحـ: أحمد عبد الغفور ،دار العلم للملايين ، بيروت،(د.ت).
- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحـ :محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢ هـ .
- صناعة المعجم الحديث:د. أحمد مختار عمر، ط ١ ،عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م.
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: عبد الرحمن حسن الميداني ، ط ٤ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- طبقات الشعراء : عبد الله بن محمد بن المعتز (ت٢٩٦هـ) تحـ: عبد الستار أحمد ،ط ٣ ،دار المعارف ، القاهرة (د.ت).
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت٧٤٥هـ)، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ .
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر سليمان ، الدار الجامعية ، ١٩٩٨م .
- العربية والغموض دراسة في دلالة المبنى على المعنى : د.حلمي خليل ، ط ٢ ، ٢٠١٣م .
- العشرات في غريب اللغة: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (ت: ٣٤٥هـ)،تحـ: يحيى عبد الرؤوف جبر،(د.ط) المطبعة الوطنية – عمان،(د.ت).
- العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل : ترجمة :سعيد الغانمي ، ط ١ ، الدار العربية للعلوم ،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق : د. فايز الدايه ، ط ٢ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ،١٤١٧هـ- ١٩٩٦ م .
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر ، ط ٧ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٣٠ ، ٢٠٠٩م .
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : د . صبحي إبراهيم الفقي ، ط ١ ، دار قباء ، القاهرة ، ١٤٣١هـ- ٢٠٠م .
- علم لغة النص النظرية والتطبيق : عزّة شبل محمد ، ط ٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م.
- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني : د. محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب ،ط ١ ،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان ، ٢٠٠٣ م .
- علوم البلاغة(البيان -المعاني – البديع):أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ).

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) تحـ : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ،دار الجبل ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية: د. عز الدين الناجح ، ط ١ ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس – تونس ، ٢٠١١م.
- غريب الحديث : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجـوزي (ت ٥٩٧هـ) ،تح :د. عبد المعطي أمين القلعجي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .
- الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (٣٩٥هـ) تحـ :محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة ،القاهرة – مصر،(د.ت) .
- فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر ،د. محمد بن لطفي الصباغ ،ط١، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ،(د.ت).
- في الأدب الفلسفي:د . محمد شفيق ، ط ١ ، مجد المؤسسة الجامعية ، بيروت – لبنان ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- في البراجماتية- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة -: د. علي محمود حجي الصراف ، ط ١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة : سعد عبد العزيز مصلوح ،ط ١ ، مجلس النشر العلمي ، ٢٠٠٣م .
- في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات : د . سعد عبد العزيز مصلوح ،ط ١ ، عالم الكتب ، القاهرة ،١٤٢٥هـ -٢٠٠٤ م .
- في اللسانيات ونحو النص: د . إبراهيم محمود خليل ،ط ١ ، دار المسيرة ، ٢٠٠٧ م .
- قاموس السرديات: جيرالد برنس ، ترجمة : السيد إمام ، ط ١ ، ميريت للنشر ، القاهرة ،٢٠٠٣ م.
- القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) تحـ : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .
- القرينة عند الأصوليين وأثرها في فهم النصوص : محمد قاسم الأسطل ،الجامعة الإسلامية ،غزة ،١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- القرينة في اللغة العربية : د .كوليزار كاكل عزيز ، ط١، دار دجلة ، عمان ،٢٠٠٩م.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ،د. أحمد المتوكل ،(د.ط)،دار الأمان ،الرباط ،١٩٩٥م.
- قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : محمد محمد يونس ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٣ م .
- الكامل في التأريخ: أبو الحسن علي بن الكرم محمد عز الدين ابن الأثير(ت ٦٣٠ هـ) تحـ: عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

- الكتاب : عمر بن عثمان بن قنبر – سيبويه (ت ١٨٠ هـ) تحـ : عبد السلام محمد هارون ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- كتاب العين : الخليل ابن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٠ هـ)،تحـ : د. مهدي المخزومي ،د٠إبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال،(د.م)،(د.ت) .
- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (٣٩٥هـ) تحـ : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٩هـ.
- كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) تحـ : أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة،(د.ت) .
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد بن علي التهانوي (١١٥٨هـ) تحـ: علي دحروج ،مكتبة لبنان ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨ هـ) ،ط ٣ ، دار الكتب العربي ،بيروت ، ١٤٠٧هـ .
- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي : عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري (ت ٧٣٠هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ،(د.م)،(د.ت).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، د ط ،مكتبة المثنى – بغداد ، ١٩٤١م .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) تحـ: عدنان درويش ، محمد الصري ، مؤسسة الرسالة ،بيروت،(د.ت) .
- لسان العرب :محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، ط ٣ ، دار صادر ، بيروت ،١٤١٤هـ .
- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب : د.ذهبية حمو الحاج ،ط٢ ،دار الأمل ،المدينة الجديدة ،تيزي وزو،(د.ت) .
- اللسانيات الخطابية في قصص الأنبياء (آدم وإبراهيم وعيسى)عليهم السلام في القرآن : تارا فرهاد شاكر ، ط ١ ،عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠١٨ م .
- لسانيات النص بين النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا : ليندة قيّاس ، ط ١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد الخطابي ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،١٩٩١م.
- اللغة العربية معناها ومبناها :د . تمام حسّان ،ط ٥ ، عالم الكتب ،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
- اللغة والحجاج : د . أبو بكر العزاوي ، ط ١ ،مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م.
- ما الخطاب وكيف نحلله :د . عبد الواسع الحميري ،ط٢،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت ،١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

- مبدأ الانسجام في تحليل الخطاب القرآني من خلال علم المناسبات : شوقي البوعناني ، ط ١ ، مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، المغرب ، ٢٠١٨ م.
- مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ) تحـ :محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ،(د.ت).
- محاضرات في اللسانيات التداولية :د.خديجة أبو خشة، كتاب جامعي،(د.م)،(د.ت) .
- المحكم والمحيط الأعظم:أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة (ت ٤٥٨هـ)،تحـ :عبد الحميد هذاوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،(د.ت).
- مختار الصحاح : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحـ: يوسف الشيخ محمد ، ط ٥ ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- المخصص: أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسي (ت ٤٥٨هـ) تحـ : خليل ابراهيم جفال ،ط ١، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،١٤١٧هـ -١٩٩٦م.
- مدخل إلى البلاغة العربية ،د. يوسف أبو العدوس ، ط ١ ،دار المسيرة ،عمان – الأردن ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م .
- مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هابينه، ديتر فيهفيجر ، ترجمة : د . فالح بن شبيب العجمي ،جامعة الملك سعود ، الرياض – السعودية ،١٤١٩هـ -١٩٩٩م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) تحـ : فؤاد علي منصور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)تح: محمد عبد السلام الشافي ، ط ١، دار الكتب العلمية ،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- مسند أبي داوود الطيالسي : أبو داود سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، تحـ : د . محمد بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، دار هجر – مصر ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) تحـ : شعيب الأرنؤوط –عادل مرشد وآخرون ، إشراف د.عبد الله بن محسن التركي ،ط ١ ، مؤسسة الرسالة ،١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ، بيروت،(د.ت) .
- المصطلح السردي: جيرالد برنس ، ترجمة : عابد خزندار ،مراجعة : محمد بريري ، ط ١ ، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- المصنف: أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ) ، تحـ :حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ٢ ، المجلس العلمي ، الهند ، ١٤٠٣ هـ .
- المضمر: كاترين كير برات _ أور يكيوني، ترجمة :ريتا خاطر، ط ١ ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،٢٠٠٨م.
- مع المعري اللغوي : د . إبراهيم السامرائي ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .

- معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ،تحـ :عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت ،ط ١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- المعاني الكبير في أبيات المعاني :أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تحـ : سالم الكرنكوي ،عبد الرحمن بن يحيى علي اليماني ، ط ١ ،دائرة المعارف العثمانية ، الهند ،١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .
- معاهد التنصيص على شاهد التلخيص : عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت ٩٦٣هـ) تحـ : محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ،(د.ت).
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)،تحـ: إحسان عباس، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
- المعجم الأصولي،محمد صنقور علي ،ط١ ،دار المجتبى ، ١٤٢١هـ.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د.أحمد مطلوب ،مكتبة لبنان ناشرون ،٢٠٠٧م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية : د.محمد سمير نجيب ،ط١،مؤسسة الرسالة ،دار الفرقان ،بيروت ،١٤٠٥هـ_١٩٨٥م.
- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات وآخرون ، دار الدعوة .
- معجم ديوان الأدب : إسحاق بن إبراهيم بن الحسن الفارابي (ت ٣٥٠هـ) تحـ:أحمد مختار عمر ، مراجعة :إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) تحـ:عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
- المعرف : أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تحـ : ثروة عكاشة ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٢ م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين بن هشام (ت ٧٦١ هـ) تحـ : مازن المبارك ،محمد علي حمد الله ، ط ٦ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥م .
- مفاتيح العلوم : محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) ،تحـ : إبراهيم الأبياري ،ط ٢ ، دار الكتاب العربي،(د.ت) .
- مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت ٦٠٦هـ) ،ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،١٤٢٠ هـ.
- مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، تحـ :نعيم زرزور ،ط ٢ ،دار الكتب العلمية ،بيروت _لبنان ،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)،تحـ: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، ١٤١٢ هـ.
- مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو،د. الزواوي بغورة ،(د.ط) ،المجلس الأعلى للثقافة ،٢٠٠٠م.
- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء: د . حامد صالح خلف ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .
- المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد (٢٨٥هـ) تحـ : محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب، بيروت .
- الممتع الكبير في التصريف: علي بن مؤمن بن محمد الأشبيلي أبو الحسن ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) ، ط ١ ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٦ م.
- مِنْ تاريخ النحو العربي: سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت ١٤١٧هـ) مكتبة الفلاح .
- المنصف – شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني : أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) ط ١ ،دار إحياء التراث القديم ،١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.
- المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني ،المكتبة الأزهرية للتراث ،(د.م)،(د.ت).
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري :أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ) تحـ :أحمد صقر ، ط ٤ ، دار المعارف ،(د.م)،(د.ت).
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنبائهم وبعض شعرهم :أبوالقاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ)،تحـ: د. كرنكو ،ط١ ،دار الجبل ،بيروت ،١٤١١هـ _١٩٩١م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تح: د. علي دحروج ،الترجمة: د. جورج زيناني ، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ،١٩٩٦م.
- موقف النقد العربي القديم مِنَ الغموض الفني في الشعر : ثريا عبد الوهاب العباسي ،مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، الآداب والعلوم الإنسانية ، جدة ، السعودية ،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : د. أحمد عفيفي ،ط ١ ، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠١م.
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي :أحمد عفيفي ط ١ ،زهراء الشرق ، القاهرة ،٢٠٠١م.
- نزهة الألباب في الألقاب : أبو الفضل أحمد علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)،تحـ :عبد العزيز محمد ، ط١ ،مكتبة الرشد الرباط ،١٤٠٩هـ _١٩٨٩م.
- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا: الأزهر الزنّاد ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

- النص والخطاب والاتصال :د . محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ،٢٠١٤م .
- النص والخطاب والإجراء : روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د . تمام حسّان ، ط ١ ،عالم الكتب ،القاهرة ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : فان دايك ،ترجمة :عبد القادر قنيني ،أفريقيا الشرق ،بيروت ،لبنان،٢٠٠٠م.
- نظريات الإستعارة في البلاغة الغربية : د. عبد العزيز لحويدق ،ط١،دار كنوز المعرفة ،عمان ،١٤٣٦هـ -٢٠١٥م.
- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الاشياء بالكلام : أوستين ، ترجمة : عبد القاهر قنيني ،أفريقيا الشرق ،١٩٩١ م.
- نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء: د. محمد عبد العزيز ،د . عرفات فيصل ،ط ١ ،مؤسسة السياب – لندن ، ٢٠١٥م .
- نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل ولإدراك : دان سبيربر ، ديدري ولسون ، ترجمة :هشام إبراهيم عبد الله ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ٢٠١٦ م .
- نظرية علم النص رؤية ومنهجية في بناء النص النثري : حسام أحمد فرج ،ط ٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م .
- نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ) ط ١ ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ،١٣٠٢هـ.
- النكت في إعجاز القرآن - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: علي بن عيسى بن علي الرماني (ت ٣٨٤هـ) تحـ :محمد خلف الله ،محمد زغلول سلام ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦م.
- النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) تحـ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان،(د.ت) .
- الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء : محمد نجيب العمامي ، ط١ ، دار محمد علي ،٢٠١٠م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية : د . أحمد المتوكل ،ط ١ ،الدار البيضاء ، المغرب ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥ م .
- الوظائف التداولية واستراتيجية التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي : يوسف تغزاوي ،ط١،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،٢٠١٤م.
- وظيفة الوصف في الرواية : عبد اللطيف محفوظ ،ط ١ ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ،١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ،تحـ:احسان عباس،دار صادر،بيروت،١٩٠٠م.

الأطاريح والرسائل

- أبو العلاء المعري والعلامة إقبال دراسة مقارنة أدبية نقدية : فيض الله دار جامعة بنجاب ،لاهور ،باكستان ،٢٠١٠م .
- أثر الإبل في توجيه الخطاب النقدي العربي: عاصم محمد أمين ، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ،جامعة السلطان قابوس ، ٢٠١٥م.
- أثر السياق في دلالة الصيغ الصرفية في القرآن: مروة عباس حسن ، جامعة ديالى ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .
- الاستدلال والتواصل غير اللغوي الاستدلال التصويري نموذجا : سعيد بنتاجر ، جامعة الرباط ، المغرب ،٢٠١٤ م .
- أسلوبية الإنزياح في النص القرآني : أحمد غالب النوري ،جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.
- أطراف الخطاب السردي في رسالة الغفران : محمد رياض ، التراث العربي ،العددان ١٢٥-١٢٦ ، ٢٠١٢ م .
- الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري دراسة موضوعاتية فنية : حياة بوعافية ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة محمد بو ضياف ، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩ م .
- آيات القول في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص : د. كاظم داخل جبير ،جامعة ذي قار ،العراق ،١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- بنية الوصف ووظائفه في ألف ليلة وليلة :مليكة بو جفجوف ، جامعة منتوري – قسطنطينية ، الجزائر ،٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ م.
- تحول الخطاب الروائي في العراق : مشتاق سالم ، جامعة البصرة ، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م .
- دَلالة السياق: ردة الله بن ردة بن ضيف الله ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨ هـ .
- رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري دراسة في ضوء علم اجتماع الأدب : زكي عباس راضي ، جامعة القادسية ، ١٤٣٦هـ-٢٠١٦م .
- رسالة الغفران دراسة أسلوبية : محمد جاسم محمد ،جامعة القادسية ،١٤٣٥ هـ_٢٠١٤م.
- العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة : سميرة بن جامع ، جامعة الحاج لخضر ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
- علاقات الإسناد ودلالاته في التركيب اللغوي نحويا وبلاغيا :د . حسن محمد انور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة جازان ، السعودية ، ١٤٣٢ هـ .
- علم أصول الفقه نشأته وتطوره ،عبد الرحمن حسن محمد ،الجامعة الإسلامية ، مقديشو-الصومال ،١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
- المجاز اللغوي وأثره في إثراء اللغة : فريحة محمد جوهر ، جامعة الملك عبد العزيز ،مكة المكرمة ،١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

- المجاز المرسل في ترجمة القرآن إلى الفرنسية دراسة نقدية مقارنة : هناء بوزيان ، جامعة منتوري ، الجزائر ، ٢٠٠٨-٢٠٠٩ م .
- المجاز بين التأصيل البلاغي العربي والنظريات الأسلوبية الحديثة : ربيع بن مخلوف الجزائر ، ٢٠١٧-٢٠١٨ م .
- المجاز في أساس البلاغة للزمخشري : معيد زكري توفيق ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م .

البحوث المنشورة

- آليات الاستدلال الحجاجي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني : خديجة كلاتمة ، مجلة المخبر ،العدد الثامن ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر ، ٢٠١٢م.
- الإيجاز بين الحقيقة والمجاز: مجلة جامعة البحث، مجلد ٤٠، العدد١، ٢٠١٨.
- تحليل الخطاب والدرس العربي، نعيمة سعدية، جامعة محمد خيضر – بسكرة، العدد الرابع، ٢٠٠٩ .
- تحليل خطاب أبي العلاء المعري في رسالة الصاهل والشاحج : هومن ناظميان ، جامعة الخوارزمي، طهران ،(د.ت).
- تشكيل الزمن السردي في السيرة الذاتية السعودية: أسامة محمد البحيري ،العدد ٦٦، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .
- التعريف المعجمي أنواعه ووسائله في المعاجم العربية : د. سنان سناني ، مجلة مجمع اللغة العربية ،العدد السادس ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، ١٤٣٦هـ ٢٠١٤م.
- جماليات السرد القرآني في قصة ذي القرنين دراسة سيميائية : خلف الله حنان ، جامعة محمد البشير ، ٢٠١٦م .
- الحجاج في الخطبة النبوية: د.جمعان عبد الكريم ، جامعة الباحة ، العدد العاشر ، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣ م .
- الحجاج في الدرس اللغوي الغربي: بوز ناشه نور الدين ،مجلة علوم إنسانية ، الجزائر ، العدد ٤٤ ، ٢٠١٠م.
- خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ : عبد الملك مرتاض ، العدد ٣- ٤ ، ١٩٩١م .
- الخطاب بين رولان بارت وهابرماس، حياة لصحف – جامعة تلمسان العدد السادس،(د.ت).
- دراسة الطابع القصصي في رسالة الغفران: هومن ناظميان، العدد ٩ – ٢٠١٣م.
- الرصف وعلم لغة النص: زينب عادل، مجلة جامعة الأنبار، العدد السابع (د.ت).
- السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم: باديس لهويمل ،مجلة المخبر ،أبحاث اللغة العربية والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، العدد التاسع ،٢٠١٣م.
- شعرية الرسالة الإخوانية من خلال رسالة الهناء لأبي العلاء المعري : أحمد السماوي ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٤٩ ، ٢٠٠٥م .

- صورة نازحي حلب في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري : د. علـــي عبد الإمام ،جامعة ذي قار ،كلية لآداب ،مجلة آداب البصرة، العدد٨١، ٢٠١٧.
- الظاهرة الدينية في نثر المعري دراسة في ضوء النقد الثقافي : محمد حليم حسن ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ،المجلد ٢٥ ، العدد ١ ، ٢٠١٧م .
- كنى الحيوان دراسة ومعجم، د. أصيل محمد، و أ. د. كاظم داخل، مجلة القادسية، العددان (٣- ٤)، المجلد (٤)، (٢٠٠٥).
- لغة المعري: د. باقر جواد،د . جعفر علي ،مجلة جامعة كربلاء العلمية ، كلية الآداب ، المجلد الثامن ،العدد الثالث ،٢٠١٩ م .
- مجلة الهلال: أحمد حسين هيكل، الجزء الثامن، مجلد٤٦: ١٩٣٨.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Al-Muthana University/College of Education for Human Sciences

Department of Arabic Language

Letters Of Abi Ala Al Maari, Study in Light of Discourse Analyses and lts purposes by Muhammad Muhammad Yunus

A letter Submitted by the student,

Wissam Abd Al-Sada Harjan,

to the Board of the College of Education for Human Sciences /

Al-Muthanna University, which is part of the requirements for obtaining a master's degree in language Arabic and Literature / Language

Under the supervision of Prof.

Dr. Kadim Dakhil Jubeir,

2021A.D. 1443A.H.

Abstract:

This study includes analyzing the discourse of Abu Ala Al-Maari in his letters according to the theory of (Pathways and Purposes) by Dr. Muhammad Muhammad Yunus, which states that the process of communication cannot be achieved unless the speaker resorts to paths by which he tries to achieve his aims, purposes, and rhetorical goals. In order for the communication process to be completed successfully and by understanding the speaker, the intended purpose of the speech will be delivered by the addressee, the recipient) taking into account the references of the speech in producing, interpreting and analyzing it. Among the most important discourse paths that the speaker uses when formulating his speech are: Diction tracts: which are concerned with what the speaker wants from his speech is the statement Intentionally or misleading and delusion. The contingency pathways that say: that each situation has an essay, and there are constructive tracts that are concerned with the rhetorical form, which are either at the level of the sentence and are called then the systemic paths, or they are at the text level and are called the composition paths, and there are of them the market paths that are concerned with the speaker to put one or more presumptions indicating what he wants from the speech. The nature of the study required that it can be divided into an introduction and three chapters. In the preface we dealt with a brief talking about mentioning some of the news and messages of Abu Ala. Then discourse as a language and idiom, discourse and text, and discourse paths. Then we mentioned the reasons for the abandonment of the term of strategies to the tracts, then we explained the linguistic concept of the terms (intention, purpose and goal).

As for the first chapter, which was marked with (diction and situational pathways), it included two topics: The first topic included : the diction paths, the declaration course, the hinting path and the ambiguity behavior ; the second topic included the contingent pathways, the denominators of speech according to the speaker's intentions and purposes, the denominators of speech, according to the addressee (the statement), the denominators of speech according to the context, the denominators of speech according to the situation.

The second chapter entitled (the diction paths) included two topics: the first, entitled the systemic tracts included the speech acts with the verbal and static indication. The second included two axis : first, the conditions of the availability of contextuality ; the second axis: the types of authoritative tracts (narrative, descriptive, inferential, and explanatory).

As for the third chapter, which came under the title (Market tracts), we studied in it the statement of the speaker one or more prescriptions indicating what he wanted from the speech, and we explained that by two things:

First: Inclusion.

Second: The assumption.

The effect of the researcher in this study was to select clear-cut validations on the previously mentioned paths, then analyze them and mention what was intended for him in terms of goals, objectives and aims. In this study, the researcher has taken a descriptive and analytical approach in wich he reached to results like:

1. All discursive paths in the texts under study, and this indicates two things:

   First: Al-Maari's commitment to a precise rhetorical path from which he aimed to achieve his goals and rhetorical goals.

   second: What for the selecting of the precise and appropriate path of impact on achieving the success the speech process or not.
2. some of the speech goals cannot be achieved except the speaker takes a certain path from discourse: such as persuasion and incapacity, as they can only be achieved by resorting to the speaker's approach of reasoning and ambiguity.
3. There is a large and clear relationship between the paths and goals for which the speech is driven, which sometimes reaches to be the determinant and basis for judging the success of the speech from its failure.
4. it may collaborate and support more than one discursive course in order to achieve some discursive purpose.